63785

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات بتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

المراسلات
حي الورود - شارع حمد الجاسر هـ ٤٦٢١٤٢٣
ص ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٣، ٤ س ٢٦ رمضان/شوال سنة ١٤١١هـ - آذار/نيسان (مارس/أبريل) سنة ١٩٩١م

إلى أمير الشباب وراعي الثقافة:

إنشاء مجمع لغوي مما تحتمه حماية كيان الأمة، وصيانة لغة القرآن الكريم

ليس الجهل بما تقوم به المجامع اللغوية من أعمال، ومالها من غاياتٍ، مقصوراً على عامة المثقفين، بل قد تتصف به الخاصة منهم، ولذالك أسباب لعل من أهمها: أن تلك المجامع تعيش في شِبْهِ عُزْلَةٍ عن القارئ، فلا تُعْنَى وسائلُ النشر المختلفة بما يتعلق بها من أنباء وشؤون، ولا تُنْشَرُ مطبوعَاتُها في نطاق واسع ليتمكن الراغبون في الاطلاع عليها مما يرغبون، ولا يكون لأعضائها وللعاملين فيها من الارتباط والاختلاط بغيرهم ما يثير إحساساً أو إدراكاً للأعمال التي يقومون بها، لاسيَّما وأَنَّ جُلَّ من يعمل في المجامع اللغوية ممن تقدمت به السن تقدماً أَثَّرَ في قوته ونشاطه، فأصبح لا يتحرك ولا يعمل إلا في مجال ضيق، لهذا فلعل من المناسب الاِسْترسال في هذه المقدمة لإيضاح بعض جوانب تتعلق بتلك المجامع.

ولعل من أقوى بواعث هذا أَنْ تَوَجَّهَ إليَّ أَحَدُ مثقفي هذه البلاد بهذا الاستيضاح: (ونحن إذا نستشرف آفاق المستقبل الحضاري لهذه البلاد نتحسس الرُّؤَى التصورية لهذا المشروع الرائد، وماهي ضرورته في الثقافة المحلية والعربية؟).

ليس هذا السائلُ الكريمُ بِدْعاً بين مثقفي الأمة بصفة عامة، ممن لم يُعْنَ عنايةً تمكنه من إدراك ما للمجامع اللغوية من غاياتٍ وأهداف، ولهذا فهو لايزال يرغب أن يتحسَّسَ الرُّؤَى التَّصَوُّرِيَّة لإنشاءِ مجمع في هذه البلاد، متطلعاً لإدراك أثره في الثقافة، ومستوضحاً عما إذا كان إنشاؤُهُ مما تقضي به ضرورةٌ ذاتُ أَثَرٍ في إمداد تلك الثقافة في محيطها المحلي أو مجالها العربي - بِرَوَافِدَ تُنَمِّيْهَا وتزيدها قوة.

قد يكون لهذا السائل ولكثيرين غيره بَعْضُ العذر - بل الْعُذْرُ كُلُّهُ - في توجيه مثل تلك الأسئلة، فالحياةُ المعاصرة لكل إنسانٍ - المثقف وغيره - تَقْسِرُهُ قَسْراً للتوجه لأمور أخرى، إنها تدفعه دفعاً للانصراف والاشتغال بما هو في أَشد الحاجة إليه مما هو ألصق بطبيعته من حيث الحفاظ على حياته، والسعي بما يُنَمِّي مقدرته، ويوجه سلوكه، لكي يُهَيِّءَ لنفسه من وسائل الاستقرار والراحة ما يجعله يعيش مطمئناً راضياً مادام باقياً في هذه الحياة.

من هنا فما أكثر الذين يعيشون في مثل هذه العزلة، بعيدين عما لا يرتبط بحياتهم، أَوْ أَنْ يَكُوْنُوا ذَوِي أَثَرٍ فيها بالنسبة لهم خاصة، وما أكثر الذين يجهلون كثيراً من أحوال عالمهم الذي يعيشون فيه، وإن كان من تلك الأحوال ماهو عميق الصلة بمستقبل أمرهم، عظيم الأثر بالنسبة لوجود عالمهم وَهُمْ جزء منه، ولكنهم في هذا ينقادون لما رُكِّبَ في الطبيعة البشرية، وتلك سنة الله في خلقه.

ولعلي في هذا أُقَرِّرُ أمْراً يتجلَّى من خلال تقريره العذرُ واضحاً واسعاً لأؤلئك المنصرفين إلى ما يعنيهم من شؤونهم الخاصة :

فَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ في الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

إذ لاشكَّ أن من يطمع أن يكون شبابُ الأمة المثقف الواعي على درجة متساوية من حيث الإلمام التام بمختلف علوم العصر، وبجميع اتجاهات الفكر والإدراك، وبأنواع التخصصات العلمية، كل من يطمع في ذالك من أؤلئك الشباب لا يكون مُنْصِفاً في حَقِّهم، ولا عادِلاً في حكمه، ولا صادقاً مع نفسه، إذْ يُبَرِّئُهَا من وصمة ذالك البعد وذالك الانعزال الذي وصم به الآخرين من حيث الجهل بشؤون المجامع اللغوية.

ولعلَّ اندفاعي في هذه المقدمة ناشيءٌ عن الإحساس العميق بأن الأمر يتعلق بناحية من نواحي حياة الأمة، ليس من المبالغة القولُ بأنَّ تلك الناحية تُكَوِّنُ السياجَ القويَّ المحكم لبناء الأمة نفسها، لا من الناحية الاجتماعية فحسب، بل من جميع النواحي الحيويةَ وجُوداً وفِكْراً .

لقد اختار الله الْعَربَ من بين شعوب الأرض، فاصطفى منهم أشرفَ خلقه لتلقي رسالته التي كلفه بأن يبلغها العالم، ولتقوم أمتُهُ بنشرها بين الأُمم، وأنزل كتابه الذي فَرَقَ به بين الْـحَقِّ والباطل، وجعله أَساسَ شريعةِ تلك الرسالة الخالدة، ونِبْرَاسَهَا، بلغة تلك الأُمَّةِ التي اختصها بِالاِصْطِفاءِ والاختيار، وستبقَى اللغةُ العربيةُ لُغَةَ الدين الحنيف ما بقي هذا الدينُ الذي تكفل الله بحفظه وبقائه ببقاء كتابه القرآن العربي الـمُبِين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فالْعَرَبُ هُمْ أُمَنَاءُ الله على وَحْيِهِ، باختيار لُغَتِهِمْ نَاطِقَةً به، وهم خِيْرَةُ الله من خلقه، باصطفاء خاتَمِ أنبيائه منهم، وهم تَرَاجِمَةُ ذالك الْوَحْي، ومُبَلِّغُوه لغيرهم من شعوب العالم ممن لا يستطيع فَهْمَهُ فَهْماً تَامًّا ـ كما نزل من السماء ـ بدون معرفة تلك اللغة التي نزله بها، وهي لغة العرب.

وأوجب ـ فيما أوجب من شرائع ذالك الدين القويم ـ على كل مسلم أن يَتَّجِهَ في اليوم والليلة إلى بيته المطهَّر الذي اختاره في بلاد هذه الأُمة الكريمة ـ في اليوم والليلة ـ خمسَ مرات فأكثر، كما أوجب حَجَّ هذا البيت على كل قادر في العمر مَرَّةً، فلماذا يَتَّجِهُ وَيَتَطَلَّعُ وَيَقْصُدُ المسلمون من جميع أنحاء العالم هذه الوجهة التي اختار الله لهم ، لو لم يكن أهلُها وسكانُها الناطقون بتلك اللغة الكريمة هم وسائل الإرشاد والهداية، والتوجيه لإدراك ما تهدف إليه رسالة السماء من صلاح وخير .

كل هذا مما يبرز ما لهذه اللغة من منزلة ـ لأبين اللغات فحسب ـ بل في توجيه شعوب العالم كلها، وهدايتِها وإِرشَادِها إلى ما شرعه الله واختاره لجميع خلقه، من نهج قويمٍ يبلغ سعادة الدارَيْن.

من هنا كانت العناية بهذه اللغة مما يجب على كل عربي مسلم القيام به، لكونه من الأعمال المكملة لِأَدَاءِ متطلبات دينه وخُلُقِه، فضلاً عن أن اللغة هي السياج

القوي لكيان الأُمة، فأيَّةُ أُمَّةٍ من الأمم تفقد هذا السياج، لا يلبث كيانُها أن يتداعَى ثم ينهار ، وَإِنِ اسْتعاضت عن لغتها بلغة أخرى، فكيف بأمة أوجب الله عليها ـ وجوباً ضِمْنِيًّا ـ أن تتمسك بلغتها التي بها الحفاظ على دينها الذي لا حياة لها إلا بالتمسك به ، وأوجب على من عداها من الأمم والشعوب التي تدين بذالك الدين أن ترعى تلك اللغة، وأن تحافظَ عليها بقدر حفاظها على ارتباطاتها الدينية والخلقية بالأمة العربية التي بها استقام ذالك الكيان، وبِقُوَّتِهَا يَقْوَى ويبقى.

كل هذا من الأمور الْبَدَهِيَّةِ التي يدركها كل عاقل بفطرته، كما يدرك ارتباط أُمتنا ارتباطاً دينيًّا واجتماعيًّا بكل ما يعزز مكانَتَنا بين الشعوب الإسلامية المنتشرة في أنحاء العالم ، بحيث اختارها الله للقيادة والرِّيَادة، وميَّزَ لغتها الكريمة بكونها لغة أعظم كتاب أَنزله على خير رسله، وأشرف خلقه، فكانت بلادُنا بفضل ما منحها الله من ميزةٍ، وبما كَرَّمها به من اختصاصٍ ، قِبْلَةَ تلك الشعوب تتجه نحوها مُسْتَشِفَّةً مُسْتَشرِفَةً من أنوار الهداية ما أضاء أنحاءَ المعمورة في أَوَّلِ عهدها، ولاتزال تتطلع إليها بصفتها مصدر الإشعاع الفكري، الموجهة لجميع سبل الخير، أفلا يجدر بنا ونحن بهذه الصفة أن نَبْذِلَ الْوُسْعَ كُلَّه للحفاظ على تلك اللغة الكريمة، وبلادنا هي مهدها، ومِنَّا حُمَاتها الأوائل، الذين لم يجدوا طريقاً يسلكونه لتدوينها بعد أن اتَّضَحَتْ شِدَّةُ الحاجة إلى التدوين سوى الرجوع إلى هذه البلاد ليتلقوا ما أُثِر عن شعرائها الأقدمين، وما حُفظ في صدور رواة ذالك الشعر من المتأخرين ، ما يجمعون منه شَتَاتَها الْـمُتَفَرِّقِ ، ليدونوه وليبنوا عليه أسس قواعدها حتى تكامل عملهم بما أودعوه هذه الثروة الضخمة من المؤلفات اللغوية التي وصلت إلينا .

لقد اتخذ علماءُ اللغة شعراءَ هذه البلاد مصادِرَهُمُ الأُولى لتدوينها، ولإِرْسَاءِ القواعد للحفاظ عليها، أفلا يجدر بنا والحالة هذه أن نُعِيدَ لهذه البلاد مكانتها الأولى في الصدارة في كل ما يطمح إليه متطلع إلى الخير ، وراغب في الاستنارة والاهتداء ، ومن ذالك العناية بِأقوى دعامةٍ تُقَوِّي الارتباط والاتصال بأولئك

الذين لايزالون يتطلعون إلى المزيد مما نبذله في سبيل إرشادهم وهدايتهم وإسعادهم.

مما تقدم يتضح أن بلادنا ينبغي أن تكون أَوَّلَ من يُعْنَى بالحفاظ على لغة القرآن الكريم بمختلف الوسائل، ولا شكَّ أن ضرورة العصر تُحَتِّمُ إنشاء مجمع لغوي لتلك الغاية.

ومن المدرك بداهة أن كل أَمْر يراد تحقيقه ينبغي السير نحو القيام به بصورة تدريجية حسب الطاقة وبقدر الْوُسْعِ، إذْ محاولةُ بلوغ الكمال من أول المراحل أَمْرٌ مُحَالٌ، ولهذا فالطريقة المثلى هي التدرج في العمل وَإِنْ قَلَّ حتى بلوغ الغاية المتوخاة.

وهذا ما لاحظته عندما فكر بعض الأُدباءِ في بلادنا وأَخذوا في الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي، وذالك في عشر التسعين من القرن الماضي، ولكنني كنت أُدْرِكُ أن كل أمر لا يقوم على أسس قوية من الاستعداد والترتيب، واتخاذ العدَّة بجميع ما يتطلبه بحيث ينشأ قويًّا قوةً تمكنه من الاستمرار والبقاء فإنه لا شكَّ سيقوم هزيلاً لا يلبث أَنْ يعيا عن المسير، ولهذا كنت ممن اعترض على فكرة إِنْشَاءِ مجمع لغوي في بلادنا مالم يوجد علماء متخصصون في علوم اللغة العربية وما يتصل بها من لغات أخرى لها صلة قوية بها كالسُّرْيانية والْعِبْرية والْحَبَشِية وغيرها من اللغات التي تُعَدُّ من أَصل واحد، وكان من أثر ذالك أنَ نشرتُ في إحدى صحفنا سنة ١٣٨٥هـ ما خلاصته: (أثار بعض كتابنا ـ في الآونة الأخيرة ـ موضوع إنشاءِ مجمع لغوي في بلادنا، وسُئِلتُ في الموضوع فكان مما أجبت به: عدم استطاعتنا إنشاء مجمع لغوي يكون له أثرٌ في خدمة اللغة العربية، ذالك أننا لا نجد بيننا من المتمكنين في اللغة العربية من يقدر على القيام بِأَعباءِ ذالك المجمع. بل قلت فيما قلت: إنه لا يوجد بيننا الآن من يستطيع المشاركة في الدراسات اللغوية بدرجة تجعل مشاركته ذات فائدة).

قلت ذالك لأنني أعلم أنَّ أولئك الإخوة هم بين رجلين: رجلٍ مدفوعٍ إلى الدعوة لإنشاء مجمع لغوي بدوافع كريمة، فهو يريد لبلادنا أن تشارك غيرها من

٢ شوال ١٤١١

مختلف الأقطار العربية التي عُنِيَتْ بالنواحي الثقافية العربية، فأسهمت في تلك المجالات إسهاماً نافعاً، وبلادنا بحكم مركزها وبحكم كونها مَهْدَ العروبة والإسلام، يجب أن تكون السَّبَّاقَةَ إلى كل عمل يقوم عليه كِيَانُ الأمة العربية والإسلامية، ويعود عليها بالنفع والفائدة، ومن ذالك العناية بلغة القرآن الكريم بإنشاء مثل ذالك المجمع، وهذا الشعور النبيل هو شعور كل عربي مسلم، لا يختص به فردٌ دون آخر، ولا يقف عند ناحية واحدة من النواحي التي تقوم عليها حياة الأمة، بل يشمل جميع النواحي من ثقافية واقتصادية، روحية كانت أو مادية، قديمة كانت أو حديثة، ولكنَّ الأَمْرَ في هذا لا يتوقف على مجرد الرغبة والشعور والعاطفة، إنه يتطلب أمراً آخر وهو القدرة والاستطاعة على العمل، فكيف نستطيع إنشاء مجمع لغوي وليس بيننا من أبناء بلادنا من له من المؤهلات ما يحملنا على الاعتقاد بقدرته على القيام بأعمال المجمع قياماً مثمراً ؟

وأما الرجل الثاني ـ الداعي إلى إنشاء مجمع لغوي ـ فقد اتخذ من تلك الغاية الكريمة التي قصدها الفريقُ الأول ـ وسيلَةً للوصول إلى غايات أُخرى، فراح مندفعاً للدعوة بمختلف الوسائل، تصريحاً وتلميحاً، آوِنَةً بمظهر المدافع عن اللغة العربية، وأُخرى بِزِيِّ الباحث اللغوي، المُخَطِّئِ لهذا القول والْـمُصَحِّحِ لذالك، والْـمُحَرِّمِ لهذا الاستعمال، والْـمُحَتِّمِ بوجوب التقيد بهذه الصيغة، وهو في كل ذالك يخبط خبط عشواء، ويسير بلا دليل.

وكان مما أشرتُ إليه جهلنا بالنسبة لما يتطلبه إنشاء مجمع لغوي جهلاً يجعلنا غير قادرين على أن نُسْهِمَ في مجال الدراسات اللغوية إسهاماً يؤهلنا لأن نقيم في بلادنا مجمعاً لغوياً، بل لا نجانب الحقيقة **إِنْ قُلْنَا**: إنَّ كثيراً من الداعين إلى هذا الأمر يكادون يجهلون كثيراً من الْكُلِّيات العامة، والأُسُسِ التي تقوم عليها الدراسات اللغوية، فضلاً عما يجب أَنْ يختصَّ بإدراكه الباحث اللغوي من معرفة كثير من جزئيات اللغة ودقائقها وأسرارها.

ثم أوردت شواهد على ذالك وقلت: وبعد أَنْ بدأَتْ جامعات بلادنا تؤتي ثمارها بتخرج شباب متخصص في مختلف العلوم، ومنها اللغة العربية، كنت من

أول من دعا إلى إنشاء مجمع علمي عربي، على غرار المجمع العلمي العربي في دمشق، ونشرت في مجلة «العرب» ـ س ٦ ص ٤٨٣ بتاريخ شهر المحرم ١٣٩٢هـ ـ موضحاً أن في بلادنا وُجِدَتْ نواةُ المجامع العربية، وكان مما قلت: من فضول القول التحدثُ عما لِأسواقِ العرب من أثر في حياة اللغة ونُمُوِّها، وصقلِها وانتشارها، ومن هذه الأسواق: عُكَاظُ في عالية نَجْدٍ، وذُوْ الْمَجَاز بجوار عَرَفَة، ومَجَنَّةُ بِمَرِّ الظَّهران بقرب مكة، وحُبَاشَةُ في تهامة بقرب القنفذة، جنوب اللِّيْثِ، ودَوْمَة الجَنْدل المعروفة بالجوف، وسوق هجر المعروف، وسُوْقَا دَبَا وأَدَمٍ في عُمَان، والرَّابيةُ في حضرموت، وهي أسواق لا يجهلها كل مَعْني بتاريخ العرب، وفي الإسلام كان سوق الْـمِرْبَدِ بقرب البصرة، ولم يُضْعِفْ من أَثَر هذه الأسواق في إحياء اللغة عَدَمُ تنظيمها تنظيماً يتلاءم مع ماهو معروف في هذا العهد، ذالك أن كل أَمْرٍ في بدايته يَعْتَوِرُهُ النقْصُ، وينتابه الخلل.

ومع ذالك رأيت الْبَدْءَ بالدعوة لأنشاء مجمع علمي عام، إذْ هناك فرق بين مجمع ينشأ خاصًّا باللغة العربية، ومجمع علمي عام يُعْنَى بكل ما يتعلق بالأمة من تراث، دراسةً وجمعاً وتحقيقاً وحفظاً، وهذا هو ماهَدَفَتْ إليه المجامع العربية في أول إنشائها، فقد أُنْشِئَ (المجمع العلمي العربي) بدمشق سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) الذي عُرِفَ بعد أربعين عاماً من إنشائه باسم (مجمع اللغة العربية) وعُقِدَتْ أولى جلساته في ٣ ذي القعدة من السنة المذكورة (٣٠ تموز ١٩١٩م)، وكان الهدفُ من إنشائه في أول أمره:

(١) العناية باللغة العربية من حيث التعريب ونشر الكتب المتعلقة بها.
(٢) جمع المخطوطات وصيانتها بإنشاء دار كتب عامة.
(٣) صيانة الآثار وجمعها في متحف.
(٤) إصدار مجلة تنشر فيها أعمال المجمع وأفكاره لتكون رابطة بينه وبين المؤسسات الثقافية العامة.

وقد أنشيء (المجمع العلمي العراقي) في المحرم سنة ١٣٦٧هـ (تشرين الثاني ١٩٤٧م) وكانت أهدافه:

(١) العناية بسلامة اللغة العربية والعمل بجعلها وافية لمطالب شؤون الحضارة الحاضرة.

(٢) العناية بأدب العرب وتاريخهم وحضارتهم.

(٣) حفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة وإحياؤها بالنشر.

(٤) تشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والفنون وبث الروح العلمية في البلاد.

وأُنشئ (المجمع العلمي اللبناني) سنة ١٩٢٨، والغاية منه المحافظة على اللغة العربية، والعناية بالمباحث والأعمال المتعلقة بأصولها وآدابها وعلى الآثار، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته.

وفي سنة ١٩٦١م أنشئ (المجمع العلمي الأردني) يهدف أولَ ما يهدف إلى شؤون التعريب والترجمة والنشر، ثم في سنة ١٩٧٦م حول اسمه إلى (مجمع اللغة العربية الأردني).

وقد استعملتْ كلمة (العلمي) في تلك المجامع، يقصد بها الشمول، لا ليفهم منها مدلولها في هذا العهد، ولهذا لم يسلم إطلاق ذالك الاسم على المجامع من نقد ـ انظر ملحق جريدة «النهار» البيروتية بتاريخ الأحد ١٩٧٢/١/٢٣م ـ.

وإنشاء المجامع على ذالك النحو هو ما تقضي به طبيعة التدرج فيما يُرَادُ الوصول إليه، وهذا ما أردته حين عارضت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي، ودعوت إلى إنشاء مجمع علمي عام.

ومما يلاحظ بين المثقفين عامة عدم التفريق بين المجامع العلمية والمجامع اللغوية في البلاد العربية، وأعني بالمجامع العلمية مجامع دمشق وبغداد وبيروت، إذ لمسمى المجامع العلمية الآن مدلول آخر هو اختصاصها بما يتصل بالعلم الطبيعي كالطب وغيره من العلوم، ففي مصر ـ مثلاً ـ (المجمع العلمي) وهذا غير (مجمع اللغة العربية) الذي أُنْشِئَ في ١٤ شعبان ١٣٥١هـ (١٣ كانون أول ١٩٣٢م) وحُدِّدَتْ أغراضُهُ بالمحافظة على سلامة اللغة، وجعلِها وافيةً بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر، مع الاهتمام بكل ماله شأن في تقدم اللغة العربية من حيث الدراسات وتأليف الكتب ونشرها.

ويُعَدُّ مجمع اللغة العربية في القاهرة هو المجمع الذي خصص جميع أغراضه لكل ما يتعلق باللغة العربية بخلاف المجامع الثلاثة فأعمالها عامة.

وتبعاً لسنة التطور فقد قويت الصلة بين المجامع في القاهرة ودمشق وبغداد وعَمَّان، بحيث كُوِّنَ اتحاد بين تلك المجامع.

ففي سنة ١٩٧١م في منزل الدكتور طه حسين ـ حين كان رئيساً لمجمع اللغة العربية في القاهرة ـ بحضور عدد من أعضاء تلك المجامع كون اتحاد المجامع العربية الثلاثة، بعد توقف مجمع بيروت، ثم انضم مجمعُ عَمَّانَ إلى الاِتِّحادِ بحيث كان الداعي إلى انعقاد الدورة الرابعة في شهر أكتوبر ١٩٧٨م في مَقَرِّهِ.

وقد لوحظ عند وضع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية أن يكون الباب مفتوحاً لكل مجمع لغوي علمي، تنشئه دولة عربية مستقلة أن ينضم إلى ذالك الاتحاد.

أما وبعد أن بدأَتْ جامعات بلادنا تؤتي ثمارها بتخريج عدد مِمَّنْ تخصص في مختلف العلوم والثقافة، فقد أصبحت هذه البلاد مطالبةً أكثر من غيرها بالمشاركة في هذا الجانب الثقافي، الذي بذلتْ في سبيله تلك الأقطار العربية ما برز أثره النافع واضحاً، وذالك في الحفاظ على ما يُعَدُّ من أقوى أسس كياننا العربي الإسلامي وهو لغتنا العربية.

ولقد اتصلت بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب وراعي الشؤون الثقافية بصفةٍ عَامَّةٍ، فَعرضتُ عليه فكرة إنشاء مجمع علمي عربي، فوجدت لديه من الاستعداد لتحقيق تلك الفكرة مادفعني إلى أن أوَجِّهَ له كتاباً بتاريخ ١٣٩٦/٦/٢٦هـ خلاصته: إيضاح الحاجة إلى إنشاء مجمع علمي عربي، يُعْنَى أول ما يعنى بالمحافظة على اللغة العربية، وبالحرص على جمع التراث العربي والإسلامي، وما يتعلق بهذين الأمرين مما عُنِيَتْ به المجامع في الأقطار العربية الأخرى كالشام والعراق ومصر، ورأيت التمهيد لذالك بإعداد لجنة يشترك فيها ثلاثةُ أعضاء من المجامع العربية الثلاثة، تخطط للمجمع، وتحدد اختصاصاته، وتقدر موازنةَ ما يحتاج إليه من نفقات، وتضع أُسُساً لترشيح أعضائه.

كما اقترحت عشرة أسماء للجنة منهم خمسة من أساتذة الجامعات هم حسب الترتيب الهجائي: -

١ ــ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب.
٢ ــ الدكتور حسن شاذلي فرهود.
٣ ــ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري.
٤ ــ الدكتور عبدالله بن ناصر الوهيبي.
٥ ــ الدكتور محمد حسن باكلا.

كما رأيت أن ينضم إلى اللجنة من الأساتذة المعروفين باهتمامهم بتلك المباحث وهم: -

١ ــ الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي.
٢ ــ الأستاذ عبدالله بن خميس.
٣ ــ الأستاذ محمد بن عمر بن عقيل.
٤ ــ حمد الجاسر.

ولاشك أن سمو الأمير فيصل عُنِيَ بِالْأَمْرِ عنايةً كان من أثرها أنه أثناء الاحتفال الذي رأسه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ أيده الله ـ لمنح جائزة الدولة التقديرية في الأدب لثلاثة من أدباء المملكة في ٢٧ المحرم ١٤٠٤هـ كان أَوَّلُ المتحدثين الرئيسَ العامَّ للجنة الجائزة الأميرَ فيصلَ بْنَ فهدٍ، فَزَفَّ إلى الحاضرين نبأً سارًّا حينما قال في خطابه: (وإنه يشرفني يامولاي في هذا اليوم التاريخي أَنْ أُعْلِنَ أَمْرَ جلالتكم الكريم الذي تَفَضَّلْتَ ـ حفظك الله ـ وأصدرتَهُ أَمْسِ بِإِنْشَاءِ (مجمع علمي لغوي) يرعى علوم اللغة وآدابها، ويجيءُ تتويجاً لما قدمت وتقدم ـ يامولايَ ـ من عطاءٍ للفكر والثقافة.

وبإذن الله فإنَّ هذا الإنجاز الكبير سوف يتحول إلى شعلة أُخْرَى تضيء لشعبك الطريق نحو المستقبل المشرق بإذن الله ، باسم هيئة الجائزة وباسمي يامولاي أتقدم إليك بالشكر والامتنان والمحبة).

كان لِنَبَإِ صدور أمر مليك البلاد بإنشاء ذالك المجمع الأثر العظيم في نفوس جميع المعنيين بالشؤون الثقافية، لإدراك هاؤلاء ما يترتب على هذه اللفتة الكريمة من اهتمام ورعاية لرافد عظيم من روافد العلم والمعرفة، ولما يدل عليه من أن مليك البلاد لا يفتأ في كل مناسبة أن يشمل برعايته كل جانب من جوانب الحياة الثقافية التي تتوقف عليها حياة الأمة بصفة عامة .

من هنا كان لابد من الاتجاه لتهيئة من سيتولون العمل في هذا المجمع بحيث يكون العضو العامل فيه مُلِـمًّا بما تسير عليه المجامع الأخرى فيما تقوم بدراسته أو عرضه أو مناقشته من موضوعات علمية لغوية أو غيرها .

وقد رأيت أن أبذل ما أستطيع من جهد في هذا السبيل لدى (مجمع اللغة العربية) في القاهرة الذي مضى لي وأنا أُمارسَ ما استطيع من نشاط فيه أكثر من ربع قرن حيث استقبلت عضواً عاملاً فيه في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٩/١/٥م) فتقدمت إلى هذا المجمعِ مُرَشِّحاً أربعةً من الإخوة الأساتذة للانضمام إلى أعضاء المجمع الذي بادر إلى تحقيق هذه الرغبة ، فأصدر قراراته بضمهم إلى إخوانهم حيث أصبحوا أعضاء ، يُدْعَوْنَ في كل دورة من دورات المؤتمر السنوي للمشاركة في دراسة ما يُعْرَضُ أثناء تلك الدورة من قراراتٍ ، وما يقدم من آراء ومقترحات، كما يشاركون بما يرغبون المشاركة فيه من محاضرات، وقد تحال إليهم وهم في بلادهم بعض الموضوعات اللغوية التي تحتاج إلى دراسة ليبدوا آراءهم نحوها، مع ملاحظة أن المؤتمر السنوي في (مجمع اللغة) يُعَدُّ السلطة اللغوية العليا، ولا تعتمد قرارات المجمع نافذةً إلا بموافقة أغلب أعضائه العاملين، وهَاهُمُ الأساتذة ـ الأسماء مرتبة على حروف المعجم ـ:

١ ــ حسن بن عبدالله القرشي.
٢ ــ عبدالعزيز الرفاعي.
٣ ــ عبدالله بن خميس.
٤ ــ محمد بن عمر بن عقيل (أبو عبدالرحمن).

قد يقال: ولماذا لم يكن من بين هاؤلاء أحدٌ من أبناء البلاد الذين أكملوا دراساتهم الجامعية، وتخصصوا في الدراسات اللُّغوية من العاملين في جامعات البلاد السبع ؟ وهذا حق، ولكن ترشيح أولئك يكون من قبل الجامعات التي يعملون فيها، ولعل لتلك الجامعات وللْمَعْنيين بشؤونها بعض العذر في انصرافهم عن هذا الأمر بعملهم في تلك الجامعات، عملاً استغرق جميع جهودهم.

وبعد: فلقد كَانَتِ اللغةُ العربيةُ السائِدةَ في جزيرة العرب، في جميع أقطارها منذ أقدم عصورها إلى ما قبل قَرْنَيْنِ من الزمان، حيثُ لم يختلط سكانُها بمن يُؤَثِّرُ في لغتهم بلغة تزاحمها، ولكنها في العهد الحاضر أوشكَتْ أن تبلغ من الضَّعْفِ درجةً جعلتها عرضةً لتوجيه سهام النقد والنيل منها لا من أعدائها فحسب، بل أصبح النَّاطِقُونَ بها يرمونها بمختلف النقائص والعيوب، والْـمُحْزِنُ حقًّا أنَّ من هاؤلاء الناطقين مَنْ هو ممن كان يُنْظَرُ إليه نظرة المدافع الغيور على لغته وأمته. فَمِنْ دَاعٍ إلى تجريدها من أقوى مُقَوِّماتِها، بدعْوَى أن التَّقَيُّدَ بقواعدها من حيث الإعراب والبناء ـ من نَحْوٍ وصرفٍ ـ مما لا يستطيعه إلا مَنْ تَعَمَّقَ في الدراسات اللغوية، بخلاف غيرها من لغات العالم التي من أسباب سهولتها تَجَرُّدُهَا من تلك القواعد، ومن ثَمَّ حَدَثَتْ فكرة الدعوة إلى الأخذ باللهجات العامية، وكان أن اتَّجه كثير من ذوي الأفكار المشبوهة ـ بل والتي تتصف بِالْعِدَاء الواضح للغة العربية ـ لدراسة لَهَجَاتِ كل قطر من الأقطار العربية على حِدَةٍ، لا بدافع الرغبة بمعرفة مدى ارتباط تلك اللهجة باللغة الأمِّ وهي الفصحى، بل لترويج إحْلالها محل هذه الأم، وخاصَّةً في البلدان النائية عن تأثير العجمة في سكانها، ولمُحاولة تفكيك الْتِئَامِ الناطقين باللغة الفصحى وتمزيق وحدتهم ـ وما تَزْخَرُ به صحافة اليوم ـ من لغو القول وساقطه باللهجات العامية في كل قطر من الأقطار العربية ـ ماذالك سوى انْجِرَافٍ واستجابةٍ لتلك الفكرة التي يراد منها القضاء على اللغة العربية، وإن لم يدرك بعض المعنيين بشؤون الصحافة ذالك.

واتَّخَذَ آخرونَ من الكتابة العربية مَنْفَذاً للنيل من اللغة نفسها، بدعوى أنَّ صُورة الكلمة المكتوبة لا تمكِّنُ مَنْ لم يكن لديه مِرانٌ وطولُ معاناةٍ من النطق الصحيح بها، بخلاف الكتابة بالحروف اللاتينية حيث تُلْحَقُ الحركاتُ بالحروف

كتابةً ، ومن هُنَا نَشَأَتِ الدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية.

وأتى فريقٌ ثالثٌ فزعم أنَّ اللغة العربية تعجزُ عن مجاراة ما تُنْتجه العقول من مخترعاتٍ في مختلف متطلبات الحياة، ولا ما تبدعه الأفكار من روائع العلوم والمعارف ، وهذا العجز يدفع إلى الاستعاضَة عنها وخاصَّةً في تدريس المواد العلمية كالطِّبِّ وغيره بلغة أولئك الذي اخترعوا تلك الآلات والأدوات، وابتدعوا النظريات العلمية المذهلة.

إلى غير ذالك من المنافذ الواسعة التي وَلَج منها أعداءُ العروبة والإسلام لتقويض أقوى الأسس التي بُنِي عليها كِيانُ الأمة العربية، ولكنَّ الله قَيَّضَ للغة كتابه الكريم حُمَاةً تَصَدَّوْا بما أُوْتُوا من علم لِدَرْءِ ما يُوَجَّهُ نحوهَا من مكايد ، ولفضح ما يُحَاكُ حولها من دسائس للنيل منها أو الغَضِّ من قدرها .

وقد كان لعلماء الكنانة مُمَثَّلِيْنَ في الـمَجْمَعِيْنِ العِلْمِيَّيْنِ العظيمين (الأزهر) ثم (مجمع اللغة العربية) كان لهم فضل السبق في هذا المضمار، منذ أن جَأَر شاعر النيل حافظ إبراهيم بصرخته الْـمُدَوِّيَةِ ـ على لسان اللغة العربية ـ:

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ في الْـجَرَائِدِ مَزْلَقًا ... إِلَى الْقَـبْرِ يُـدْنِيْنِي بِغَـيْرِ أَنَـاةِ
وأَسْمَعُ لِلكُتَّابِ في مِصْرَ ضَجَّةً ... فـأَعْلَمُ أَنَّ الصَّـائِحِيْنَ نُعـاتِي

ومن خلال تلك الصرخة تَبْدُو لَفْتَةٌ ذِهْنَيَّةٌ من هذا الشاعر العَبْقَرِيِّ نحو ما لأهل هذه البلاد في ماضِيهم ـ بل وما يُتطلع إليه منهم في حاضرهم ـ إزاءَ الذود عن حمى هذه اللغة الكريمة :

سَقَى الله في بَطْنِ الْجَزِيْرةِ أَعْظُماً ... يَعِـزُّ عَلَيْهَـا أَنْ تَلِيْنَ قَنَـاتِـي
حَفِظْنَ وِدَادِيْ في الْبِلَى وحَفِظْتُهُ ... لَهُنَّ بِـدَمْـعٍ دَائِـمِ الْـحَسَرَاتِ

ولئن اخْتَفَتْ أشباحُ تلك الأَعْظُمِ الطاهرة ، الْحَفِيَّةِ الْوَفِيَّةِ بكل ما يُعْلِي شأن الأمة، فقد أخلف الله من أعقابها من سار على نهج الآباء والأَجْداد، فبرَّز في صفاته الحميدة، وأعماله الصالحة :

إِنَّـا وإِنْ أخـلاقُنـا كَـرُمَـتْ لَسْنَـا عـلى الآبـاءِ نَتَّكِـلُ
نَبْنِي كـما كـانَتْ أَوَائِلُنَـا تَبْنِي وَنَفْعَـلُ (فَـوْقَ) مـا فَعَلُوا

وفي هذا العهد الميمون الذي تَتَفَيَّأُ البلاد فيه ظِلَّ حكم ملك عادل عامل، لا يَدَّخِرُ وُسْعاً في سبيل عِزَّتِها ورفعة شأْنِهَا، فأَوْلَى الجانب العلميَّ من ذالك الـجُهْد المبارك النصيب الوافر، بإنشاء الجامعات ومَعَاهِدِ العلم والمصانع ومختلف المنشآت الحيوية، ومن بينها مما يتصل بهذا الجانب المؤسسة العظيمة التي أمر خادم الحرمين الشريفين بإنشائها في مدينة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ للعناية بنشر القرآن الكريم في جميع أنحاء العالم.

ولقد كان ـ أدام الله له العز والتوفيق ـ يدرك أنَّ من لازم العناية بكتاب الله ـ حماية لغته الكريمة، وبذل جميع الوسائل لإعزازها وصيانتها، ونشرها بطريقة تُيَسِّرُ فَهْمَها وتُحِلُّهَا أَرْفَعَ منزلةٍ ـ حيث أحلَّها الله باختيارها لغة خطابه إلى خلقه حِيْنَ أَمَرَ منذ ثماني سَنَواتٍ بِإِنْشَاءِ مجمع لغويٍّ يكون صِنْـوًا لتلك المؤسسة التي جنى العالم الإسلامي في مختلف أقطاره من يانع ثمارها الطيبة وبإيجاد مؤسسة ثقافية تعنى بلغة القرآن الكريم تتآزر المؤسستان بروافد فكرية تقوم على أساس من العلم والعمل وبهما يتم النفع.

ولقد كانت بادرةً كريمةً لايزال كل غيور على لغة القرآن العزيز يتطلَّعُ إلى تَحْقيقها وذالك بتنفيذ الأمر الملكي الكريم بإنشاء المجمع اللغوي، الذي كان لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد ـ الرئيس العام لرعاية الشباب ـ اليد الطُّولى برعايته، والاهتمام به، حتى اجتاز دور الإجراءات الإدارية، ولم يبق سوى السير في خطوات التنفيذ.

وفي سمو همة هذا الأمير الشهم، وصدق وطنيته، وحرصه ومسارعته لفعل كل مافيه نفع لأمته، ما يحقق الأمل بأنه وقد تبنَّى رعاية هذا الأمر سيبذل جُهْدَهُ لإتمامه على خير الوجوه (ورحم الله امْرَأً عمل عملاً فأكمله).

حمد الجاسر

الْحُمْسُ وأحوالهم قبيل الإسلام

لاريب في أن معظم العرب الجاهليين، قبل الإسلام، كانوا يُقدِّسُونَ بيت الله الحرام، ويحجون إليه، ويقومون بالشعائر، ويؤدون المناسك، تلك التي انحدرت إليهم من عهد إبراهيم عليه السلام؛ بَيْدَ أَنَّ الباحثَ في أخبارهم يجد أنَّهم لم يكونوا يسلكون في أدائهم لمناسك الحج سلوكاً واحداً، وإنما يَلْحَظُ أن قريشاً وأهل مكة كانوا يميزون أنفسهم عن باقي الحجيج؛ إذْ يقومون بأمور خَصُّوْا أنفسهم بها، حتى إن بعض المصادر أكَّدَتْ أنَّ الحجاج حينذاك كانوا يُقسَمُون إلى أقسام: قسم يضم أهل مكة وقريشاً خاصة، دُعي بالحُمْس، وقسم دُعي بِالْحِلَّة، وقسم دُعي بالطُّلْس.

ولم تَرِدْ إلينا تفسيراتٌ واضحة عن القسمين الأخيرَيْن، أما الْحُمْسُ فقد اهتمت الروايات بهم، وأوردت كثيراً من أخبارهم، كما اهتم الشعر الجاهلي بهم أيضاً، فعرض لهم في مواطن عدة منه.

وبيان ذلك أن قريشاً وأهل مكة كانوا يرون أنفسهم في منزلة أَرْفَعَ من منزلة باقي العرب، لمجاورتهم بيت الله الحرام، ولقيامهم على رعاية المناسك والشعائر، ولاهتمامهم بشؤون الحجاج في معظم الحالات؛ وفضلاً عن ذالك فإنهم كانوا يرون أن سكناهم في الحرم قد مَنَحهم مزيَّةً خاصَّة؛ فكانوا يقولون: (نحن بنو إبراهيم وأهلُ الحُرْمَة، ووُلاّةُ البيتِ، وقُطَّانُ مكة وساكنوها، فليس لأحدٍ من العرب مثل حَقِّنا، ولا مثلُ منزلتنا، ولا تعرف له العربُ ما تعرف لنا؛ فلا تُعَظِّمُوا شيئاً من الحِلِّ كما تعظمون الحَرَم! فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفَّت العرب بحرمتكم... وقالوا: نحن أهلُ الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرْمَةِ، ولا نعظِّم غيرها كما نُعظِّمها، نحن الحُمْس... ثم جعلوا لِـمَنْ وَلَدُوا منَ العرب، من ساكني الحِلِّ والحَرَم، مِثْلَ الذي لهم بولادتهم إياهم، يَحِلُّ لهم ما يَحِلُّ للحُمْس، ويُحَرَّم عليهم ما يُحَرَّم على الحُمْس. وكانت كِنانةُ وخُزاعة قد دخلوا معهم في ذلك)[1].

ويفهم من هذا النَّصِّ أنَّ الحُمْسَ هم ساكِنو الحرم من قريش وغيرها، وكذالك مَنْ وَلَدَ هؤلاء من العرب. كذالك فقد ورد أنَّ الحُمْسَ أهل مكة: قريشاً وخُزاعة، ومَنْ دان بدينهم ممَّن وُلِدُوا من حُلَفائهم، وإن كان من ساكني الحلِّ[٢].

أما عن سبب تسميتهم بالحُمْسِ فقيل: إنهم دُعُوا حُمْساً لِتَشَدُّدِهِمْ على أنفسهم في دينهم[٣]؛ ذالك أنَّ الحُمْسَ جمع أَحْمَس، من فعلِ (حَمَسَ)، أي اشْتَدَّ وصَلُبَ في الدين والقتال، والحُمس: لقب قريش وكِنانة وجَدِيلة، ومَنْ تابعهم في الجاهلية لَتَحَمُّسِهِمْ في دينهم[٤].

وأما بداية أمرهم فلا يُعْرَفُ تَمَاماً، ويبدو من الروايات أنه لا يعود إلى زمن بعيد في الجاهلية؛ بل إن بعضها يشير إلى أنه حدث بعد وقعة الفيل[٥]، غير أن ابن إسحاق لم يستطع حسم ذالك، فقال: (وقد كانت قريش، لا أدري أقبل الفيل أم بعده، ابْتَدَعَتْ رأْيَ الحُمْس رأياً رأَوه وأداروه)[٦].

ولكن ما ذالك الرأي الذي رأوه، وما تِلْكَ الأمور التي أداروها؟

إن أهم الآراء والأمور التي ابتدعها الحُمْسُ أنهم في الحج قد تركوا الوقوف على عَرَفَاتٍ، والإفاضة منها: (وهم يعرِّفون، ويقرُّون أنها من المشاعر والحجّ ودين إبراهيم؛ ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها، وأن يُفِيْضُوا منها؛ إلا أنَّهم قالوا: نحن الحُمْسُ أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم، ولا أن نعظِّم غيره)[٧].

وإذا وقَفَ الناس على عَرَفَاتٍ جعل الحُمْسُ موقفهم في طرف الحرم، في مكان يُدعى (نَمِرَةَ) يقفون فيه عشية عَرَفات، ويفيضون منه إلى المُزْدَلِفَة[٨] وظلَّ ذالك حتى الإسلام؛ فنزلت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ ثمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أفاضَ النَّاسُ ﴾[٩]. وورد في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها: أن هذه الآية نزلتْ في الحُمْس، قالت: كانوا يُفيضون من جَمْع فَدُفِعُوا إلى عَرَفات)[١٠]. وبذالك أُمِرَ الحُمْسُ أن يقِفُوا مع سائر الحجاج على عَرَفات وأن يفيضوا معهم منها.

وقد ألزم الحُمْسُ أنْفُسَهُمْ بأمور أخرى، جعلوها خاصة معهم، لا يكمل حَجُّهُمْ إلا بها؛ ففي المأكل أوْجَبوا على أنفسهم ألاَّ يطبخوا أَقِطاً[11]، ولا يَسْلَؤُوا سَمْناً، ولا يدخروا لبناً، ولا يَمَسُّوا دُهْناً، ولا يأكلوا لحماً ولا شيئاً من نبات الحرم. وفي الملبس رفَضُوا في حجهم أن يَنْسجوا شَعَراً أو وَبَراً أو صُوْفاً أو قطناً، ورأوا ألاَّ يلبسوا إلا جديداً. وفي المسكن كانوا في حجّهم لا يدخلون بَيْتاً من شَعَرٍ، ولا يستظلون إذا استظلوا إلا في بيوت الأَدَم[12].

وفضلاً عن ذالك فإنهم كانوا لا يلِجُون البيوت من أبوابها[13]؛ لأن الحُمْسَ لا يدخلون تحت سَقْفٍ، ولا يحول بينهم وبين السماء عَتَبَةُ بَابٍ ولا غيرها؛ فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسنَّم البيت من ظهره، ولم يدخل من الباب[14]. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذالك منبِّهاً إياهم على ترك ما اعتادوا عليه في جاهليتهم؛ وذلك في قول جلَّ وعلا: ﴿. . . وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا، وَلَكِنَّ البِرَّ مَنَ اتَّقى، وأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا. . .﴾[15].

ولم يكتف الحُمْسُ بما ألزموا أنفسهم به من هذه الأمور وإنما أوجبوا على غيرهم من العرب أشياء أُخَر؛ فقالوا: (لاينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحلِّ في الحَرَم، إذا كانوا حِجَّاجاً أو عُمَّاراً، ولا يأكلوا في الحَرَم إلاَّ من طعام أهل الحَرَم؛ إمَّا قِراءً، وإمَّا شراءً)[16]. كما فرضوا على غيرهم، إذا أتى للطواف بالكعبة أول مرة، أن يطوف بثياب من عندهم، إمَّا إعارةً، وإمَّا إجارةً، فإن لم يجد طاف عُرياناً[17]. وكذالك فإنهم قد اشترطوا على مَنْ يزوجوه امرأة منهم أن كلَّ مَنْ وَلَدَتْ له فهو أَحْمَسُ على دينهم)[18].

وإذا كان الحُمْس قد شَدَّدُوا على أنفسهم في دينهم فإنهم من جهة أخرى أفادوا من هذا الأمر، وانتفعوا به كثيراً، حين حرَّموا على غيرهم من العرب أن يجلبوا معهم طعاماً زمن الحج، وليس يعقل أن يكون طعام الحجيج كله قِراءً أو إضافة.

وينطبق الأمر نفسه على الثياب التي كانوا يؤجرونها لَمَنْ يطوف بالبيت حاجًّا لأول مرة. وأهم من ذلك كله ما ورد من أنهم كانوا يأخذون من الحجاج الذين

ينزلون بهم بعض ثيابهم أو بعض بُدُنِهم التي ينحرونها، ويُسمَّى ما يأخذون بـ (الحريم).

ومصداق ذلك ما روي عن ظُوَيْلم الذُّبْيَاني من أنه لُقِّب بـ (مانع الحريم) لأنه خرج في الجاهلية يريد الحجَّ، فنزل على المُغِيرة بن عبدالله المخزومي، فأراد المغيرة أن يأخذ منه ما كانت تأخذه ممَّنْ نزل عليها، فامتنع عليه ظويلم. وقد ضَمَّنَ شعره ما لاقى من المغيرة، مستَعيناً عليه بحرمة مناسك الحج ومشاعره وبالله القدير الذي هو القصد والغاية من الحج[١٩].

يَارَبِّ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ غَفِيرَهْ[٢٠]
إنَّ مِنًى مَانِعُهُ المُغِيرَهْ
وَمَانِعٌ بَعْدَ مِنًى ثَبِيْرَهْ
وَمَانِعِي رَبِّيَ أنْ أُزْوَرَهْ

وقد أفاد الحُمْسُ أيضاً حين أصبح كل مَنْ وُلِدَ من نسائهم على نَهْجهم في ديانتهم، فإذا لم يكن متحالفاً معهم فهو على الأغلب ميَّالٌ إليهم. ويبدو أنَّ الانتساب إلى الحُمْسِ كان يُعَدُّ آنذاك مفخرة كبيرة؛ فحينما كان بنو عَبسٍ حلفاءَ لبني عامر بن صَعْصَعَة، وهم من الحُمْسِ، في يوم جَبَلَة، افتخر لَقِيْط بن زُرَارة الدارميُّ بذالك التَّحالف، وجعل بني عبسٍ من الحُمْسِ لمخالفتهم إياهم؛ وذلك حين قال[٢١]:

أَجْذَمَ، إلَيْكَ، إنَّها بنو عَبِسْ[٢٢]
أَلْمَعْشَرُ الجِلَّةُ فِيْ القَوْمِ الحُمُسْ[٢٣]

وإذا ذُكِرَ الحُمْسُ في الشعر فإننا نجدهم ينعتون بالحرمة والشجاعة؛ على نحو مانرى ذالك في قول ساعدة بن جُؤَيَّة الهُذَلي، مادِحاً شجاعة قوم[٢٤].

يُدْعَوْنَ حُمْساً وَلَمْ يَرْكَعْ لهم فَزَعٌ حتى رَأَوْهُمْ خِلاَلَ السَّبْي وَالنَّعِمِ[٢٥]

وذكر سَلامة بن جَنْدَلٍ أنهم جمعوا الجموع الكبيرة لملاقاة قومٍ من الحُمْسِ، لِما يُعرف من شجاعتهم وبأسهم وشدتِهم[٢٦]:

مِنَ الحُمْسِ إذْ جَاؤُوا إلينا بجمعِهِمْ غـداةَ لَقِيْنَاهم بِجَـأْوَاء فَيْلَقِ[٢٧]

وقد أشار إلى الحُمْسِ أيضاً عَمْرُو بن مَعْدِي كَرِب مُحَذِّراً في شعره العباسَ بن مِرداسٍ السُّلَميَّ من معاداته[٢٨]:

أعبَّاسُ، لو كـانتْ شِيَـاراً جِيَـادُنـا بِتَثْلِيْثَ، مانَاصَبْتَ بَعْدِي ٱلْأَحَامِسَا[٢٩]

هذا عن الحُمْس أما باقي العرب من غير هؤلاء فقد كانوا يسمونهم (الحِلَّة)؛ لأنهم كانوا يسكنون الحِلَّ، والحِلُّ ماجاوز الحرم[٣٠]. ويُستثنى من هؤلاء (الحِلَّة)، كلُّ من ولدتْ قريش من العرب، وكل مَنْ نزل مكة من القبائل، وإن سكن منهم في الحِلِّ، لأنهم من الحُمْسِ[٣١].

وقد اختلف (الحلَّة) في بعض الأمور؛ منها أنهم كانوا، إذا نسكوا للحج، سَلأوا السَّمْنَ، وطبخوا الأقِطَ، ومَسُّوا الدُّهْنَ، وأكلوا اللحم؛ وكذالك فإنهم لم يحرّموا نسج الثياب؛ فكانوا يَجُزُّون من الأوبار والأشعار والأصواف ما يكتفُون به، وكانوا لا يلبسون ثياباً جديدة، وإنَّما يظلون في ثيابهم التي نسكوا فيها. فإذا دخلوا مكَّة، بعد فراغهم من الحج، تصدقوا بكل حِذَاءٍ وبكل ثوب لهم، ثم استكْرَوْا من ثياب الحُمْسِ، تنزيهاً للكعبة أن يطوفوا حولها إلا في ثياب جددٍ[٣٢].

وجاء في بعض الروايات أنه كان ثَمَّة قسم ثالث من الحجاج دعوا بـ(الطُّلْس)، وقيل: إنهم سائر أهل اليمن، وأهل حضرموت، وعَكّ، وعَجُيب(★)، وإياد بن نزار[٣٣]. وقد دُعُوا بذالك لأنهم كانوا يأتون من أماكن بعيدة وهم طُلْسٌ من الغبار، فيطوفون بالبيت الحرام على تلك الحال[٣٤].

وكان هاؤلاء (الطُّلْس) بين (الحِلَّة) والحُمْس، يصنعون في إحرامهم ما يصنع (الحِلَّة)، ويصنعون في ثيابهم ودخولهم البيت الحرام ما يصنع الحُمْس؛ فكانوا لا يَتَعَرَّوْنَ حول الكعبة، ولا يستَعِيرون ثياباً، ويقفون بعرفة مع (الحِلَّة) ويفيضون معها[٣٥].

وهكذا نجد أنَّ الحُمْس قبل الإسلام كانوا من العرب الذين شَدَّدوا على أنفسهم في الحج من جهة، ووسعوا عليها من جهة أخرى؛ وحجتهم في ذلك أن

لهم مزية على غيرهم جاءَتْهم من مجاورتهم الكعبة، وسكناهم في الحرم؛ أما سائر العرب فقد وافقوهم في بعض الأمور، وخالفوهم في بعضها. وذالك كله يدل على ماكانوا يولونه للحج ومشاعره من أهمية كبرى في نفوسهم؛ ظهرتْ في تَمسكهم بشعائر الحج وما تتَطلبه من سلوك؛ سواء أكان في المأكل أم في الملبس أم في نواحي المعيشة المختلفة.

حلب ــ كلية الآداب ـ: د. عبدالغني زيتوني

الحواشي والمصادر :

(١) «السيرة النبوية»: ١/١٩٩، لابن هشام، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، ط. مصر ١٩٥٥م وانظر «أخبار مكة»: ١/١١٣، للأزرقي، ط. مكة المكرمة ١٣٥٢هـ

(٢) «أخبار مكة» ١/١١٤، و«المحبَّر»: ص ١٧٨، لابن حبيب، تصحيح إيلزة ليحتن شتيتر، ط. بيروت.

(٣) «القاموس المحيط»: مادة (حمس)، وأخبار مكة: ١/١١١، والمحبَّر: ص ١٨٩.

(٤) «القاموس المحيط»: مادة (حمس) وقد ورد فيه: (وقيل إنهم لقبوا بذالك لالتجائهم بالحمساء، وهي الكعبة، لأن حجرها أبيض إلى السواد).

(٥) «أخبار مكة»: ١/١١٣.

(٦) «السيرة النبوية» ١/١٩٩.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها، و«أخبار مكة»: ١/١١٣.

(٨) «أخبار مكة»: ١/١١٦.

(٩) البقرة: الآية ١٩٩، وانظر «تفسير ابن كثير»: ١/٢٤٢، ط. البابي الحلبي بمصر.

(١٠) «صحيح البخاري»: ٢/٢٠٠، ط. مطابع الشعب، مصر ١٣٧٨هـ.

(١١) الأقِط: اللبن المجفف يُطبخ به.

(١٢) بيوت الأدَم: الأخبية التي تصنع في الجلد.

(١٣) «المحبَّر»: ص ١٨٠، و«تاريخ اليعقوبي»: ١/٢٩٧، ط. بيروت ١٩٥٥.

(١٤) «الروض الأنف»: ٢/٢٩٢، للسهيلي، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، ط. القاهرة ١٩٦٧.

(١٥) البقرة: الآية ١٨٩، وانظر تفسير ابن كثير: ١/٢٢٥.

(١٦) «أخبار مكة»: ١/١١٤.

(١٧) «السيرة النبوية»: ١/٢٠٢.

(١٨) «أخبار مكة»: ١/١١٥.

(١٩) «الاشتقاق»: ص ٢٨٢، لابن دريد، تحقيق عبدالسلام هارون، ط. مصر ١٩٥٨.

(٢٠) غَفيرة: مفغرة.

(٢١) «السيرة النبوية»: ١/٢٠٠.

(٢٢) أجذِمْ: زجر للخيل.

(٢٣) الجلَّة: العظماء.

(٢٤) «ديوان الهذليين»: ١/٢٠٢، ط. القاهرة ١٩٥٤.

63785

كتاب «أمثال الحديث»

للقاضي أبي محمد الحسن الرامهرمزي

حققه وعلق عليه الدكتور عبدالعلي عبدالحميد الأعظمي ـ نشر الدار السلفية في بومباي ـ الهند سنة ١٤٠٤هـ[1]

أقول: إن «أمثال الحديث» نظير «الأمثال في القرآن»[2]، فهي في لغة التنزيل ضرب من التشبيه التمثيلي كما في قوله تعالى: ﴿ ألم تَرَ كيف ضَرَب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيبة ﴾ ٢٤ سورة إبراهيم.

وقوله تعالى: ﴿ وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنّة يأتيها رِزْقُهَا رَغَداً ﴾ ١١٢ سورة النحل.

وقوله تعالى: ﴿ ويَضْرِب الله الأمثالَ للناسِ لعلّهم يتذكّرون ﴾ ٢٥ سورة إبراهيم.

ومثل هذه الأمثال ماكان في لغة الحديث الشريف ومنه قوله ـ ﷺ ـ: «إنما مَثَلي ومَثَل الأنبياء قبلي كَمَثَل رجل بَنَى بنياناً فأحسَنَه وأجمله وأكمله إلاّ موضع لَبِنة فجعل الناس يطيفون به ويقولون ما رأينا أحسن من هذا لولا موضع هذه اللَّبِنة، ألا فكنتُ تلك اللَّبنة»[3].

---

(٢٥) يرتع: من الروع، وأراد: أنهم يُتقون فلا يُغزون، لأن لهم حرمة الحمس ←

(٢٦) «ديوان سلامة بن جندل»: ص ١٦٥، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط. حلب ١٩٦٨.

(٢٧) جأواء: كتيبة في لونها سواد، وفيلق: عظيمة، وصف بها الكتيبة.

(٢٨) «السيرة النبوية»: ١/٢٠٠، وشعر عمرو بن معدي كرب الزُبيدي: ص ١٢٥، تحقيق مطاع الطرابيشي، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٥م.

(٢٩) الشيار: السمان الحسان. وتثليث: وادٍ بنجد، على ثلاث مراحل ونصف من نجران إلى ناحية الشمال، وسكانه من بطون قَحطان، والشاعر يشير إلى واقعة جرت فيه.

(٣٠) «القاموس المحيط»: مادة (حل).

(٣١) «المحبَّر»: ص ١٧٨ ـ ١٧٩، و«أخبار مكة». ١/١١٥.

(٣٢) «المحبَّر»: ص ١٨٠.

(★) قد تكون (تحيب) ـ العرب ـ.

(٣٣) «المحبر»: ص ١٨١.

(٣٤) «الروض الأنف»: ٢/٢٨٩.

(٣٥) «المحبَّر»: ص ١٨١

وقوله ـ ﷺ ـ أيضاً: «ضَرَب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جَنْبتَي الصراط سور فيه أبواب مفتَّحة، وعلى تلك الأبواب ستور مُرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، ومن فوق الصراط داع ينادي، فمن أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتَحْهُ تَلِجْهُ. فالصراط هو الإسلام. والستور حدود الله، والأبواب المفتّحة محارم الله، والداعي القرآن، والداعي من فوق واعظ الله»[٤]. وإني لأجتزئ بهذين النموذجين من «أمثال الحديث» لأضع القارئ على بصيرة من الأمر، ثم أخلص لهذا الكتاب الجليل فأقف فيه وقفاتٍ مُقَوِّماً مادَّتَهُ، وما كان للمحقِّق الفاضل فيه. وقبل أن أبدأ هذا الذي حَبَسْتُ عليه هذا (الموجز) أودُّ أن أُشِيدَ بعمل المحقق العالم المخلص الذي انبرى لمهمته فأصاب وأجاد وأتى بفوائد جليلة تتضح فيها قدرته وعلمه فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء.

وأبدأ هذه «الوقفات» فأقول:

١ ــ جاء في الصفحة (س) في ترجمة المؤلف قول الدكتور مقتدي حسن ياسين من الجامعة السلفية ببنارس: (... وتفاصيل حياته العلمية...).

أقول: (التفاصيل) وإن كانت جمع المصدر تفصيل، هي توشك أن تكون عامية دارجة، وهي ترد في الكتابات الدارجة في الصحف وغيرها. وقد أراد بها الكاتب الدكتور مقتدى (الأحداث) التي عرضت للمؤلف وماجرى في سيرته العلمية.

قلت: (سيرته العلمية) ولم أقل كما قال الدكتور مقتدي (حياته العلمية)، ذالك أن كلمة (سيرة)، هي التي عُرفت في العربية واستعملها المصنفون فقالوا: «المغازي والسير» للواقدي و«السيرة النبوية» لابن هشام، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، و«سيرة عمر بن عبدالعزيز» لابن عبدالحكم وغير هذا.

أما كلمة (حياة) فقد أخذت من الانكليزية والفرنسية (Life وVie) واستعمل المعاصرون (حياة) وهي ترجمة في دراساتهم ومباحثهم.

٢ ــ وجاء في الصفحة (ص) قول الدكتور مقتدي: (وأسلوبه في شرح المسائل. . . ينمّ عن رسوخ قدمه. .) أقول: والفصيح المليح أن يقال: . . . ينمّ على رسوخ قدمه.

٣ ــ وجاء في الصفحة (ق) قول صاحبنا مقتدي: (والأبيات التي أوردها الثعالبي في رثاء ابن خلّاد لصديق له ووصفها بأنها في نهاية الحسن تدل على عظم مكانة صاحبنا. . . . . :

أودَى ابنُ خَـلَّادٍ قَرِيْـعُ زَمَانِـهِ . . . . . .

أقول: إن المرثي هو ابنُ خَلَّاد الرامهرمزي مؤلف الكتاب، غير أن عبارة الدكتور مقتدي لا توضح هذه الحقيقة، فقد يفهم منها أن المرثي هو (الصديق) وأن ابن خلّاد هو قائل الأبيات، والحقيقة هي العكس. ولو أن صاحبنا (مقتدي) قد أحسن كلامه لأبعد الإشكال الذي حصل.

انتهت ترجمة المؤلف للدكتور مقتدي، وانتهى وقوفي فيها، وأتحول بعد ذالك إلى كلمة المحقق فأقول:

١ ــ جاء في الصفحة (م) قول المحقق: (وأنا حين أقدم هذا الكتاب أريد أن أعبّر عن شكري الخالص (للمسئولين) في جامعة بايرو. . .).

أقول: لقد رسم المحقق همزة (مسئول) على النَّبْرَة، هذه التي تدعى (الكرسي) في اللغة الدارجة. والهمزةُ مضمومةٌ، وحَقُّها أنْ ترسم على واو (مسؤول).

إن رسم الهمزة قد أوقع المتأدبين في شبهاتٍ، وهذا مُتَأَتٍّ من أن الهمزة لم يكن رسمُها في عدّة الحروف الثمانية والعشرين، وحقها أن يكون لها مكان في الحروف الهجائية، وكان من الحق والعلم ذالك، لأن الهمزة صوتٌ كالعين والهاء والحاء والخاء والغين من أصوات الحلق. ولو أننا راعينا هذا وأثْبَتْناها في الرسم لتخلّصنا من المشكلات التي نقع فيها في الكتابة، ولما اختلفنا في هذا الرسم، ولم نحتج إلى وضع الكتب الموجزة فيما يدعى (إملاء)، وليس هو (إملاء) بل هو شيء يدخل في رسم الأصوات العربية. وقد أهمل المتقدمون رسم الهمزة ولم ترد في خطوطهم في

المخطوطات القديمة، وربّما سهّلوها وجعلوها ألِفاً وواوًا وياءً كما في (رأس) و(بُؤْس) و(بئر). إنك تجد هذه في المخطوطات: (راس) و(بوس) و(بير).

٢ ــ وجاء في الصفحة (ن) قول المحقق: (واخبرني (محمد عزيز السلفي) أنه اشتغل في دراسة كتاب «أمثال الحديث...»).

أقول: قول المحقق (أنه اشتغل...) فصحيح صحيح، غير أني أودّ أن أقول: إنَّ (الاشتغال) بمعنى الدرس أو الدراسة قد جدّ وعُرف لدى أهل العلم في العصور المتأخرة، وليس في ذالك خير.

انتهت كلمة المحقق وإني بعد ذالك مُتحوِّلٌ إلى الكتاب فأقول:

١ ــ جاء في الصفحة (٨) قال عبدة بن (الطيب) (كذا).

أقول: هو عبدة بن الطبيب لا (الطيب)، ولعل ذالك من الخطأ المطبعي، لعلمي أنّ المحقق لا يمكن أن يأتي منه ذالك، وحاشيته على (عبدة) هذا مفيدة كافية.

٢ ــ وجاء في الصفحة (٩): وقال آخر:

أُولئِك قَوْمٌ إنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبنَى وَإن عاهَدوا ... ...

وقال المؤلف في شرح (البنى): البنى مقصور بضمّ الباء جمع بُنْيَةٍ. هكذا قال لنا إبراهيم بن السَّرِيِّ ـ يعني الزَّجّاج ـ كما تقول: لحية ولُحى، وحلية وحُلَى.... انتهى كلام المؤلف.

أقول: إنَّ قول المؤلف (البنَى) مقصور بضم الباء جمع بُنْيَةٍ يفسده ويبطله ماذكره من قول الزجّاج وهو أن (بنية) مثل (لِحية ولحَى) و(حِلية وحلَى) لأن (لحية وحلية) مكسورتا الحرف الأول، وجمعهما على هذا ينبغي أن يكون بكسر الأول (لِحَى وحِلَى) والوزن (فِعَل) مثل قِطْعة وجمعها قِطَعٌ.

٣ ــ وجاء في الصفحتين (٩، ١٠) قول المؤلف مستشهداً على (بنية) المضمومة الباء: (... وأنشد ابن دُرَيد:

تَبَوَّأْتَ بَيْتاً فِي الْمَكَارِمِ والْعُلاَ رَفِيْعَ الْبُنَا بَيْنَ الْمَجَرَّةِ وَالنَّجْمِ)

أقول: لا يصح أن يكون (البنا) في هذا البيت شاهداً على (البنَى) المَقصور المضمُوم الباء كما أثبت المؤلف، وذالك لأن (البنا) في هذا البيت هو (البناء) الممدود، وقد حُذفتِ الهمزة للوزن، وقصر الممدود جائز في العربية، وهو كثير.

٤ ــ وجاء في الصفحة (١٤) قول المؤلف: (. . . . والسُّوْر: الحائط، يقال: سرتُ الحائطَ وتَسَوَّرْتُه. . .). أقول: وهذا صحيح ولكن يجب أن تضم السِّين من (سرتُ) لتبتعد عن الفعل (سار يسير)، فهي (سارَ يسور).

٥ ــ وجاء في الصفحة (٢٢) قول المؤلف: (أيُّها الناس إنما مَثَلِي ومَثَلكم مَثَل قومٍ خافوا عدوًّا أن يأتيهم فبَعَثُوا رجلاً يتربا لهم) ثم قال في الصفحة (٢٣): قال أبو محمد: (يتربا لهم) هو أن يعلو شاهِقاً فيرقب العدو لِيُنْذِرَ بِهِ واسمه الرَّبِيْئَةُ على مثال فَعِيْلَةٍ، مهموز).

أقول: لو فطن المحقق الفاضل إلى كلمة (الربيئة) المهموزة لأدرك أنَّ الفعل (يتربّا) لابد أن يكون مهموزاً (يتربّأ).

وكذالك الفعل نفسه قد ورد في الصفحة نفسها في قول المؤلف: (ومنه قولهم: إني لأَرْبَا بك عن كذا).

والصواب همزهُ: إنِّي لأَرْبَأُ بِكَ عن كذا.

٦ ــ وجاء في الحاشية (٥) من الصفحة (٢٢) قول المحقق:

قال أبو عمرو: (الغير هو الناتى في لؤلؤ العين. . . .).

أقول: والصواب: الغير هو الناتِئُ (بالهمز) في بُؤبُؤ العين ولا مكان هنا لوجود (اللؤلؤ).

٧ ــ وجاء في الصفحتين (٢٩، ٣٠) قول المؤلف: (قال فند الزماني:

فلما صَرَّح الشَّرّ فَأَمْسَى وهو عُرْيَانُ
مَشينا مشْيةَ الليث غدا والليث غضبانُ)

أقول: و(فند الزمّاني) هو الفِنْد الزمّاني، من شعراء «الحماسة»، والبيتان من مقطوعة معروفة مشهورة. وهذان البيتان مدوَّران. وينبغي أن يكونا على النحو الآتي وبه ينتظم الوزن:

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّـ ـرُّ فَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ

أي إن الراء الثانية من الراء المشدّدة تكون في عجز البيت، وكذالك البيت الثاني:

مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْـ ـثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ(★)

٨ ــ وجاء في الصفحة (٣١) قول المؤلف: (وأنشدني بعض شيوخنا عن المازني عن الجواداني قال أنشدني بشار).

أقول: وكان على المحقق أن يعرِّفَ بالجواداني هذا الذي لم يتبيَّنه الدارسون، وقد اكتفى بقوله في تعليقه: وفي ف. الجراداني. وكان عليه أن يقول شيئاً عن (بشار) هذا، أكان الشاعر المعروف أم كان غيره؟

٩ ــ وجاء في الصفحة (٤٧) البيت:

يُوْشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ في بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَفَّقُهَا

أقول: والصواب: (في بعض غرّاته يوافقها). ويؤيد هذا البيت الذي بعده والذي ذكره المحقق في تعليقه:

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً الْمَوْتُ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

والبيتان في «العقد الفريد» ٣/١٨٧ لأميّة بن أبي الصَّلت، والبيت الثاني من شواهد «الكتاب» ١/٤٧٩، وشواهد «المغني» ٢/١٨٨.

١٠ ــ وجاء في الصفحة (٥٠) قال متمّم:

ولَا بَرِم تهدي النّساء لعِرسه إذَا الْقَشْع من حَسِّ الشتاءِ تَقَعْقَعا

أقول: ورواية البيت في «اللسان» (قشع)، وفي الديوان:

ولا بَرِماً تُهدى النساء لعرسه إذا القَشْعُ مِنْ بَرْد الشِّتَاءِ تَقَعْقَعا

و(برماً) منصوب لأنه معطوف على اسم سابق.

١١ ــ وجاء في الصفحة (٥٤) قول المؤلف: (. . . إن المصدق بالخيار إن شاء أخذ من كل فرس دِيْناراً أو عشرة دراهم، وإن شاء قَوَّمَهَا ثم أخذ من كل مئتي درهم خمسة دراهم. . .).

أقول: لقد أهمل المحقق ضبط الكلمات في الكتاب في حين قد ورد في الكتاب شيء محتاج إلى الضبط بالشكل، ومنه كلمة (المصدِّق) وهي كلمة فَنِّية تعني الرجل المسؤول عن استيفاء الصدقات ونحو ذالك، وهو اسم فاعل من المضَعّف (صدَّق). كما ورد الفعل (قومها) مهملاً بغير ضبط وهو مضعّف يعني تقدير قيمة الشيء، وهذا الفعل يقابل الفعل (قَيَّم) في العربية المعاصرة. ثم إن الفعل (قَوَّمَ) والمصدر (تقويم) بَدَءَا يظهران في استعمال المعاصرين.

٧ ــ وجاء في الصفحة (٥٥) قول المؤلف: (. . . تطأه بأظلافها وتَنْطَحُهُ بقرونها [أي الغنم]).

أقول: لقد توسّع المعاصرون في رسم الهمزة، وإني لأوثر أن أُثبِتَ الفعل (تَطَؤُه) والهمزة على الواو لأنها مضمومة.

٨ ــ وجاء في الصفحة (٥٨) قول المؤلف: (. . . يتّخذها أشرًا وبَطراً ورياء الناس وبذخاً. . .).

أقول: والكلمة (رياء) جاءت في لغة التنزيل العزيز (رِئَاء) بهمزتين، قال تعالى: ﴿ ولا تكونوا كَالَّذِيْنَ خَرَجُوْا مِنْ دِيَارِهم بَطَراً وَرِئَاءَ الناس ﴾ ٤٧ سورة الأنفال.

وقد قرئت (ريَاء) بالياء في بعض القراءات غير المشهورة. وكان خليقاً بالمحقق أن يضبط المصادر: (أشر وبطر وبذخ) كلاًّ بفتحتين ليظهر التناسب الذي توخاه المؤلف.

٩ ــ وجاء في الصفحة (٦١) قول حميد بن ثور الهلاليّ:

وكـاين لهـونـا من ربيـع مسرّة ... ...

أقول: والصواب: وكَائِنْ بالهمزة بمعنى وَكَم. ومثل هذا قول زهير:

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٌ زِيَـادَتُـهُ أَوْ نَقْصُــهُ في التَّكَلُّمِ

١٠ ــ وجاء في الصفحة (٦٥) قول ابن الدُّمَيْنَةِ:

أَمَا يَسْتَفِيْقُ الْقَلْبُ إلاَّ انْبَرَى لَهُ تَوَهُّم صَيْفٍ مِنْ سُعَادَ ومـريع

أقول: والصواب: ومَرْبَعُ، ولَعَلَّ هذا من الخطأ المطبعي.

١١ ــ وجاء في هذه الصفحة أيضاً: (فالربيع زمان وهو أيلول وتشرين الأوّل وتشرين الثاني، ثم الشتاء وهو كانون الأول وكانون الثاني وشباط ، ثم الصيف وهو آذار ونَيْسان وأيّار . . .).

أقول: إذا كان الأوائل من أهل اللغة وغيرهم عرفوا هذه الأسماء للأشهر ذات الأصول البابلية فكيف يجوز أن يستعمل العرب في عصرنا يناير وفبراير واكتوبر وسبتمبر وغيرها ؟

١٢ ــ وجاء في الصفحة (٧٤) البيت:

نحن بنو الدنيـا خُلقنا لغـيرها وما نحن فيه فهو شيء محبَّبُ

أقول: وتمام الوزن يقتضي أن يكون صدر البيت (ونحن بنو الدنيا . . .). والبيت كذالك في «العقد الفريد» ١٧٦/٣، و«عيون الأخبار» ٣٢٩/٢ .

أقول أيضاً : إن واجب المحقق إثبات الصواب، وليس له أَنْ يُثْبِتَ غيره بحجة احترام ماورد في المخطوط .

ثم إنّ المحقق وجد بيتَيْنِ نَسبهما الثعالبي في «خاص الخاص» إلى محمد بن وهيب الحميري وهما من الوزن والقافية ومعناهما يؤكد البيت المذكور وقريب منه فاجتهد أن البيت من مقطوعة ورد فيها البيتان.

أقول: وليس هذا دليلاً، ولكنه قد يكون على سبيل الاسترجاح، والبيتان:

وَقَدْ دَبَّتِ الدُّنْيَا إليَّ صُرُوْفُهَا وَخَاطَبَنِي إعْجَامُهَا وَهْوَ مُعْرِبُ
وَلكنَّنِي مِنْهَا خُلِقْتُ لِغَيْرِهَا وَمَا كُنْتُ مِنْهُ فَهْوَ شَيْءٌ مُحَبَّبُ

١٣ ــ وجاء في الصفحة (٧٦) البيت:

أبا جعفر لما تولّيت أرتَعوا وقالوا لِدُنْيَاهُمْ: أفيقي فدَرَّتِ

أقول: كأني أرى الوجه أن يقال: أرْبَعُوا. والدليل أن الفعل هو (رتع) الثلاثي كما في قوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا يَرْتَعْ وَيَلْعَب ﴾ ١٢ سورة يوسف.

ولم يرد (أرتَع) وإن جاء في المعجم القديم: قوم مرتعون أي راتعون. والرَّتع العيش في الخِصب.

١٤ ــ وجَاء في الصفحة (٧٧) قول المؤلف: (قوله: (عام ارتبعنا) يقال: ارتَبَعَ القوم إذا أرتعوا في الخِصب...).

أقول: والصواب: إذا رَتَعوا في الخصب.

١٥ ــ وجاء في الصفحة (٩٥) قول المؤلف: (. . . وقد بلغ كل واحد منهم عشرين ومائة سنة إلاّ مخرمة فإنه بلغ خمسين عشرة ومائة).

أقول: لابد أن يكون الصواب: خمسَ عشرةَ ومئة.

١٦ ــ وجاء في الصفحة (٩٦) قول المؤلف: (عاش سُوَيد بن غَفَلَة عشرين ومائة سنة لم يُرَ محتنياً ولا متساندا).

أقول: والصواب: (. . . لم يُرَ مُنْحَنِياً ولا . . .) والكلمة اسم فاعل والفعل (انحَنَى) وليس في العربية (احتنَى).

١٧ ــ وجاء في الصفحة (١٠٣) قول المؤلف: (وقال بعضهم: بل هو الأنثى وتسمّى الأمراء والنحل يُسمَّى النحال).

أقول: والكلام على (اليعسوب) وهو أمير النحل، وقد أُطْلِق مجازاً على السيد

في قومه وفي حديث علي بن أبي طالب: (ضرب يعسوب الدين بذنبه) وهذا الاستعمال يومِئُ إلى الأصل. فأما العبارة التي جاءتْ في كتابنا هذا، فهي معدولة عن جهتها، ولم يَتَّضح لها وجه.

١٨ ــ وجاء في الصفحة (١٠٩) قول المؤلف : (قال: هي النخلة لايزال فيها شيء ينتفع به إما ثمرة وإما حطبه...).

أقول: وكان وجه القول: ... إما تمرة وإما حطبة، وليس ثمرة.

١٩ ــ وجاء في الصفحة (١١١) قول المؤلف: (فأطعموا نسائكم الولد الرطب...).

أقول: وصواب الرسم (نساءكم...) والهمزة مفتوحة لأن الكلمة منصوبة.

٢٠ ــ وجاء في الصفحة (١١٣) قول المؤلف: (العم: الطول ضُرِب بها المثل فقال هذه الطول للرجال، وهذه الصغار للأحداث...).

أقول: والعُمُّ بضم العين وتشديد الميم جمع أَعَـمّ وعَمَّاء ، ومن هنا يكون معناها (الطِّوال) لا (الطول) كما أثبت المؤلف، ويدل على ذالك قول المؤلف: وهذه (الصغار للأحداث).

أقول: وهذا يعود إلى وهم المحقق الذي لم يفطن إلى خطإ ناسخ المخطوطة.

٢١ ــ وجاء في الصفحة (١١٤) قول المؤلف: (... سكنّا بأرض لا نسمع فيها ناجحة التيّار أو نافجة التيّار، يعني صوت البحر).

أقول: والصواب: ناجخة بالخاء وهو صوت الموج.

٢٢ ــ وجاء في الصفحة (١١٦) البيت:

رَبَتْ في كثيبٍ ذي أباريق عذبة عـواقبها في المـاء وِرْدٌ شَـوارِع

وقال المحقق في تعليقه: ... الأباريق جمع أبرق وهي أرض غليظة...

أقول: وجمع (الأبرق) أبارق، كجمع الأسود أساود ونحو ذالك، وليس

(أباريق). وأظن أن الصواب في البيت: (ذي أبارق) وبذالك يكون الوزن حاصلاً، ولا حاجة إلى (الأباريق).

٢٣ ــ وجاء في الصفحة (١١٧) البيت:

فيها الفواكه كلُّها وتزخْرَفَتْ بِطلعٍ يرضي الناظرين نضيرا

أقول: وعجز البيت غير مستقيم وزناً.

٢٤ ــ وجاء في الصفحة (١٢٥) قول المحقق في تعليقه برقم (٥): (. . . فإن رُزئ لا يوجر).

أقول: والصواب: (يُؤجَر) بالهمز.

٢٤ ــ وجاء في الصفحة (١٤٣ قول المؤلف: (. . . ولهذا قالت الإخوة من الأدب والأمّ لعُمَر حين أسهم للاخوة من الأمّ دونهم: هَبْ أنَّ أبانا كان حماراً).

أقول: والصواب: (. . . قالت الإخوة من الأب [لا الأدب) والأم. . .) ثم إنَّ الفِعْلَ (هَبْ) من الأفعال الجامدة ينصبُ مفعولين، فلا تليه (أنّ)، والصواب: (هب أبانا كان حماراً).

٢٥ ــ وجاء في الصفحة (١٥٩) البيتان:

ولقد توقع الحليم وإن كان بريئاً بجهلها السفهاءُ
وأخو الجلم حين لا يرمح الجاهلُ والجاهل السفيه سواءُ

أقول: وإحسان الوزن يقتضي أن يثبت مدوّراً وهما:

وَلَقَدْ تُوْقِعُ الْحَلِيمَ وإنْ كَا نَ بريْئاً بجَهْلِهَا السُّفَهَاءُ
وأخو الحِلْمِ حِيْنَ لا يرمح الْجَا هل والجاهل السَّفِيْهُ سَوَاءُ

٢٦ ــ وجاء فيها أيضاً البيت:

ومَنْ لايزلْ يوماً مع الجهل مُذْعِناً يقُدْهُ إلى حَيْنٍ وذُو الْجَهْلِ حَايِنُ

أقول: والصواب: حائن.

٢٧ ــ وجاء في الصفحة (١٦٠) قول المؤلف: (قال أبو محمد رحمه الله: الركيُّ البئر الصغيرة، تقول: ركيّة ورَكيّ وركايا، وأحسب الركي ـ بطرح الهاء ـ في معنى الجمع).

أقول: والذي (حسبه) المؤلف هو الْحَسَنُ، فالرَّكيّ جمع ركيّة، وهي البئر، نحو مطيّة وجمعها مَطيّ ومطايا، وكذالك النَّصي، وهو نبت كالطريفة وواحدته نَصيّة.

٢٨ ــ وجاء في الصفحة (١٦١) البيت:

قوم إذَا الشَّرُّ أبْدَى نَاجِذَيه لَهُمْ طَارُوا إلَيْـهِ زَرَامَـاتٍ وَوِحْـدَانَـا

أقول: والصواب: زرَافَاتٍ، بالفاء، ولعل هذا من الخطأ المطبعي.

٢٩ ــ وجاء في الصفحة (١٦٧) البيت:

مـا إن يغيب بـه الـدهـاس ولا تـزلّ بـه الـصـفـا

أقول: وتمام الصدر والعجز على النحو الآتي:

مَـا إنْ يَـغِـيْـبُ بِـهِ الـدِّهَـا سُ ولَا تَـزِلُّ بِـهِ الـصَّـفَـا

والبيت مدوّر.

٣٠ ــ وجاء في الصفحة (١٧٥) البيت:

وقال امرؤ قد كنت جداً أحِبّه وأوثـر من بينهم في التَّفاضُـلِ

أقول: وعجز البيت غير مستقيم ولعله:

(وأوثرني[×] من بينهم في التفاضُلِ).

وبعد فهذه نهاية هذه المسيرة التي اشتملت على هذه (الوقفات)، وأعود فأقول: لابد من الإقرار بالحقيقة وهي الإشادة بعمل المحقق الجاد، وهو الأعجمي الذي أحب العربية فأتقنها.

جامعة صنعاء ـ كلية الآداب: د. إبراهيم السامرائي

التاريخ: معرفة وعمل

أقبلت على قراءة «العرب» في جزئها الأخير من السنة الخامسة والعشرين لما فيه من أبحاث شيّقة جذابة ذات فائدة علمية كبيرة. وقد استرعى انتباهي خاصة كلمة (عن التاريخ والمؤرخين) وأودّ أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى تعريف للتاريخ هو باعتقادي من أحسن ماجاء في هذا الباب وهو ما قاله ابن خلدون في مقدمته: (ان فن التاريخ... في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى... تؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيْفِيّات الوقائع وأسبابها عميق).

ونرى أن ابن خلدون لا يخصّ بالبحث دولة دون أخرى ولا يكتفي بما جرى من الحوادث لأنه يريد أن يستكشف عن المستقبل بناء على ما يعرف (من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية)، وهو←

الهوامش:

→ (١) أثبت الناشر تاريخ الطبع فكان (محرّم الحرام ١٤٠٤هـ) أقول: و (المحرّم) أول الشهور القمرية تزاد فيه الألف واللام لزوماً فلا يقال (محرّم) كما هو الشائع الجاري في عصرنا.

(٢) أردت بشرحي لأمثال القرآن والحديث لأنبّه أن هذه الأمثال غير الأمثال المعروفة في العربية التي وردت في كلام العرب.

(٣) الرامهرمزي «أمثال الحديث» ص ٧.

(٤) المصدر السابق ص ١٤.

(×) «العرب»: أَلَيْس من المناسب العَدْوُ هنا ليطابق (مَشَى): (عَدَا)؟

(×) «العرب»: ويؤيد النصب الذي أشار إليه أستاذنا السامرائي أن البيت الذي قبله هو:

لـقـد غَـيَّـبَ المِـنْـهَـالُ تحـتَ رِدائِـهِ فَتًى، غـيرَ مِبْـطانِ العَشِـيَّـاتِ أَرْوَعَـا

ولا بَرَمًا... (البيت).

من مرثاة مالك المشهورة التي وردت كاملة في «جمهرة أشعار العرب» ـ ٢/٧٤٨ ـ. تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي.

(×) «العرب»: أو (وأوثره) مادام يحبه!!

أبو دلف الخزرجي الينبعي
شاعرًا وجغرافيًا

[كنت نشرت مقالاً في مجلة «المنهل (س ٦ ع ٤ في شهر ربيع الثاني ١٣٦٥هـ) بعنوان (الرحالة العربي مسعر بن المهلهل الينبعي ص ١٥٥ إلى ١٥٩) ثم بعد ذالك نشرت المكتبة الصغيرة في حلقتها السابعة سنة ١٣٩٢هـ كتيباً بعنوان « أبو دلف عبقري من ينبع » تأليف الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، نشر هذا بعد نحو ربع قرن من نشر مقالتي ، جاء في مقدمته عن أبي دلف (وهو مع ذالك مجهول لا يعرفه أحد من أبناء العربية)!! كذا بصيغة الشمول .

وهاهو الأستاذ أحمد الحسين يقدم دراسة عن أبي دلف لعلها تكون قد تناولت بعض

← بذلك يرمي إلى هدف معين، لأن مراده أن يُمتّعك أيها القارئ (بِعلل الكوائن وأسبابها، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها، حتّى تنزع من التقليد يدك، وتقف على أحوال مَنْ قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك).

وهكذا نرى أن ابن خلدون قد ربط المستقبل بالحاضر والماضي، ويريد بواسطة التاريخ أن يتكهّن بما قد يقع من أحوال في الأجيال المقبلة. ومعنى ذالك أن التاريخ هو في الوقت نفسه معرفة وعمل: معرفة أحوال العمران البشري وطبائعه والعمل بمقتضى قوانينه. وهذا لعمري تعريف للتاريخ ابتدعه الفيلسوف المَغْربي ومذهب حديث في البحث يكاد يكون معاصراً، يسير اليوم على منواله بعض كبار المؤرخين الغربيين منهم الفيلسوف الألماني (أُسْتْوالْدْ شَبَنْغَلَرْ) في كتابه المعروف: «انحطاط الغرب»، والمؤرخ البريطاني (أَرْنولْدْ طُوْيْنْبي)، في أبحاثه عن الحضارات ومستقبلها، والكاتب السياسي الفرنسي (ريمون آرون)، في مؤلفه الشهير: «المدخل لفلسفة التاريخ».

وقد أعود إلى هذا البحث إذا كان الموضوع مما تهتم به مجلة العرب الغراء والسلام .

باريس: د. يوسف شُلْحُد

«العرب»: أجل ! حقًّا إنها لَتُسَرُّ بذالك، ولا سيّما من مثل الأستاذ الجليل الدكتور يوسف، لازال موفقاً مشكوراً.

الجوانب التي توضح ما غمض من حياة ذالك الجغرافي الذي حظي باهتمام كثير من المستشرقين، وهو بدون شك لم يطلع على ما كتبه الدكتور الخفاجي أو نشرته مجلة «المنهل»].

* **مدخل إلى عالم الخزرجي** : باديءٌ ذي بَدْءٍ لابدّ من الاعتراف بأن معلوماتنا عن حياة أبي دُلَفٍ الخزرجي لا تسمح لنا بتكوين صورة واضحة تجلو ما يلفُّ سيرته الشخصية من غموض وإبهام. ورغم شح المصادر فإن ما بين أيدينا من نتف الأخبار، والاشارات المتفرقة تجعلنا نقف على مراحل متباعدة في حياته، قلما تترابط أحداثها أو تنتظم.

اسمه : مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبعي، ومن ظاهر سياق الاسم والنسبة يبدو أن نسبه ينتمي إلى قبيلة الخزرج، وينسب إلى مدينة ينبع المعروفة. وقد دفعت طبيعة اسم أبي دلف ونسبته أكثر المستشرقين الذين كتبوا عنه إلى القول: انه شاعر عربي من ينبع[1]. ولكن المشكلة التي لا يمكن تخطيها بسهولة تتمثل بجهلنا المراحل الأولى من سِنِي حياته، فنحن لا نعرف شيئاً عن طفولته، ولم يرد صراحة في شعره ذكر الخزرج أو ينبع. وفي قصيدته الساسانية حنَّ أبو دلف إلى بلاده، ولكنه لم يسمّها لنا، وتمنَّى أن يرجع إليها بجيش قوي، مرهوب الجانب، عزيز الشأن، فيأمر وينهي. ولكن أي بلاد تلك ؟ ولو كان أمره على هذا النحو لكان من المستغرب أن يبقى شأنه مجهولاً ، وسيرته مطوية.

وفي سيرة أبي دلف يبرز إشكال آخر فهو ـ كما تذكر المصادر ـ شاعر، طبيب، رحالة كيميائي، وعالم بخصائص الحشائش والمعادن والحجارة. ولكن تلك المصادر لا ترشدنا إلى أصول علمه، ومنابع ذالك العلم، ومراحل دراسته، وشيوخه الذين أخذ عنهم معارفه ذات الطابع الشامل. ولو صحّ ادعاء أبي دلف بُنُوَّةَ محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور من ابنته لكان من الجائز أن نعدّ الرازي أستاذه في الطب، ولكنّ ابن العميد طعن في نسبته تلك قائلاً: (وقد شاهدت محمّداً، وما خلّف بنتاً، ولو كانت له بنت، وولدت ابناً لم يكن أنت ذاك، للغوائل المجموعة فيك)[2] وهذا قول نورده للاستئناس به، إذ لا يمكن أن نأخذ به ، لأن ابن العميد كان متحاملاً على الخزرجي كما هو ظاهر ، وهذه الإشارة لم تقع في مصدر آخر.

* **في بلاد السامانيين والبويهيين** : كان أبو دلف جوَّابَ آفاق، لا يستقر به مقام حتى يهجره إلى آخر . سُمِعَتْ أخباره في بُخَارَى ، وبغداد ، والرَّيّ ، وشيراز ، وبلاد الصين ، والترك والهند .

وقد عُرِفَ عنه أنه كان يتردد على بلاط السامانيين ، أصحابِ خراسان ، وما وراء النهر ، حيث وفد على نصر بن أحمد الساماني (حكمه بين سنتي ٣٠١ ـ ٣٣١هـ) الملقب بالسعيد في أول وفادة عرفناها في حياة شاعرنا، وتذكر المصادر أن نصراً شمله برعايته، وَيَسَّرَ أمر رحلته المشهورة سنة (٣٣١هـ) إلى بلاد الصين.

ودون ترابط في الأحداث يلمع اسم الخزرجي في بلاد البُوَيْهِيّين الذين اشتدت شوكَتُهُمْ منذ سنة ٣٢٠هـ ، وملكوا بلاد فارس ، ودخلوا بغداد سنة ٣٣٤هـ. وبلغت دولتهم ذروة اتساعها في عهد فَنَّاخَسْرُو، الملقب بعضد الدولة (٣٢٤هـ ــ ٣٧٢هـ) الذي ضم إلى حكم ولاية فارس مُلْكَ الموصِل ، وبلاد الجزيرة .

ورد ذكر أبي دلف في مجالس ثلاثة من رجالات الدولة هم: عضد الدولة البويهي، وابن العميد، ثم الصاحب بن عباد الطالقاني. فقد ذكر لنا الثعالبيُّ وقائع منادمة طريفة جرت بين الخزرجي وأبي علي الهائم[٣] وقد ضمهما في شيراز مجلسُ أُنْسٍ ومطايبة لعضد الدولة، الذي نشط لمذاكرة الخزرجي، وأبدى إعجابه بسعة علمه، وحسن محاضرته بخصائص الشرق والغرب فقال: (ملك يا أبا دلف ، ينادم الملوك ، وأمر له بخلعة وصلة)[٤].

ويلخص لنا كتاب ابن العميد (ت ٣٦٠هـ) خاتمة علاقة بينهما انقلبت فيها المودة بُغْضاً والمقاربة جفوة ونفوراً . وفي ذلك الكتاب عنّف الوزير البويهي شاعِرَنَا ورماه بالعيوب والنقائص، إذ لم يحفظْ أَوَاصِرَ صحبته كما يَدَّعي ، ولم يُؤَدِّ حقوقَ الخدمة. وكان أبو دلفٍ ـ كما يذكر التوحيديُّ ـ (قد قرأ ذلك وكتب شيئاً يردُّ به على افتراءات ابن العميد، ولكنه لم يجسر على نشره خشية صولته ونكايته، واكتفى بالقول: إن كتاب ابن العميد يَنُـمُّ عن (حقد رؤساء زمانه على الأتباع.

وعدم معرفتهم حقهم في الخدمة والطاعة)[٥].

وبوفاة الوزير ابن العميد يظهر الخزرجي في حاشية الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥) (ويكثر المقام عنده، ويكثر سَوَاد غاشيته، وحاشيته، ويرتفق بخدمته، ويرتزق في جملته، ويتزوّد كتبه، فتجرِي مَجْرى السَّفَاتج في قضاء أوطاره)[٦] ولكن ما تخفى علينا معرفته أننا لا ندري كم مكث الخزرجي في بلاط الصاحب، فلم نقف له بعد ذلك على خبر، ولم يُسْمَع له ذكر، وقد أشار الثعالبي إلى عُمْرِ أبي دلف دون تحديد فقال: إنه (خنق التسعين في الإطراب، والاغتراب، وركوب الأسفار الصعاب)[٧] ونميل إلى الاعتقاد أنَّ وفاته حصلت دون سنة ٣٩٠هـ قياساً على تاريخ وفيات الأشخاص الذين التقاهم أو عاشرهم[٨].

* **شاعر التشرّد والاغتراب** : أبو دلف شاعر مرهف الإحساس، ذو عالم خاصّ، ولون ظريف قال عنه الثعالبي[٩]: (شاعر كثير الملح والظرف. . . ضرب صفحة المحراب بِالجُرَاب في خدمة العلوم والآداب).

ولكن الحكم على شاعريته يكاد يكون مُتَعَذِّراً. فمن غير الممكن أن نستجليَ ملامح شعره ونكتشفَ خصائصه وسماتِهِ مادامتْ يدُ الضياع عَبِثَتْ بأشعاره، ومازال ديوانه مفقوداً ومن المصادر التي اطلعنا عليها أمكن أن نجمع من شعره (٢٤٧) بيتاً هي الآن كل ماترك الشاعر المعذب المكتوي بنار الاغتراب، والتجوال ويتكون شعره الذي جمعناه من أرجوزة وصفية عدد أبياتها (٣١) بيتاً، ومن سبع مقطوعات قصيرة متنوعة الأغراض مجموعها (٢١) بيتاً ومن قصيدة رائية طويلة تُسمى القصيدة (الساسانية) اختار منها الثعالبي في «يتيمة الدهر»: (١٩٥) بيتاً.

والمتأمل في شعر أبي دُلَف لابُدَّ أنْ يكتشفَ ارتباط هذا الشعر بحياته وتجاربه الشخصية، فشعره مجموعة آراء وأحاسيس، تنطلق من وجدانِ إنسانٍ لم تعرف حياته نعمة الهُدُوْءِ وراحة الاستقرار، ولهذا نجده يكثر من وصف غربته، وتطوافه من بلد إلى آخر كما يقول[١٠]:

وقـد صَـارَتْ بـلادُ الله في ظَـعْـنِي وَفِـيْ حَـلِّي
تَـغَـايَـرْنَ بِـلَبْـثِي و تَحَـاسَـدْنَ عَـلَى رَحْـلِي
فَـمَا أُنْـزِلُـهـا إلاّ عـلى أُنْسٍ مِنَ ٱلأَهْـلِ

وقد أتاحتْ له أسفاره الكثيرة أن يختبر أخلاقَ الناس في عصره ، فكان يشكو ما دبَّ فيها من نوازع (الأنانية والتَلَوُّنِ والتغيُّرِ فَعَبَّرَ عن ضيقه بما آل إليه حالُ الناس واضطراب أحوالهم، واختلاف مشاربهم في عدة قصائد، وصف فيها زمنه المتقلّب بلغة شاعرية تكشف عن معاناة قاسية وأسىً دفين، فقال في إحداها[١١]:

وَيْحَكَ هَـذَا الـزَّمَـانُ زُوْرُ فَـلَا يَـغُـرَّنَّـك الْـغُـرُوْر
لَا تَلْتَـزِمْ حَـالَـةً وَلكِنّ دُرْ بـاللَّيَـالِـيْ كَـمَا تَـدُوْر

أما قصيدته الساسانية[١٢] المشار إليها سابقاً فقد نظمها أبو دلف على لسان بني ساسان، من المتسولين وأبناء السبيل، في ذلك الوقت معارضاً بها قصيدة الأحنف العكبري[١٣]، ذات الغرض نفسه، وأهمية هذه القصيدة ترجع إلى محتواها الاجتماعي، ودلالتها اللغوية، وهي ذات نزعة تعليمية، تهدف إلى تنبيه المجتمع إلى حيل المتسولين، وتُعَرِّفُ بفصائلهم، وتحلل لغتهم الرمزية والاصطلاحية، تلك اللغة التي ضَمَّتْ مَزِيجاً من المفردات العربية والفارسية والسريانية والهندية وغيرها[١٤]. وضمت بعضاً منها المؤلفات الأدبية مثل كتاب «البخلاء» للجاحظ ونصوص «المقامات» للهمذاني والحريري وكتاب «المحاسن والمساوئ» للبيهقي وبابة «عجيب وغريب» لابن دانيال، و«القصيدة الساسانية» للحِلِّي وما تمتاز به قصيدة أبي دلف أنها فَصَّلَتِ القول في هذا الموضوع، وضمت قدراً كبيراً من ألفاظهم ورموزهم، وهذا مالاَ نجده الآن في أيِّ مصدر آخر[١٥].

والإشارة إلى الأهمية الاجتماعية للقصيدة يجب ألاّ تُخْفِي ما تضمنته أبياتها من نفحات وجدانية عذبة، وخاصة في مطلعها وخاتمتها، فأبو دلف هنا يعود مرة أخرى ليصوغ تأملاته في الحياة بالرقة وجمال الصياغة ومنها نجتزئ هذه الأبيات[١٦]:

جُفُونٌ دَمْعُهَا يَجْرِي لِطُوْلِ الصَّدِّ وَالْهَجْرِ
وَقَلْبٌ تَرَكَ الْوَجْدُ بِهِ جَمْراً عَلَى جَمْرِ
لَقَدْ ذُقْتُ الْهَوَى طَعْمَـ ـيْنِ مِنْ حُلْوٍ وَمِنْ مُرِّ
وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَحْرَا رِ يَسْلُوْ سَلْوَةَ الْحُرِّ
أَلَا إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْـ ـرَ مِنْ شَطْرٍ إِلَى شَطْرِ
وَجُبْتُ الْأَرْضَ حَتَّى صِرْ تُ فِي التَّطْوَافِ كَالْخِضْرِ
وَلِلْغُرْبَةِ فِي الْحُرِّ فِعَالُ النَّارِ فِي التِّبْرِ
وَمَا عَيْشُ الْفَتَى إِلَّا كَحَالِ الْمَدِّ والْجَزْرِ
فَإِنْ لُمْتَ عَلَى الْغُرْ بَةِ مِثْلِيْ فَاسْمَعَنْ عُذْرِي
أَمَالِي أُسْوَةٌ فِي غُرْ بَتِيْ بِالسَّادَةِ الطُّهْرِ

* **الرحالة الجوال** : لم يكن أبو دلف شاعراً فحسب ولكنَّه كان ذَا وَلَع بالأسفار، وصاحب باعٍ في صناعة الكيمياء والطب، وقد كشفت عن مواهبه تلك رسالتان جغرافيتان له، دوَّنَ فيهما مشاهداته، وتجاربه العلمية، وملاحظاته الطبيّة، ويبدو أن كثيراً مما جاء في رسالتي أبي دُلَفٍ ظل مبثوثاً في بطون المصادر العربية مثل «عجائب المخلوقات» للقزويني، و«الفهرست» لابن النديم، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي، تارة يرد اسمه في النقل، ولكن كثيراً ما يستقي عنه أولئك المؤلفون المواد الجغرافية والعلمية، والأثرية دون تسمية أو تخصيص .

وقد ساعد على ذلك أن ظَلَّ أمرُ رسالتَيْه مجهولاً ـ قديماً وحديثاً ـ حتى سنة ١٩٢٣م حيث تم اكتشافهما في مخطوطة جغرافية بمكتبة مشهد، فكان ذلك برأي كثير من المستشرقين من النتائج الهامة التي وَثَّقَتِ المعلومات الواردة على لسانه في المصادر السابقة.

أهدى الخزرجي رسالته إلى رجلين غير مُسَمَّيَيْنِ من ذوي الاهتمام بالعلوم، وأخبار الأمم، فقال: (إني لَمَّا رأيتكما ياسيدي ـ أطال الله بقاءكما ـ لَهِجَيْنِ

بالتصنيف، مُوَلَعَيْنِ بالتأليف، أحببت ألاَّ أُخْلِي دستوركما، وقانون حكمتكما من فائدة وقعت إليّ مشاهدتها، وأُعجوبة رمت بيَ الأيام إليها، ليروق معنى ما تتعلمانه السمع، ويصبو إلى استيفاء قراءته القلب، وبدأت بعد حمد الله والثناء على أنبيائه بذكر المسالك، ومراتب أولي الأمر والنَّهْيِ فيها، لأن معرفة ذلك زيادة في البصيرة، وواجبة في السيرة، وقد حضّ الله تعالى عليها أولي التيقظ والاعتبار)[١٧].

وفي هذه الرسالة دَوَّنَ أبو دُلَفٍ ما شاهده، وخبره عن تلك الشعوب وكان منهجه في البحث يقوم على تسمية المواقع، ووصف أحوال السكان، ومذاهبهم، وعاداتهم، ومساكنهم وألبستهم وأَطْعِمَتِهِمْ، ثم ذكْر خصائص وأصناف المعادن والحجارة، والمياه، والنباتات التي تشتهر بها مدنهم ومناطقهم. وفي هذه الرسالة ذكر لنا أبو دلف من أسماء الشعوب: الطخطاخ، البجا، البجناك، الجكل، البغراج، التبت، الكيماك، الغز، التغزغز، الخرخيز، الخرلخ، الخطلخ، الختيان.

وأشار إلى بقايا العرب الذين غزا بهم تُبَّع ملك اليمن بلادَ الصين، وقد استوطنوا منطقة القليب، وهم كما يقول: (يتكلمون بالعربية... ويكتبون بالحِمْيَرِيَّةِ، ولا يعرفون قلمنا) والقبائل الآنفة الذكر تتباين حياة أفرادها في المسكن، والملبس والمأكل، وتختلف طباعهم وعاداتهم وتقاليدهم من شعب إلى آخر، وهذا الأمر يسري كذلك على معتقداتهم ونظمهم السياسية والاجتماعية. فالبجا تعبد الأصنام، وتُعَظِّمُ البقر، وأفراد الخرخيز يجلُّون زحل والزهرة، والبجا تؤدي الإتاوة للطخطاخ، وهاؤلاء يدفعونها إلى ملك الصين. وليس للكلكان ملك. وللبغراج ملك يعيَّنُ بالقرعة، وأحكام الختيان عقلية تقوم بها السياسة وليس لهم ملك، وكل عشرة يرجعون إلى شيخ له عقل ورأي فيتحاكمون إليه[١٨] ومن تلك العجائب التي سجلها أبو دلف أنّ للكيمياك (حجارة هي مغناطيس المطر. يستمطرون بها متى شاؤوا)[١٩]. وللخرخيز (حجارة تسرج بالليل، يستغنون بها عن المصباح ولا تعمل في غير بلادهم)[٢٠].

* **الكيميائي ــ الطبيب** : يقول أبو دلف في مقدمة رسالته الثانية: (أبدأ بذكر المعادن الطبيعية، والعجائب المعدنية إذ هي أعمُّ نفعاً، فأتحرَّى في ذالك الإيجاز، والله ولي التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولما شارفت الصنعة الشريفة، والتجارة المربحة من التصنيعات، والتقطيرات، والحلول والتكليسات خامر قلبي شك في الحجارة، واشتبهت عليّ العقاقير، فأوجبت الرأي اتباع الركازات، والمنابع، فوصلت بالخبر، والصنعة إلى الشيز)[٢١].

وفي هذه الرسالة يبرز اهتمام الخزرجي بالمعادن، وأصناف الحجارة، وخصائص المياه والأعشاب فيذكر لنا من المعادن: الذهب، الزئبق، القصدير، الفضة، الزرنيخ، الأُسْرُبّ، الزاج، الكبريت، التوتياء، النحاس، الزاج الأسود، الكحل، المرتك... الخ.

ويجري تجاربه الكيميائية، ويدوِّنُ نتائجَ اختباراته فيقول: (إن زئبق الشيز أجلّ من الخراساني، وأثقل وأنقى، وقد اختبرناه فتقرر من الثلثين واحد في كيان الفضة المعدنية، ولم نجد من ذلك في المشرق)[٢٢] وفي مدينة الران (معدن ذهب ثقيل أبيض، فضي، أحمر المحك إذا حمل على عشرته واحد من الفضة أحمرّ)[٢٣].

وكان يتحدث عن ناحية أخرى عن فوائد النباتات والمياه، وخصائصها الطبية والنفسية في شفاء الأمراض والأورام فيذكر أن عيناً في مدينة ويزنجان تنبع ماء يستحجر إذا ضربه الهواء، تنفع من أديم الأرحام سيالاً، ومن دبر الحمير جامداً[٢٤]. وفي وادي الكرد مما يلي سلماس (حَمَّة شريفة، كثيرة المنفعة.. ومن شرف هذه الْحَمَّةِ أنَّ مع مجراها مجرى ماء عذب زلال بارد، فإذا شرب منه إنسان فقد أمن الخوانيق، ووسّع عروق الطحال الرقاق، وأسهل السوداء من غير مشقة)[٢٥] ومن طرائف مشاهدات أبي دلف أن حشيشة في الران (تضحك من تكون معه، حتى يخرج به الضحك إلى الرعونة، وإنْ سقطتْ منه أو شيءٌ منها اعتراه حزن لذلك فبكى)[٢٦] ومن دخل مدينة بسطام (وفي قلبه هوى وشرب من مائها، زال العشق عنه)[٢٧].

* **أبو دلف والأساطير والمأثورات الشرقية**: وإضافة إلى الجوانب التي مر ذكرها ضمت رسالتا أبي دلف مادة وفيرة عن المباني، والقلاع والآثار، والقناطر، والجسور، وعن أصناف الصناعات، وأنواع المحاصيل الزراعية، والأنهار، والبحيرات والسدود، كما عني المؤلف فيهما بقضايا الطلاسم، والأساطير. فهما بِالتالي تُعَدَّان من أهم مصادر (الانتربولوجيا) الثقافية التي ننفذ من خلالها إلى معرفة نشاط تلك الشعوب وعادات أفرادها، وتصوراتهم العقلية، وأنماط تفكيرهم، ومأثوراتهم الشعبية. وحين ندقِّقُ في موقف الخزرجي مما كان يسمع أو يشاهد نجده يرد كثيراً من تلك المرويات، ويمتحنها على محك التجربة والاختبار. فيكشف عمَّا يشوبها من وهم التصورات الساذجة، فمن ذلك ما زعمتهُ العامة عن شيطان (جبل دباوند) وما نسجته عقولهم من قصص وحكايات خرافية حول المارد المقيّد الذي تومض عيناه ناراً، ويعلو نفسه كالدخان، ويدوّي صوته كالرعد. وهنا ندع أبا دلف يمضي في كشف الحقيقة فيقول: (فاعتبرت ذالك وارتصدته، ولزمت به المكان، وصعدت في الجبل حتى وصلت إلى نصفه بمشقة شديدة، ومخاطرة بالنفس، وما أظن أنَّ أحداً تجاوز الموضع الذي بلغت إليه، بل ما وصل إليه إنسان فيما أظن، وتأملتُ الجبال فرأيت عيناً كبيرة، وحولها كبريت مستحجر، فإذا اطلعت الشمس، والتهبت فظهرت فيه نار. وإلى جانبه مجرى يمرُّ تحت الجبل تخترقه رياح مختلفة فتحدث بينها أصواتٌ متضادة على إيقاعات متناسبة، فمرةً مثل صهيل الخيل، ومرة مثل نهيق الحمير، ومرة مثل كلام الناس، ويظهر للمصغي إليها مثل الكلام الجهوري دون المفهوم، وفوق المجهول، يتخيل السامع أنه كلام بدوي ولغة أنسي. وذلك الدخان الذي يزعمون أنه نفسه بخار تلك العين الكبريتية، وهذه حال يحتمل على ظاهر هذه الصورة ما تدّعيه العامة)[٢٨].

ولقد شكّل هذا الموقف النقدي منهجاً علمياً سار عليه أبو دلف، ولم يشذَّ عنه إلّا قليلاً، وكأنَّ روح الشاعر فيه المفتونة بسحر الأسطورة، وبريقها، كانت تتمرد أحياناً على رقابة العقل، لذالك وجدنا الخزرجي يلتقط بعض الحكايات الخاصة بالطلاسم وتأثيرها، وبالمعتقدات الشعبية الأسطورية الموروثة بحكم العادة أو

التجربة ، ومادمنا في إطار (جبل دباوند) فإننا نورد قوله عن تصورات سكانه واعتقاداتهم فيقول: (إذا نظر أهل هذه الناحية إلى النمل تدخر الحب، وتكثر من ذلك علموا أنها سنة قحط وجدب. وإذا دامت عليهم الأمطار وتَأَذَّوْا بها، وأرادوا قطعها صبُّوا لَبَن المَعْز على النار فانقطعت وقد امتحنت هذا من دعواهم دفعات فوجدتهم فيه صادقين. وما رآى أحدٌ رأس هذا الجبل في وقت من الأوقات منحسراً عنه الثلج إلا وقعت الفتنة، وهُرِيقت الدماء من الجهة التي تراها منحسرة، وهذه العلامة أيضاً صحيحة باجماع أهل البلد)[٢٩].

وهنا لا نعتقد أن تفسير تلك الوقائع على نحو ما ادَّعاه الخزرجي، فقد تكون عفوية الحدث أو المصادفة وراء حصول تلك الوقائع كما تبدّت للعامة آنذاك. وربما كان من الممكن تفسير حدوث تلك المعطيات على أنها إسقاط نفسي، جماعي، انطلاقاً من فكرة السحر التعاطفي التي طرحها (j-frasey) فأهل (دباوند) يربطون بوساطة قانون التشابه بين السنة الجدباء، وادخار النمل الحبوب، وهم من ناحية أخرى يمارسون طقوس السحر الاتصالي عندما يصبّون لبن المعز على النار ، وكأنّ ذلك يمكن أن يؤثر على الأمطار فتكف عن الهطول، والعلاقة الاتصالية قائمة على المعنى الرمزي للانقطاع فكما تنقطع النار عن الاشتعال كذلك تنقطع الأمطار، وقانون الاتصال هذا يبدو ذا طبيعة إرهاصِيَّةٍ في عقائد السحر)[٣٠] وانصافاً لأبي دلف نقول: إن الأخبار ذات الطابع الخرافي أو التكوين الأسطوري في رسالتيه لا تكاد تذكر إذا ما قيست بما نجده في كتب الرحالة العرب الآخرين على أن هذا بحد ذاته لا يشكّلُ مأخذاً على أبي دلف ، ولا يُهوّن من قيمة رسالتيه فهو حالة شائعة في فكر العصور الوسطى، انعكست بشكل كبير في كتب الأدب والرحالة والجغرافيين.

* **بين الإهمال والاهتمام** : ولعلنا مما سلف نكون قد وقفنا على جوانب هامة، ومعطيات كثيرة عن شخصية الخزرجي، عن حياته المضطربة الغامضة، وسفره الدائم، وتجواله الطويل، وعن مواهبه ومؤهلاته في الشعر والطب والكيمياء والجغرافية التي كان من الطبيعي أن تمنحه شهرة علمية وأدبية، ولكنّ أبا دُلَف الذي عانى من الحرمان في حياته، عانى كذلك من قسوة الإهمال بعد وفاته، فلم

يفطن له القدماءُ، ولم يهتم به المحدثون، وما كتب عنه يأتي في درج الدراسات العابرة، في حين أن الأمر يتطلب جهوداً متأنية وتنقيباً دقيقاً ، يكشف عن نتاجه الأدبي والعلمي، وخبايا حياته وأسرارها .

وخلافاً لهذا الواقع اهتم لفيف كبير من المستشرقين بأبي دلف، فكتب عنه (ويستنفيلد) و(شلوزر) و(بارتولد) و(ماركار) و(غريغوريف) و(روصوير) و(مينوريسكي) و(كراتشكوفسكي) و(فرين) وغيرهم.

وقد رُكِّزَتْ بحوثُ هؤلاء ودراساتهم الطويلة على الجانب الجغرافي ترجمة، وتحليلاً ونقداً ، فلا عجب أن تعددت الآراءُ سَلْباً أو إيجاباً ـ في تثمين جهود أبي دلف العلمية والجغرافية، فرأى بعضهم في كتاباته خلْطاً بالوقائع والأحداث والطرق، وتَدَاخُلاً بين الواقع والخيال.

وكان من أهم نتائج بحوث (كراتشكوفسكي) أنّه فندَّ كثيراً من هذه المزاعم وأثبت أن رحلة أبي دلف حقيقة ولم تكن من نسج الخيال وتصوّرات الأوهام.

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه ونحن بصدد حياة مسعر بن المهلهل الينبعي: إلى متى تظل عشرات بل مئات الأسماء الهامة في شتى مجالات تراثنا الحضاري والثقافي مجهولة تعاني من إهمال الدارسين، ومرارة الاغتراب والنسيان ؟!

سورية ـ الحسكة: أحمد الحسين

الهوامش والإحالات :

(١) انظر «تاريخ الأدب العربي» بروكلمان ترجمة د. يعقوب بكر ٤/٢٤٥ أو دائرة المعارف الإسلامية ترجمة محمد ثابت الفندي ١/٤٧٥، وتاريخ الأدب الجغرافي، كراتشكوفسكي ص ١٨٨ .

(٢) «مثالب الوزيرين» التوحيدي، تحقيق د. إبراهيم كيلاني، نشر دار الفكر ص ٢٨٩

(٣) «لطائف المعارف» الثعالبي، تحقيق إبراهيم الأبياري ص ٢٣٩ .

(٤) «مثالب الوزيرين» التوحيدي: ص ٢٩٢ .

(٥) «يتيمة الدهر» الثعالبي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة ٣/٣٥٧ والسُّفْتَجة: هو أن تعطي مالاً للآخر، وللآخر مال في بلد المعطي، فيستفيد أمن الطريق، والجمع سفاتج).

(٦) (٧) «يتيمة الدهر» الثعالبي ٣/٣٥٦.

(٨) من هؤلاء نذكر ابن العميد، ابن النديم، الصاحب بن عباد، عضو الدولة البويهي.

(١١/٩) «يتيمة الدهر» ٣/٣٥٧/٣٥٦/٣٥٨ .

رَحّالة دمشقي مَرّ بنجد سنة ١١٢٠هـ
بعد عوده من الحج، ومَرّ بالأحساء ثم بالعراق

في كتب الرحلات ما لَيْس في كثير من المؤلفات الأخرى، مما يتعلق بوصف البلاد وذكر أحوال سكانها.

وعلماء المغاربة ممن بَزَّ غيرِهُم من العلماء في هذا المجال.

والمعروف في رحلات المشارقة قليل بالنسبة لأولئك، وبين يدي رحلة كتبها أحد أهل الشام في القرن الثاني عشر الهجري، ولفت نظري فيها أنه ـ بعد عودته من الحج ـ مَرَّ ببلاد نَجْدٍ فتوقعت أن يتحدث عنها حديثاً ذا فائدة، إلَّا أَنَّهُ لم يكن على درجة من العلم تحقق ماتوقعت، ولقلة ما اطلعت عليه من رحلات المشارقة حاولت عرض ملخصها للقراء، وأَبَحْتُ لنفسي عَدَمَ التَّقَيُّدِ بما أخطأ فيه من الناحية اللغوية، ومحاولة إيراد مضمون كلامه محافظاً على المعنى، مع تصحيح اللفظ، فأنا لا أسوق كُلَّ كلامه بنصه إلا ما صرحت بأنه من قوله.

وقد أكرمني بنسخة مصورة منها الأستاذ الكريم الدكتور عبدالله العثيمين، وهي مصورة من إحدى المكتبات الألمانيـة، موصوفة في فهرس أهـل ورد ←

← (١٢) نسبة إلى ساسان، وفي «دائرة المعارف الإسلامية» ١١/٤٦: (ساسان ولي جميع المتشردين أو أثناء السبيل كالمشعوذين والسائلين، والحواة، ومنهم أيضاً الغجر، ويدخل في زمرتهم أيضاً أنواع المحتالين كافة، وتسمّى فنونهم، وحيلهم علم ساسان).

(١٣) هو أبو الحسن عقيل بن محمد ينسب إلى عُكبرا، له ديوان شعر مفقود، وفاته سنة ٣٨٥هـ

(١٤) انظر مجلة الاستشراق، ٥/٢٦٠ مقال: أ ـ تروتسكايا (لغة المصطلح لغاني آسيا "الوسطى).

(١٥) للتوسع يمكن الرجوع إلى كتاب «بوزورث» «BOSWOPTH - 1976 - THE MEDIEVAL ISLAMIC UNDER WORLD LEIDEN. BRILL. 1 : 23. 164.

(١٦) «يتيمة الدهر» ٣/٣٧٦.

(١٧/٢٠) معجم البلدان، ياقوت الحموي، نشر دار صادر، مادة صين ٣/٤٤١/٤٤٢/٤٤٣

(٢١) الرسالة الثانية، أبو دلف الخزرجي، تحقيق محمد منير مرسي ص ٣٠.

(٢٢، ٢٣ ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨،) الرسالة الثانية للخزرجي والصفحات على التوالي (٣٤، ٤١، ٤٣، ٥٢، ٤١، ٨٧، ٨٢).

(٢٩) الرسالة الثانية ص ٨٢، وهنالك شواهد أخرى ص ٨٦ كقوله عن الدامغان. (وهـالك قرية تعرف بقرية الحجالين فيها عين تنبع دماً لا يُشك فيه، لأنه جامع لأوصاف الدم كلها).

(٣٠) «أدب الرحلات عند العرب» علي محسن، ص ٣٤٥.

(AHL WARD) تحت رقم ٦١٣٧ ، وهي في ما يظهر في مجموع تبتدئ فيه من ص (١٠٢ ب) إلى (ص ١١٥ ب) في الصفحة الأولى من الورقة شعر لاصلة له بها، وفي الصفحة الثانية مذكرات تتعلق بأحلام لصاحب الرحلة دونها على طرة النسخة منها إشارة إلى رؤيا وقعت له وهو في الأحساء في ١٨ ربيع الأول سنة ١١٢١ تتعلق بالشيخ أيوب المفتي، ثم ذكر وفاته في غرة رجب من السنة المذكورة. وأحلام أخرى وبيتان قديمان من الشعر .

ويظهر أنها مسودة المؤلف، ففيها ترميج فوق بعض الجمل، مع إبدالها بغيرها، وإضافات في الهوامش، وهي ناقصة حيث ينقطع الكلام في آخر صفحة منها (١١٥ ب) بما نصه: (وخرجنا من بغداد نهار الثلاثة ثاني عشر رجب المبارك، وهي زيارة ثانية ووداع، ونسأل الله العود ثم العود إلى تلك الرحاب المعظمة، والبقاع المكرمة، فزرناهما وودعناهما، واستقمنا إلى عصرية الأربعة، ونزلنا في السفينة، وقطعنا على طريق المعظم أبي حنيفة النعمان، زرناه ثانياً، وبتنا على طريق الشطّ ومعنا من الأحباب والأصحاب جماعة) وتنتهي الصفحة.

وبصرف النظر عما يتصف به كاتب هذه الرحلة من سذَاجَة وجَهْلٍ إلا أنه أمد القارئَ بلمحاتٍ على جانب من الطرافة والإفادة، تتعلق ببعض البلاد التي لاتزال جوانب من تاريخها بحاجة إلى ما يجلوها ويبرزها من المعلومات التاريخية ولعل من أمتع تلك اللمحات مافي الرحلة من وصف لبلدة الكويت في عام ١١٢١ بأنها بلدة تضارع الأحساء بشكل أبنيتها، وتفوقها برخص ما يجلب فيها. وهذا نَصٌّ صريح يستفاد منه أن تاريخ الكويت سبق عهد براك بن غُرَير شيخ بني خالد الذي استولى على الأحساء فيما بين سنتي (١١٨١/١١٩٣هـ) إذ من المستبعد أن تبلغ البلدة من العمران الحدَّ الذي وصفها عليه صاحب الرحلة في مدة من الزمن لا تتجاوز أربعين عاماً .

وكاتِبُ الرحلة عاميٌّ، ولكنه ذو إلمام بالأدب، بدأ ما سجل في هذه الرحلة بقوله ـ بعد المقدمة ـ: (يقول العبد الفقير إلى الله الغني المنان، مرتضَى بن علي بن علوان: إنني قد حججت ولله الحمد في أيام الصِّبا وعنفوان الشباب، وذالك في عام ثمانية وثمانين بعد الألف، وكتبت منازل الحج كل منزلة باسمها) ثم تمنَّى أنه لو

ضبط (كل قناق مسيرة كم ساعة، من الشام إلى عرفات) ولعله يقصد بـ (قناق) منزلة، والمَرْحَلة فهو يكرر الكلمة عند وصف المنازل وكذا المراحل.

وهو يريد بما يكتب الآن استدراك مافات من حيث ضبط المسافات حين مَنَّ الله عليه بالحج في سنة عشرين ومئة وألف، صحبة شيخين أَثْنَى عليهما وقال: (الشيخ زين العابدين وشقيقه الشيخ جمال الدين ابني عمي الشيخ محمد قاسم، وكان أمير الحاج الوزير نصوح محمد باشا، كافل الشام، والسردار فخر الأعيان عبدالله أَغَا (الينكجرية) بدمشق، و(الجاويش) محمد أَغَا المعروف بكتكوت، وقاضي الركب مع قضاء مكة المشرفة عبدالله أفندي بن حامد أفندي).

وخرج من منزله بدمشق نهار الثلاثاء بعد صلاة الظهر من اليوم السادس والعشرين من شهر شوال سنة عشرين ومئة وألف، وقد مضى من كانون الأول عشرون يوماً، وذكر أن الفائدة من ذكر كانون لمعرفة أنه فصل شتاء، وليله أطول من نهاره، وتوجه مع الركب الحلبي لتأخره عن الركب الشامي الذي توجه يوم الخميس حادي عشر الشهر.

ومرَّ الركب بمكان يقال له (المُفَقَّر).

وكان المبيت بمنزلة (دنون)[1] بعد سير خمس ساعات.

وبعد سير عشر ساعات كان الوصول إلى (الصَّنَمَيْن).

ومنها إلى (الْـمُزَيْرِيب) التي وصلها الركب بعد خمس ساعات ضحوة الخميس، وكانت الإقامة فيها ذالك اليوم ويومي الجمعة والسبت.

وباستهلال الشهر المبارك ذي القعدة كان التوجه إلى (المفرق) نهار الأحد، في الساعة الثالثة إلى السابعة منه، والبقاء فيه إلى بعد أداء صلاة المغرب.

ثم التوجه إلى (الزرقاء) وكان الوصول بعد الظهر نهار الاثنين بعد سير عشرين ساعة، ووصف الموقع بأنه (قناق)[2] متعب قبيح، ذو ظهور وبطون، ينبغي لماشِيْهِ اتخاذ نَفَقٍ في الأرض تارة، وسُلَّمٍ في السماء تارة أخرى.

ووصف ماقاساه الركب ودوابهم من التعب.

ثم التوجه نهار الثلاثاء الساعة الرابعة مع نقل الماء إلى (القِطْرَانَة)[٣] والمرور على (البلاطة)[٤] وبعد مسير ثماني عشرة ساعة كان الوصول طلوع الشمس إلى (البلقة)[٥] وفي الساعة السادسة من نهار الأربعاء كان الوصول إلى (القِطْرَانة) بعد سير خمسة عشر ساعة بعد المرور بـ(وادي النسور)، وشعاب كثيرة، وقال عن قلعة (القِطْرانة) هي قلعة لطيفة، ذات عمارة معتبرة، محكمة التربيع، مشيدة البناء بالأحجار البيض والكِلْسِ والْـمُوْن، ولها باب من الجهة القبلية، ووصف ماءها بأنه متغير، لأنه يجتمع من المطر، وفي هذه السنة لم ينزل مطر، وهذا الماء من العام الماضي. ثم كان الاتجاه إلى (الحَسَا)[٦] في الأصيل قبل صلاة المغرب والوصول بعد طلوع الشمس بساعتين، والسير ست عشرة ساعة.

ومنها بعد صلاة العصر إلى (عُنَيْزَة) مع نقل الماء إلى (الْـحَسَا) فكان الوصول بعد طلوع الشمس بساعة، ووصف المنزلة بأنها دَارٌ واسعة، وذكر خانَها العظيم، إلَّا أَنَّهُ خراب، وبعض جُدُره متساقطة، وأورد بيتاً من الشعر:

إنَّ الْبِنَـاءَ إذا تَعَـاظَمَ أَمْـرُهُ فِيْهِ الدَّلِيْلُ عَلَى عَظِيْمِ الْبَانِـي

ومسافة السير خمس عشرة ساعة، وكان الوقود بحطب الشِّيْحِ، إذْ لا نبات في هذا المنزل ولا في الذي قبله.

وبعد المغرب إلى (مَعَان) وبلوغها عند طلوع الشمس بعد سير ثماني ساعات، ووصفها قائلاً: (فإذا مَدْخَلُهَا أَتْعَبُ من مخرجها، ومخرجُهَا أَتْعَبُ من مدخلها، ذات آكام وآجام، وبطون أورية، وظهور أندية، ذات شعاب متفرقة، متحطمة بأحجار، قبيحة بأخبار، أضيق من أهلها، الذخائر فيها قليلة، والشرور فيها كثيرة) ثم ذكر الإقامة فيها ثماني عشرة ساعة. والخروج بعد الزوال الساعة السابعة مع حمل الماء إلى (ظهر العقبة) والوصول بعد طلوع الشمس بعد سير تسع عشرة ساعة.

والتوجه بعد صلاة الظهر إلى (جُغَيْمَان)[٧] والنزول من ظهر العقبة بعد العصر، والوصول إلى (جُغَيْمَان) مع الشمس بعد سير خمس عشرة ساعة، ووصف المنزلة بأنها منزل رحب، سهلٍ الفضاء متسع الرمضاء، قال: فسألنا عن جُغَيْمَان، ما جُغَيْمَان؟ فَدَلُّونا على تلٍ هناك يدعى بـ(جُغَيْمَان).

ثم المسير إلى (ذَات حج)[٨] والمياه منقولة من (مَعَان) إلى ظهر العقبة إلى جغيمان إلى (ذات الحج) التي كان الوصول إليها بعد سبع ساعات من الليل، وأول المسير في الساعة السابعة من النهار، وفي أثناء الطريق ذكر أنه مَرَّ بمحل ذي أحقاف من الرمل يدعى (حالات عمار)[٩].

وقال في وصف (ذات حج): (منزل رحب يُنْبِئُ عن قلعة محكمة البناء، مشيدة الْـمَبْنَى، في حائطها بركة يخرج إليها الماء من باطن القلعة إلى الخارج، وماؤها قليل متغير اللون والطعم، وفي القلعة بعض خلل يقولون إنه من العرب، وهو أنه في سنة ثماني عشرة ومئة وألف سقط جدارها الغربي إلى عضاضة بابها، وقد مال الباب ولم يسقط، وحولها بيوت صغار يسكنها بعض الأعراب بشكل قرية، فخلت من أهلها ولم يبق في القلعة ولا في جوارها أحد، ودار حضرة الباشا المكرم في جهاتها، وطلع أعلاها، ودار حولها. وما يليها ليخبر السلطنة عنها وليعيدها كما كانت) وكان السير إليها ثمان ساعات.

ومن (ذات حج) في الساعة الثامنة، والوصول إلى (القاع)[١٠] طلوع الشمس وهو منزل رحب فسيح المجال والماء مصحوب من (ذات حج) والمسير أربع عشرة ساعة.

وقمنا من (القاع) إلى (تبوك) ودخولها في الساعة السادسة ليلاً والسير ثماني ساعات، وقال في وصف تبوك: (فإذا هي منزل رحب، فيه قلعة عظيمة البناء، والترتيب والمغنى، فيها جند من (قول) السلطان، وماء كثير، قال: (وحملنا إلى الأخيضر لأنهم ذكروا لحضرة الباشا أن الأخيضر قليلة الماء وأن فيها بركة لبني منجك وبركة لبني مزلق) فنبه الباشا إلى حمل الماء.

قال: ثم قمنا من قلعة (تبوك) إلى (الأَخَيْضِر)[١١] فوصلنا بعد مضي أربع ساعات من الليل، فكان السير عشرين ساعة بعد استراحة ساعتين، ووصف المنزل بقوله: (هو قناق متعب، ذو شعابٍ وضروب، وبُغَازَات ونقوب، يعبر عنها بنقب (الأخيضر) فوصلنا إلى قلعة عظيمة البناء والصورة، بجند مولانا السلطان معمورة، وإن لم تكن بالخيرات مغمورة، ولكن ماءها كثير، بضد ماعَرَّفوا مولانا

الوزير، ولم يوجد فيها من الذخائر إلا القليل، وبتنا تلك الليلة في رحابها، وجاءنا تلك الليلة مطر عظيم غرق من الإبل رحالُها:

ولَـمَّا أَنَخْنَـا بِـ(الْأُخَيْضِرِ) رَحْلَنَـا وَنَحْنُ لِـمَا نِلْنَاهُ فِي شِدَّةِ النَّصَبْ
أَنَاخَتْ عَلَيْنَا مِنْ بُرُوْقِ رُعُوْدِهَا سَحَابَةُ مُزْنٍ صَيَّرَتْ سَيْرَنَا خَبَبْ

وكان المسير في ثاني يوم الوصول، وباقٍ في النهار خمس ساعات، إلى (قلعة المُعَظَّمِ)[١٢] والمسير سبع عشرة ساعة قبل الوصول إليها، وقال: (لكن نلنا من مسافتها من المشاق مالا يطاق من أماكن تعرف بـ(جناين القاضي) و(الصاني)[١٣] و(النقب) ومن الغدران والغيلان، وضيق المسالك في النقوب بين الحجاج والدواب، والمحامل والركاب، وتعب كل من أؤلئك غاية التعب) ووصف القلعة بعظمة البناء لا نسبة لغيرها بها، إلَّا أنها معطلة، ومن أهلها مستوحشة، وفي بركتها قليل ماء من المطر، قال: (وسألنا عنها فقيل لنا: إن بئرها نشف ماؤه وتعطل، وصار بين محافظها وبين العرب عداوة قديمة آلت إلى تركها).

وبعد مسير ست عشرة ساعة كان الوصول إلى (الدار الحمراء) والماء من (الأخيضر).

والرحيل بعد أن بقي من الليل خمس ساعات إلى (المداين)[١٤] والوصول بعد مضي سبع ساعات من النهار، فالمسير اثنتا عشرة ساعة، وصف المنزل بأنه متعب، وسمى محلات مر بها (الزلاقات) ثم (شق العجوز)[١٥] ثم (مبرك الناقة)[١٦] وبعد المبيت في (المداين) وصلاة الصبح كان السير إلى (العلا) الساعة الرابعة والوصول الساعة الرابعة من نهار الجمعة عشرين القعدة، قال: (ولم نر فيها شيئاً من الذخائر، والسبب أن الجراد في العام الماضي أثر عندهم وشوش عليهم، فما كان إلا التبن وبعض تمر وقليل ليمون وبعض ذبايح).

وكان في (العُلَا)[١٧] المبيت والإقامة نهار السبت إلى مابعد الظهر.

ثم كان المسير بعد أن بقي في النهار أربع ساعات إلى (مَطَرَان)[١٨] والوصول بعد طلوع الشمس بساعة، ومجموع السير ثماني عشرة ساعة والماء منقول من

(العُلاَ)، قال: (والشعير قد خلص من عندنا، وعند غيرنا، فصرنا نحن وغالب الحاج نعلق على البغال المعبوك، يُفْرَكُ في الماء ويوضع في المخالِي، وقد رأينا من يشتري كُلَّ مُدٍّ بقرش صحيح، وقد تاه الدليل تلك الليلة وتعب الحاج تعباً كثيراً).

قال: (ومنها الاتجاه إلى (شَعْب النعام) بعد أن بقي في النهار أربع ساعات والوصول أول الفجر بعد ست عشرة ساعة قال: فإذا هو قناق متعب، ذو ظهور وبطون، وأحجار وغيلان)[١٩].

وفي أثناء الطريق واد يقال له (وادي النار) وبعده محل يقال له (البِير الجديد) استقى منه بعض الحاج ونقل منه غالب السقاية الماء إلى الشعب المذكور.

قال: (ثم قمنا إلى (هدية) بعد أن بقي من النهار أربع ساعات فوصلناها بعد طلوع الشمس بساعة، فإذا هو منزل لابأس به، غير أنَّ الغِيلان في دربها كثير، ووجدنا من السيل في أفنائها نهراً عظيماً يدور على ثلاثة أدرب كأنه ثلاثة أنهر سألنا عنه فقيل قد جاء في صحراء العراق سيل كثير عرموم، وهذا ممتد منه، وكان قناقها ثمانية عشر ساعة).

ثم ذكر المسير إلى (الْفَحْلَتَيْنِ) وقد بقي من النهار ساعتان وبلوغ المنزل، وقد مضى من نهار اليوم الثاني خمس ساعات، وكان النزول في (قاطع الفحلتين) والماء من (العلا) ومن (هدية) من السيل المذكور، ووصف السير بأنه متعب، وفي أثناء الطريق عقبة يقال لها (العقبة السوداء) نال الحاج منها التعب، وتقطعت الْقُطُرُ، وضاع للناس بعض الجمال والبغال وأحمالٌ، وزاد من مشقتها طولها، ومدة السير عشرون ساعة، ثم ذكر نزول سحابة مطر، وتمثل بيت من الشعر:

تَرَاكَمَتِ الْأَتْعَابُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ وَمَعْظَمُهَا أَنْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

ثم ذكر المسير من المنزل المذكور والوصول إلى المدينة المعظمة.

وقال: (القانون المألوف أَنَّ من هَدِيَّة إلى المدينة ثلاث مراحل، فحضرة الباشا لأجل العَليق عملها شيلتين، وكلف الناس هاتين المسافتين).

في المدينة المنورة :

قال: (فدخلنا المدينة المنورة نهار الخميس المبارك، محل الظهر، فكان سيرنا عشرين ساعة ومررنا على (وادي العقيق)... وقلت ارتجالاً :

ولما غشتْ وادِي الْعَقِيق جمالُنا ... ونَحْنُ بحمدِ الله في غاية الصفا
وكُنَّا مَحَلَّ الْفَجْرِ فانفجرتْ لنا ... مفاتيحُ أنوار النبي المصطفى
وكان نهار للخميس مبارك ... وليلته الغرا العروبة أَلْطَفا
فيا سعد من أيام سعد وطيبها ... بطيبة لو مَنَّتْ عليَّ فتعطفا

أوردت قوله هذا لبيان منزلته من العلم.

ثم ذكر أنه ومن معه اتجهوا إلى العبادة من صلوات وقراءة قرآن وزيارة مشاهد حتى كان يوم الأحد بعد الظهر قال: (وكان الباشا ذكر أنه تعوق في المدينة يوماً زائداً، فأراد أن يجعل المدينة إلى بدر (قناقين) يقصد مرحلتين فكلف الناس بذالك فكادوا أن يقعوا في المهالك).

وكان السير ظهر يوم الأحد إلى (الأبيار)[٢٠] حيث الإحرام والاغتسال والصلاة في المسجدَيْن، ثم السير إلى قبيل الظهر ثاني يوم.

ثم ذكر النزول قريب (بير ذات العلم)[٢١] قال: (هو كبير موحل موحش) وكان السير إليه ثماني عشرة ساعة.

ومن (بير ذات العلم) كان المسير قبل المغرب بساعتين إلى (بَدْرٍ) والوصول بعد أن بقي من النهار خمس ساعات، ومجمل السير عشرون ساعة، ووصفه بالمشقة، فالأنفس قد بلغت حَدَّ التراق، والجمال والدواب وقفت على ساق، وكان المبيت تلك الليلة في (بدر) قال: (وقد دخلنا بدراً ودُرْنا في رحابها، فإذا هي بلدة كبيرة، فيها مسجد يقال له مسجد الغمامة، زرناه وصلينا فيه، وهو جامع تقام فيه الجمعة، يشتمل على منبر، وزرنا شهداء بدرٍ فوق المسجد بحصة، وفي هذه البلدة سوق كبير، ظننا أنه يقوم أيام الحج فقط ، فأخبرني رجل من أهلها أنه هكذا طول السنة لا يفتر ، وأن عليه مَرَدٌّ من البحر إلى الينبع مسافة يوم، وفي

السوق المرقوم فهو كأي بلد في مكة في (محلة أم عابدة)[٢٢]!

وذكر أن قبل الوصول إلى (بَدْر) حين بَلَغَ الْحُجَّاج قرب الْجُدَيِّدَةِ نصف الليل (نفرت الإبل، وصارت حالة مزعجة وقع غالب الركاب، وفقدت بعض الأسباب التي سقطت، وفي الحال لُقِطَت، وماكان إلَّا شيطان دخل بين تلك القطارات).

وقال: وتوجهنا من بدر وقد بقي من النهار أربع ساعات إلى (القاع) وكان الوصول طلوع الشمس والسير سبع عشرة ساعة، ووصف (القاع) بأنه متسع رحب، وصار للجمال في ليلته جفلتان، وذكروا أن مثل هذا يحدث في هذا الموضع.

ومن القاع إلى (رابغ) وقد بقي من النهار أربع ساعات، وبعد مضي عشر ساعات من الليل كان الوصول بعد سير أربع عشرة ساعة، ووصفه بأنه منزل واسع، وذكر المرور بقرية (المستورة) وقت صلاة المغرب، وأشار إلى نقلهم الماء من بدر إلى القاع ثم إلى رابغ، وأن الحنفية أحرموا منه.

ثم المسير إلى (قُدَيْدٍ) وقد بقي من النهار خمس ساعات إلى أن مضى من اليوم الثاني خمس ساعات، فكان المسير أربعاً وعشرين ساعة، ووصف السير بأنه متعب صعب، في تلال ورمال وقلابات صعاب، وأن الدليل قد تاه وضل السبيل. قال: (وفي صباحه يَسَّر الله وقطعنا عقبة السُّكَّرِ، عقبة متعبة مهولة، تطلع فيها إلى جبل من الرمل، وتنزل إلى بحر من الرمل).

ثم قال: (نزلنا وأقمنا إلى أن بقي من النهار خمس ساعات وتوجهنا إلى (وادي فاطمة) فوصلناه مثل الوقت الذي مشينا فيه، فكان سيرنا أربعة وعشرين ساعة، منها ساعتان استراحة) وأشار إلى المرور بـ(خُلَيْص) قبل المغرب، وعلى (مدرج عُسْفَان) ربع الليل وعلى (سبيل الْـجَوْخِـي) بعد نصف الليل، والوصول إلى (وادي فاطمة) وقد بقي من النهار خمس ساعات).

في مكة المكرمة:

وفي صباح الاثنين يوم التروية الثامن من شهر ذي الحجة، كان الوصول إلى مكة المشرفة بعد مضي خمس ساعات من النهار، قال: (نزلنا (أم عابدة) بمن معنا

من الأرفاق والأتباع والحجاج، وكان جملتنا ثلاثة وثلاثين نفراً ، وضربنا الخيام واحدة لنا ، وواحدة للنساء ، والثالثة للأتباع ، تغدينا وارتحلنا ، وتوجهنا لمكة المشرفة ، وبمحل السيد الشريف محمد بن السيد علي بن حيدر حَلَلْنَا فسلمنا عليه، وذالك بعد أن كان قد وصل كتابنا إليه).

وذكر النزول إلى المسجد الحرام ، وأداء النسك ، قال: (ثم شدَّيْنا من (أمّ عابدة) بعد العشاء فنزلنا (عرفة) ومن (أم عابدة) إلى عرفات ثلاث ساعات) وذكر الوقوف بعرفة مع السيد محمد بن حيدر وولديه رضي الدين وعلي، ثم النفرة مع الباشا أمير الحج الشامي، والتوجه إلى المزدلفة والمبيت فيها، وذكر أنه شاهد حُجَّاجاً مختلطين أَعْجَاماً ومشاهِدَةً يقال لهم: (الحج الْعُقَيْلِي)، وذكر إكمال المناسك والعودة إلى مكة والنزول ببيت السيد محمد بن علي بن حيدر ، وأنه جاور أربعين يوماً في مكة المكرمة، وأنه في نهار السبت رابع المحرم افتتاح سنة إحدى وعشرين بعد المئة والألف ختم القرآن العظيم ثلاث مرات، وأنه كان يتردد على الشريف حامي حمى بيت الله الحرام الشريف عبدالكريم، وابن عمه الشريف عبدالمحسن، والشريف يحيى، وأنه اجتمع بأعيان مكة المشرفة وزار مافيها من الأماكن والمدافن، وحضر ليلة (النوروز) ليلة التاسع من المحرم بعد مضي خمس وخمسين درجة من المغرب، وأنه دخل البيت العظيم.

ثم عزم على التوجه إلى المدينة المنورة صحبة الشريف مبارك أخي عبدالمحسن، وكان ذالك نهار الثلاثاء الرابع عشر من المحرم، والإقامة في الْأَبْطَحِ ثلاثة عشر يوماً (حتى جمعوا فيها من الأعجام ما مقداره من الذهب السكة أربعين ألف أحمر (طرليا)؟ لطف الله بهم).

قال: (ومما نالنا من العوارض في ليلة الحادي والعشرين من الشهر المرقوم أَنْ قُمْنَا من الليل فرأينا جميع أسبابنا مسروقةً من الخيمة، ولم يبق لنا إلَّا ماكان منا في الأعناق، وكذالك ولد أختنا السيد حسن ووالدته، وبعض أرفاقنا وأتباعنا، وغالب النحاس ودَبَّتَيْنِ ملآنتين سمناً، فتوجها إلى الشريف وشكونا له، فأرسل من جانبه من يقصُّ الأثر ، ثم ذكر أن اللصوص ثلاثة من هُذَيْلٍ وُضِعَ شَيْخُهم

في السجن يومين، وأنه أكثر الكلام على حضرة الشريف حتى أمر بأن يُشْنَقَ المحبوس، فشفع فيه أحد الحاضرين، مع أخذ مهلة لعله يظهر الأمر، ولكنه عزم على السير بعد أن ضاقت به الحال، ووكل في ذالك السيد محمد بن حيدر بمعرفة الشريف، على يد حضرة عبدالقادر أفندي الصديقي المفتي الحنفي بمكة المكرمة، قال: (وكتبنا له وكالة وبياناً بمفردات الأسباب).

ثم ذكر التوجه نهار الاثنين السابع والعشرين من المحرم إلى (وادي فاطمة) وفيه رأوا هلال صفر ليلة الجمعة.

ووصف هطول المطر في تلك الليلة بأبيات قالها ارتجازاً على طريق المجاز، وقد ضمنها ماجرى له أثناء إقامته في مكة، ولعل القارئ يكتفي بذكر ملخص ما تحويه، فقد ذكر النزول بالأبطح، ثم بعد انقضاء أيام منى المجاورة في مكة، ثم الخروج إلى الأبطح والمبيت فيه سبع ليال، وحدوث سرقة أمتعته في اليوم الثامن، والشكوى إلى الشريف عبدالكريم وإلى محسن بن زيد، وإلى الوزير القائم مقام، وأن قُصَّاص الأثر عرفوا السُّرَّاق من هُذَيْل، وحبس ثلاثة من شيوخهم، وأن الشريف عبدالكريم خَيَّرَهُ بين الـمُكْث في مكة أو توكيل من يشاء بشأن القضية، فوكل محمد بن علي بن حيدر، وكتب مفردات ما سُرِق منه.

لم يفصل المراحل بين مكة والمدينة، بل اكتفى بالقول: (وصلنا المدينة المنورة نهار الرابع والعشرين من شهر صفر، فنزلنا في محل يقال له (فوق الحرة) بين المدينة وسيدنا حمزة، وهو إليه أقرب، فأقمنا خمسة أيام، قضاها بالعبادة صلاة وزيارات ويظهر أنه ينتمي إلى آل البيت فقد قال: (وودعنا الصحابة الكرام.... وودَّعنا جدتنا السيدة... فاطمة عليها أفضل الصلاة والسلام)!!

وفي عصر الأحد رابع عشرين من صفر، كانت زيارة البقيع.

وفي صباح الاثنين خامس عشرين من صفر، كان المسير من المدينة تحت جبل أحد وهو على اليسار، ويظهر أن الاتجاه كان إلى الأحساء حيث ذكر ما نصه: (وذكروا لنا أن المسافة من الـحَسَا إلى مكة يقطعها الحاج في ثمانية عشر يوماً، وأن الإياب من مكة إليها يبلغ خمسة وعشرين يوماً) قال: (وتوجهنا كما ذكرنا على بركة

الله نهار الاثنين المذكور وكان انتهاء السير والوصول إليها نهار الأحد تاسع شهر ربيع الآخر ، فكان جملة المسير إليها ثلاثة وسبعين يوماً عدا الإقامة في الأَبْطح) .

وذكر أن الجمال الذي تولى نقلهم وعبر عنه باسم (حَمَل دَار)[٢٣] رجل مشهدي اسمه عباس قال: كنا نعرفه أولاً بالاسم، ففي هذه المدة اتضح اسْماً ورَسْماً، ثم أورد من نظمه:

عباس إنْ تَعْلَمُ أوصافَه فإسْمُهُ من بعض أوصافه
قد اتخذناه لنا سايِساً صرنا له من بَعْضِ سُيَّاسِهِ

قال: (وكان لنا أرفاق أخيار أعرضنا عن التعرض لذكرهم، رغبة فيهم أو رغبة عنهم) وساق في ذالك نظماً ، ثم قال: (وفي هذه المسافة مررنا بقفار عظام طوال عراض ، ومن الجملة محل يقال له (سد عنتر)[٢٤] لا يوصف غير أنه سهلة عظيمة، محيط بها جبال عظام ، والطلوع منها والدخول إلى هذا المحل لا يمكن إلاَّ من كما يسرب النمل قطاراً قطاراً بين شعب الجبال).

بلاد نجد :

ثم قال: (وفي هذه المسافة مررنا على بلاد نجد، فإذا هي بلاد عظيمة، رحيبة البقاع، عظيمة الاتِّساع، طيبة الهواء، لطيفة الماء، وردنا منها ثلاثة من البلاد.

الأولى: يقال لها (نفي)[٢٥].

والثانية: بعد يومين (ثرمداء).

والثالثة: بعد يومين الثالث دخلنا بلداً اسمها (الْعُيَيْنَة) وهي أعظم الثلاث.

وفيها من الحمض الْكُبَّاد والنَّفَّاش[٢٦] مالا يوجد مثله إلا في صالحية دمشق الشام، وأما المياه فلا تقاس بغيرها طيباً وصفاءاً وهضماً ، سألنا عنها فقيل: كلها آبار ، وبعضها مالحة، وفي هذه البلاد أرزاق وخيرات كثيرة)، قال: (وقد حصل لنا تشويش مزاج في هذا الطريق مدة ثلاثة وثلاثين يوماً ، إلى أن وصلنا هذه البلاد ، وشربنا من مائها وتعطرنا بنسيمها، وحللنا رُبَاها مَنَّ الله وله الحمد علينا بالعافية، فلما تحركت الحرارةُ الغزيرية قُلْت ارتجالاً على طريق البديهة وكتبت معها كتاباً إلى الشام:

لَقَدْ صِرْتُ في نَجْدٍ فأين التلاقيا؟ ومَنْ مُخْبِرٌ عنِّي بما أنـا لاقيا؟

في أربعة وثلاثين بيتاً على هذا النمط ، يروم من صَبَا نجد أن تبلغ أشواقه وتحياته على أقاربه في الشام ممن سَمَّاهُم واحداً واحداً .

ويَتحدث عَـمَّا نَالَهُ من عوارض أثناء السير ، فكان مما ذكر أنه في اليوم الثالث بلغ أرضا يقال لها الضواحي[٢٧]، قال عنها إنها وِدْيَانٌ من الرمل ، فعارضه جمل شارد ، اعترض لجمله على حين غفلة فقطع خطامه، فسقط على الأرض مما سبب له تأثراً في فخذه الأيسر .

الحسـا :

وبعد أربعة أيام وهم مجدون في السير كان الوصول في اليوم الخامس إلى (الحسا) وصفهـا بما معناه ولفظه: هي بلدة عظيمة البناء، واسعة الرحاب، كثيرة المياه، تشتمل على عيون جارية، وآبار معينة، ومساجد وعلماء وصلحاء، محصولها النخيل، وجُلُّ غِلاَلِهَا التمر مع الرخص، مواشيهم جميعاً الإبل والبقر والحمير وأكلها مع أهاليها التمر، غير أن البقر يُحَلَّ له التمر بالماء ، والنوى يُغْلَى في الماء حتى يلين ويجعل عَلَفاً . والباذنجان كبير يباع بالعدد ، وخلقته لطيفة، وأما القُثَّا فطويل سبط معوج، يزيد طول الواحدة على الذراع، وخيراتها كثيرة لأهلها، ويذكرون أن نصف أهلها شيعة ونصفهم سنة، وهم مُتَّحِدُوْنَ اتِّحَادَ الأهل من غير عناد بينهم، وكذالك قراها وكافلها ووالِيها وحاميها يقال له الشيخ سعدون[٢٨] سنيٌّ من عرب (خالد) ووزيره شيعي يقال له الشيخ ناصر ، وأنه من أولاد مروان ابن الحكم، كما أُخْبِرْنا، واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهم راض عن الآخر .

وبحث عن رجل مجبر حاذق ليعالج ما أصاب فخذه لما سقط من جمله فَدُلَّ على إنسان يقال له حجي بن شعيوين، من قرية من قراها يقال لها (الهشة)[٢٩] خارج البلد بخمسة فراسخ قال: (فجاء وباشر خدمتنا وتعليل الأيام المذكورة خمسة وعشرين يوماً، وماخرجنا منها إلاَّ ونحن نَمْشِـي عليها).

وذكر حادثة وقعت أثناء وجوده في ٱلأَحْسَاء حول رجل مات فوق صدر امرأة،

وأنه سُئِلَ عن حكم غسله وتكفينه ودفنه ويظهر أنَّ القصة خرافية.

قال: (وسألنا عن نخلها متى يحمل بعد غرسه؟ فقالوا: خمس سنين، وفي العاشرة يكون كَمُلَ حمله قال: ويزرع تحت النخل الْقَتُّ لأجل الماء والسقاية في كل أسبوع، والنخيل والتمر الذي فيها لا يوصف، وذكروا لنا أن اسمها (هَجَر) بفتح الجيم وهي التي يضرب بها المثل (كَمُهْدِي التمر إلى هجر) وإنما سميت الـحَـسَـا، لحساء الماء فيها، وتخلله في أراضيها، ويقوم فيها سوق عظيم في نهار كل خميس، ويأتيه أهل القرى، ويباع فيه من سائر الأشياء.

وقال لي بعض العلماء من تلك الديار: إن هجر اسم يطلق على البحرين والحويزاء[٣٠] والحساء، هذه الثلاثة.

وهم يسمون باب المدينة (الدروازة) وداخل البلد (الكوت) ويقولون خرج فلان من الكوت ودخل فلان الكوت، والنار يسمونها (ضَوْ) بجميع أصنافها.

ثم ذكر ممن اجتمع به في الأحساء السيد عبدالله بن علي المشهدي، والشيخ أحمد بن حَصي من العلماء قائم بأعباء مصالح إخوانه.

وفي يوم الجمعة بعد العصر الرابع من شهر جمادى الأولى بعد الإقامة خمسة وعشرين يوماً في دار خارج البلد في محلة يقال لها البرَّانِية، كان الاتجاه إلى النجف.

الكويـــــت :

قال ثم من نهار خروجنا إلى مضي خمسة عشر يوماً دخلنا بلداً يقال لها الكويت - بِالتَّصْغِير - وهو بلد لابأس بها، تشابه الحساء، إلا أنها دونها، ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها، وكان معنا حُجَّاجٌ من أهل البصرة فرقُوا عنا من هناك على درب يقال له (الجهراء).

ومن (الكويت) إلى البصرة أربعة أيام، وفي المركب يوم واحد، لأن ميناء البحر على كتف الكويت، والفواكه والبطيخ وغير ذالك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب، أقمنا بها يوماً وليلتين، وتوجهنا على بركة الله وجهة (النجف)

نهار الأحد عَشْرَيِ الشهر المذكور، وهذه (الكويت) المذكورة اسمها (القُرَيْنُ) ومشينا قبل وصولنا إليها على نهار البحر ثلاثة أيام، والمراكب تسايرنا في الميناء على حدود البلدة، وهذه البلدة يأتيها سائر الحبوب من البحر حنطة وغيرها، لأن أرضها لا تقبل الزراعة وليس فيها شيء من النخيل ولا غيره من الأشجار، وأسعارها أرخص من الحَسَاء لكثرة الدفع من البصرة وغيرها.

ورأينا هلال جُمَادى الآخرة ليلة الخميس قبل وصولنا النجف لستة أيام.

النجف:

ويذكر أنه دخل النَّجَف نهار الثلاثاء سادس الشهر المذكور، وأقام هناك اثني عشر يوماً وتوجه يوم الجمعة ١٦ إلى (مسجد كوفان)، وذكر مازار من المدافن، وانه اجتمع ببعض العلماء منهم السيد محمد صالح شيخ الإسلام، وكان يقرأ درساً عاماً في «من لا يحضره الفقيه» وحوله نحو عشرين من الطلبة في داره.

ثم ذكر مسيره يوم السبت سابع عشر من الشهر إلى (الحلة) وأنه بات فيها ليلتين ودخل بعض حماماتها، وخرج منها نهار الاثنين لزيارة (مشهد الحسين) وأنه نزل بقربه ببيت الخطيب، وأقام ثلاثة عشر يوماً في أثنائها هلَّ شهر رجب سنة ١١٢١هـ ليلة الجمعة ووصف ماجرى من اجتماع في تلك الليلة بحضور والي بغداد وجنده.

ثم ذكر توجهه إلى بغداد نهار الاثنين رابع رجب والمبيت في قرية (المسيب) والسير بالسفينة في نهر الفرات.

وسَمَّى من المواضع التي مَرَّ بها (بير النصف) و(خان زاده)، قال: وأخبرنا سكان هذا المحل أن هذا الخان كان مجمعاً للأعراب من قطاع الطريق، ففي أيام الوزير حسن باشا والي بغداد في هذه الأيام مَهَّدَ الطُّرق وأَمَّنَ السُّبُل، وعمر هذا المحل وغيره.

ثم ذكر دخول بغداد نهار الأربعاء والنزول عند الحاج زين العابدين النعلبند (؟) ثم الإقامة في بغداد ثمانية أيام. وأنه دار في أسواق بغداد ودخل بعض حماماتها

وزار مشاهدها المعروفة واشترى ما احتاج من جوخ وكسوة.

وتوجه بعد ذالك لزيارة الكاظمين وخرج من بغداد يوم الثلاثاء ثاني عشر رجب. ثم ينتهي الموجود من الرحلة.

الحواشي :

(١) دنون: يعرف في كتب الرحلات (ذو النون) انظر «الدرر والفرائد المنظمة» ٢/١٢٦٦ .

(٢) قُناق: لعله يقصد بهذه الكلمة المرحلة أو المنزلة.

(٣) القطرانة: لاتزال معروفة على خط سكة الحديد بعد محطة الحَسَاء إلى عَمَّان.

(٤) بلاطة: قال عنها صاحب «الدرر الفرائد المنظمة» ص ١٢٦٦ ـ رأس بلاطة أول بلاد الْبَلْقَاء وليس بها ماء .

(٥) يقصد البلقاء .

(٦) الـحَسَا: محطة معروفة من محطات سكة الحديد بعد عُنَيْزَة، للمتجه شمالاً وعُنَيْزَة من محطات سكة الحديد المعروفة بعد مُعَان للمتجه إلى عَمَّان.

(٧) عن جُغَيْمَان انظر ص ٣٢٤ من كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» (قسم شمال المملكة).

(٨) ذات حَج : صواب الاسم (ذاتُ الْحاج) بتحفيف الجيم، وهو اسم نبات يظهر أنه كان يوجد في ذالك المكان، وانظر عن هذا الموضع (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(٩) حالات عمار: تعرف الآن باسم (حالة عمار) وتقع جنوب الْمُدَوَّرَة في المنتصف بينها وبين ذات الحاج، وليست المنزلتان على طريق السكة الحديد بخلاف الْمُدَوَّرَة (سرغ قديماً).

(١٠) القاع : لايزال معروفاً وقد يسمى (قاع أبو طرفاء) وفيه بئر ابن هِرْماس ـ انظر عنها وعن القاع (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١١) الأُخَيْضر: موضع معروف بمنطقة تبوك، انظر عنه (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١٢) بركة المعظم منسوبة إلى الملك المعظم عيسى بن العادل محمد الأيوبي (٥٧٦-٦٢٤هـ) انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١٣) الصَّاني: يعرف الآن باسم (لَصَّان) بين منزلة بركة المعظم والعُلا ، انظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١٤) المدائن: يقصد بالمدائن ما تعارف عليه العامة من تسمية الحِجْر باسم مدائن صالح، وهذا خطأ قد أوضحته في مجلة «العرب» س ١٣ ص ٣، س ١٤ ص ٦١٩ ـ.

(١٥) شق العجوز: ويسمى (شطب العجوز) أيضاً وهو شعب فيه غدير يبعد نحو أربعين كيلاً شمال الحِجْر ، وهناك موضع آخر يسمى (شق العجوز) بقرب بلدة ضبا ، وانظر (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

(١٦) يقصد بها (مبرك ناقة صالح) بقرب الْحِجْر .

(١٧) العُلا: المدينة المعروفة. وكل المواضع التي ذكرها بعد العلا إلى المدينة معروفة.

(١٨) مَطَرَان: الأصل في التسمية مَطَرَان مثنى مَطَرٍ أحدهما مطر الأحمر والثاني مطر الأسود واديان يقعان جنوب وادي نَخَلَى الذي يبعد عن هجرة مُغَيْرَاء في الجنوب الشرقي منها بنحو خمسة عشر كيلاً ، ومغيراء جنوب مدينة العُلا بنحو عشرين كيلاً «العرب» ١٩/١٣٣ .

(١٩) الغيلان: يظهر أنه يريد بهذه الكلمة شجر أُمّ غيلان وهو شجر السَّمُرِ ، وهو كثير الشوك .

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٦٩ ـ

٢٩٨ ـ بَابُ خَبارٍ ، وَحِيَارٍ ، وجُبَارٍ ، وجَيَّارٍ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ : بِفَتْحِ الْخَاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـ: فَيْفُ الْخَبَارِ مَوْضِعٌ قَرِيْبٌ مِنَ الْمَدِيْنَةِ ، وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ قَدِمَ عَلَى رَسُوْلِ الله ﷺ نَفَرٌ مِنْ عُرَيْنَةَ ، وَكَانُوْا مَجْهُوْدِيْنَ، مَضْرُوْرِيْنَ، فَأَنْزَلَهُمْ عِنْدَهُ، وَسَأَلُوْهُ أَنْ يُنَحِّيَهُمْ مِنَ الْمَدِيْنَةِ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُوْلُ الله ﷺ إِلَى لِقَاحٍ لَهُ بِفَيْفِ الْخَبَارِ وَرَاءَ الْحِمَى، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَفِي جُمَادَى الْأُوْلَى غَزَا رَسُوْلُ الله ﷺ قُرَيْشاً فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ بَنِيْ دِيْنَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ

---

(١) تَقَدَّمَ قول نَصْرٍ: (بَابِ خَبَّانَ) الخ عِنْدَ قَوْلِ الْحَازِمِيِّ فِي الْبَاب الـ(٢٣٢) مِنْ حَرْفِ الْجِيْمِ ـ: (بَابُ جَيَّانَ وَجَبَّان، إلى آخِرِ ما قال ←

---

(٢٠) يقصد آبار علي وهو ذو الحليفة الميقات المعروف. ←

(٢١) هي بئر الروحاء ، وتُحاك حولها خرافات كثيرة

(٢٢) يقصد محلة المعابدة، ومما قيل عن تسميتها وهو خطأ أنها نسبة إلى عجور تسكنها تدعى (أم عابدة) فقد ذكر أحد المتقدمين أن بقرب هذا المكان مسجداً كان يقصد ويتعبد عنده، فسمي المحل المعابدة.

(٢٣) لعله يقصد بكلمة (حمل دار) الجمّال المسؤول عن حمل القوم أمتعتهم، والكلمة تركية، مثل (خرنهْ دار) و(بيرق دار).

(٢٤) لا أعرف موضع هذا المكان ومايضاف إلى عنتر من المواضع كثير.

(٢٥) إذا صح أن هذه بلدة ولم تكن مورداً فهو يدل على قدم عمرانها.

(٢٦) هما نوعان من الأترج

(٢٧) لا أعرف الضواحي هذه، ولا أستبعد أنه يقصد بها (رمال الدهناء) لأنه وصفها بأنها وديان من رمل.

(٢٨) سعدون هذا هو ابن محمد بن براك بن غرير بن عثمان آل حميد، تولى الأحساء من سنة ١١٠٣ إلى سنة ١١٣٥ . وليس سعدون الذي تولى الأحساء سنة ١١٨٩، والذي عاصر ولاية آل سعود الأولى لتلك البلاد ، فهذا سعدون بن عرعر بن دجين بن سعدون تولى سنة ١١٨٩ إلى سنة ١٢٠٠ ، (انظر «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء» ١/١٢٤ ـ ص١٣٣ ـ الطبعة الأولى).

(٢٩) هذه أقرب صورة لهذا الاسم ، وقد يكون الصواب (الجشة) فهي قرية معروفة والمسافة بينها وبين الكوت تقارب ما ذكر من مسافة .

(٣٠) لا أدري ماهي الحويزاء هذه.

ثُمَّ عَلَى فَيْفَاءِ الْخَيَّار: كَذَا وَجَدتُّهُ مَضْبُوطاً مُقَيَّداً بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ، بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالْيَاءِ الْمُشَدَّدَةِ وَالْمَشْهُوْرُ الْأَوَّلُ(٢).

وَأَمَّا الثَّانِي: بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان ـ: حِيَارُ بَنِي الْقَعْقَاعِ صُقْعٌ، مِنْ بَرِّيَّةِ قِنَّسْرِيْنَ، كَانَ الْوَلِيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَقْطَعَهُ الْقَعْقَاعَ بْنَ خُلَيْدٍ(٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ: أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُخَفَّفَةٌ ـ: مَاءٌ لِبَنِي خُمَيْسِ بْنِ عَامِرٍ، بَطْنٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، بَيْنَ الْمَدِيْنَةِ وَفَيْدَ(٤).

وَأَمَّا الرَّابِعُ ـ: بِفَتْحِ الْجِيْمِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مُشَدَّدَةً ـ: مِنْ نَوَاحِي الْبَحْرَيْنِ، وَثَمَّ كَانَ مَقْتَلُ الْحُطَمِ الْقَيْسِيِّ، أَحَدِ بَنِيْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، لَمَّا ارْتَدَّتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ.

٢٩٩ ــ بَابُ خَبْتٍ، وَجَنْبٍ، وَجُنَّبٍ(١)

أَمَّا الْأَوَّلُ ـ: بِفَتْحِ الْخَاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ـ: صَحْرَاءُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ، يُقَالُ لَهَا خَبْتُ الْجَمِيْشِ، وَفِي الْحَدِيْثِ(٢).

---

(٢) قَالَ فِي «معجم البُلْدان»: الْخَبَارُ موضِعٌ قَرِيْبٌ مِنَ الْمَدِيْنَةِ، وَكَانَ عَلَيْهِ طَرِيْقُ رَسُول الله ﷺ حِيْنَ خَرَجَ يُرِيْدُ قُرَيْشاً قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ـ وَالْخَبَارُ فِي كَلَامِهِمْ الْأَرْضُ الرَّخْوَةُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ، وَهُوَ فَيْفُ الْخَبَارِ، ويُقَالُ: فَيْفَاءُ الْخَبَارِ، ذَكَرَهُ ابنُ الْفَقِيْهِ فِي نَوَاحِي الْعَقِيْقِ بِالْمَدِيْنَةِ ـ ثمَّ مافي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ ـ وَتَقَدَّمَ كلام نَصْرٍ فِي حَرْفِ الجِيْمِ ـ وهُنَاكَ تَحْدِيْدُ هَذا الْمَوْقِعِ.

(٣) زَادَ يَاقُوتُ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَلَبَ يَوْمَانِ ـ وَأَوْرَدَ لَهُ شَاهداً مِنْ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي.

(٤) جُبَارُ: وَصَلَ يَاقُوتُ نَسَبَ بَنِي خُمَيْسِ بْنِ عَامِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَوْدَعَةَ بن جُهَيْنَة، وَوَصَلَ جُهَيْنَةَ بِقُضَاعَةَ وَأَوْرَدَ شَاهِداً مِنَ الشِّعْرِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَيَّادَةَ وَغَيْرِه، وجُبَارُ مَنْهَلٌ مَشْهُوْرٌ يُقْرَنُ بِيَمْنٍ والْمَنْهَلَانِ مَعْرُوفَانِ يَقَعَانِ شَرْقَ خَيْبَرَ لِلْمُتَّجِهِ إِلَى تَيْمَاءَ انْظُرْ (شمال المملكة مِنَ «المعجم الجغرافي» وَقَدْ أَصْبَحَ جُبَارُ قَرْيَةً.
وَفِي «الإِيْنَاسِ»: جُمَيْسُ ـ بِالْجِيْمِ ـ بن مَوْدُوعَةَ بن جُهَيْنَة، وَهُوَ الْخُرَقَة، عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِي، ولَكِنَّ النَّص هَذَا فِي كِتَابِ «مُخْتَلِفِ الْقَبَائِلِ وَمُؤْتَلِفِهَا» وَهُوَ أَصْلُ صَاحِبِ «الإِيْنَاسِ» وَلَيْسَ فِيْهِ (بِالْجِيْمِ).

(٥) جَيَّارُ: أَضَافَ يَاقُوتُ عَنِ الْحُطَمِ واسْمُهُ شُرَيْحُ بْنُ ضُبَيْعَة بْنِ شُرَحْبِيْلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فِي حَرْفِ الْجِيْمِ حَيْثُ أَوْرَدَهُ نصْرٌ.

(١) عِنْدَ نَصْرٍ ـ فِي حَرْفِ الْجِيْمِ ـ: (بَابُ جَبْ، وَجُنَّب، وَجَبَب، وَخَبْتٍ).

(٢) كَذَا فِي الْمَخْطُوطَتَيْنِ، لَمْ يَرِدْ نَصُّ الْحَدِيْثِ وَهُوَ كَمَا فِي كِتَابِ «غَرِيْبِ الْحَدِيْثِ» لِابْنِ قُتَيْبَةَ ـ ١/٤٤٧ ـ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَثْرِبِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ مَالِ أَخِيْهِ شَيْءٌ إِلَّا بِطِيْبِ نَفْسِهِ» فَقَالَ عَمْرُو بْنُ يَثْرِبِيٍّ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيْتُ غَنَمَهُ أَجْتَزِزُ مِنْهَا شَاةً؟ فَقَالَ: «إِنْ لَقِيتَهَا تَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِناداً بِخَبْتِ الْجَمِيْشِ فَلَا تَهِجْهَا» انتهى وَالْحَدِيْثُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيْزِ بْنِ عِمْرَانَ، وَهُوَ أَخْبَارِيٌّ =

وَأَمَّا الثَّانِي ـ: أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ نُوْنٌ سَاكِنَةٌ وآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـ: نَهْرُ الْجَنْبِ مِنْ أَعْمَالِ الْبَطَايِحِ (٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ ـ: بِضَمِّ الْجِيْمِ وَتَشْدِيْدِ النُّونِ وَفَتْحِهَا ـ: مِنْ نَوَاحِيْ الْبَصْرَةِ، شَرْقِيَّ دِجْلَةَ مِمَّا يَلِي الْفُرَاتَ(٤).

٣٠٠ ــ بَابُ خُدَدَ ، وَحَدَدَ

أَمَّا الْأَوَّلُ ـ: بِضَمِّ الْخَاءِ وَبِدَالَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ: ـ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ سُلَيْمٍ ، وَعَيْنٌ بِهَجَرٍ .

وَأَمَّا الثَّانِي ـ: بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاقِيْ نَحْوَ الْأَوَّلِ ـ: جَبَلٌ مُطِلٌّ عَلَى تَيْمَاءَ ، يَهْتَدِيْ بِهِ الْمُسَافِرُ(٥).

= ضَعِيْفٌ عِنْدَ الْمُحَدِّثِيْنَ، وَفَسَّرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ الْمَوْضِعَ نَقْلاً عَنِ الْحِجَازِيِّيْنَ بِنَحْوِ مَاذَكَرَ الْحَازِمِيُّ . والجمِيْش الَّذِي لا نَبَاتَ فِيْهِ . وَلَايَزَالُ اسْمُ الْخَبْتِ يُطْلَقُ عَلَى الصَّحْرَاءِ الْمُمْتَدَةِ بِمُحَاذَاةِ سَاحِلِ الْبَحْرِ بَيْنَ جُدَّةَ حَتَّى مَغِيْضِ وَادِي الصَّفْرَاءِ أَسْفَلَ بَدْرٍ، يَمُرُّ بِهَا الطَّرِيْقُ إِلَى الْمَدِيْنَةِ. وَيَقِلُّ النَّبَاتُ الذي تَرْعَاهُ الأنعامُ بما قَرُبَ مِنَ الْبَحْرِ فَمِيَاهُه الْمِلْحُ تُغَطِّيْهِ وَقْتَ الْمَدِّ ، فَلا يَصْلُحُ مَعَهَا مِنَ النَّبْتِ ما يُنْتَفَعُ بِهِ، وَلَيْسَ كلُّ خَبْتٍ بهذه الصِّفَةِ على أَنَّ الْوَاقِدِيَّ أَوْرَدَ فِي «الْمَغَازِي» ص ١١١١ ـ حَدِيْثاً طَوِيْلاً جَاءَ فِيْهِ: فقال عَمْرُو بْنُ يَثْرِبِيٍّ فَقُلْتُ: يَارَسُولَ الله أَرَأَيْت إِنْ لَقِيْتُ غَنَمَ ابْنِ عَمِّي ، أَجْزُرُ مِنْهَا شَاةً ؟ قَالَ: وَعَرَفَنِي فَقَالَ: إِنْ لَقِيْتَهَا نَعْجَةً تَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِناداً بِخَبْتِ الْجَمِيْشِ ـ الْجَمِيْشُ وَادٍ قَدْ عَرَفَهُ رَسُولُ الله ﷺ بالسَّاحِلِ كثِيْرُ الْحَطَبِ، وَهُوَ وَادٍ لِبَنِيْ صَمْرَةَ وَهُوَ مَنْزِلُ عَمْرِو بْنِ يَثْرِبِيٍّ ، وَيُقَالُ: خَبْتُ الْجَمِيْشِ موضعُ صَحْرَاءُ ، يُقَال: جَنْب كَذَاءٍ ، فَلا تَهْجَهَا. انتهى .

وَعِنْدَ نَصْرٍ: وَأَمَّا بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ثُمَّ بَاءٍ مُوَحَّدَةٍ سَاكِنَةٍ، وآخِرُهُ تَاءٌ عَلَيْهَا نُقْطَتَانِ: مِنْ مِيَاهِ كَلْبٍ بِالشَّامِ . انتهى وَأَوْضَحُ يَاقُوتُ أَنَّ الْخَبْتَ الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ فِيْهِ رَمْلٌ وَأَضَافَ: وَهُوَ عَلَمٌ لِصَحْرَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ يُقَالُ لَهُ خَبْتُ الْجَمِيْشِ ، وَخَبْتُ أَيْضاً مَاءٌ لِكَلْبٍ، وَخَبْتُ الْبَزْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ، وَخَبْتُ مِنْ قُرَى زَبِيْدٍ بِالْيَمَنِ. انتهى ، وَخَبْتُ الْبَزْوَاءِ مِنْ خَبْتِ الْجَمِيْشِ وهُوَ الْجَانِبُ الْمُتَّسِعُ مِنْهُ جَنُوبَ رَابِغٍ حَتَّى نِهَايَةِ الْخَبْتِ وَيُعْرَفُ بِالْخَبْتِ الْكَبِيْرِ ـ كما فِي رِحْلَةِ الْقُطَبِيِّ إِلَى الْمَدِيْنَةِ ـ «العرب» س ٨ ص ٨٦٦ ـ أَمَّا حِبْتُ كَلْبٍ فَقَدْ أَوْضَحَهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِيما نَقَلَ عَنْهُ صاحب «معجم ما استعجم» ـ ٥٠ ـ قالَ: وَنَزَلَتْ كَلْبٌ وَمَنْ حَالَفَهُم بِخَبْتِ دُوْمَةَ إِلَى نَاحِيَةِ بِلادِ طَيِّءٍ إِلى طَرِيْقِ تَيْمَاءَ . انتهى وَإِذَنْ فَهُوَ مِنْطَقَةُ الْجَوْفِ الواسعة ذاتِ القرى والمياهِ الكثِيرة، وتقعُ فِي مُنْخَفَضِ سَهْلٍ مِنَ الْأَرْضِ فَهِيَ خَبْتٌ وَهِيَ جَوْفٌ. وَزَبِيْدُ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ فِي خَبْتٍ هُوَ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْقُرَى.

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ ـ جَنْبٌ ـ: أَمَّا بِفَتْحِ الْجِيْمِ وَسُكُونِ النُّوْنِ: نَهْرُ الْجَنْبِ وَهُوَ مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ فِى سَوَادِ الْعِرَاقِ، مِنْ أَعْمَالِ الْبَطَائِحِ .

(٤) عِنْدَ نَصْرٍ ـ: جُنَّبُ ـ بِضَمِّ الْجِيْمِ وَتَشْدِيْدِ النُّوْنِ وفتحِهَا: صُقْعٌ مِنْ أَصْقَاعِ الْبَصْرَةِ ، مِمَّا يَلِي الْفُرَاتَ ، شَرْقِيَّ دِجْلَةَ.
وَزَادَ نَصْرٌ :
جَبَب، وقَالَ: وَأَمَّا بِفَتْحِ الْجِيْمِ ، وَبَعْدَهَا بَا آن مُوَحَّدَتَانِ الْأُوْلَى مَفْتُوحَةٌ: مَوْضِعٌ أَظُنُّهُ مِنَ الْيَمَامَةِ. وَلَمْ أَرَهُ عِنْدَ يَاقُوتٍ فِي بَابِهِ.

(٥) سيأتي شرح هذا الباب فيما بعد .

«رحلة الحجاز»
لإبراهيم بن عبدالقادر المازني (١٣٠٨/١٣٦٨هـ)

هذه الرحلة من أمتع الرحلات، فأسلوب الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني يستهوي النفس ويمتع القارئ ، ويجذبه بسلاسته وطرافته، بحيث لا يشعر إلا وقد انتهى مما يقرأه من كتبه، وهكذا حدث لي قبل مايقرب من نصف قرن من الزمان حين وقعت في يدي «رحلة الحجاز» التي وصف فيها الأستاذ المازني مشاهداته حين زار هذه البلاد قبل ستين عاماً ، فلم أضع الرحلة من يدي وصفحاتها تبلغ ١٦٦ صفحة من القطع الصغير إلاَّ وقد أشبعت نهمي من تصفحها تصفحاً أتى على جميع ماطرقه الكاتب من موضوعات، وما وصفه من مشاهدات، وماذالك إلاَّ لطلاوة أسلوبه ولاستمتاعي بما يبدو بين عباراته من خفة روحه، ومزجه الجد بالفكاهة والهزل .

ولا أستبعد أن يكون الصديق الأستاذ حسين بن سرحان قد تأثر بأسلوب المازني هذا ، إذ يحس القارئ تشابهاً بين الأسلوبين .

ولعل مما أعاد إلى الذاكرة الحديث عن تلك الرحلة ما قرأته في جريدة «الشرق الأوسط» (عدد ٤٢٨٧ تاريخ الجمعة ١٤١١/٢/٤هـ ـ ١٩٩٠/٨/٢٤م) من حديث الأستاذ الدكتور علي شلش عن المازني، بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده ، وكان مما تحدث عنه الدكتور شلش كتاب «رحلة الحجاز» وأنه من أوائل الكتب التي أصدرها المازني وأنه صدر عام ١٩٣٠م ، وكان قد نشر فصولاً مُنَجَّمَة ، وكانت الرحلة إلى الحجاز بدعوة لحضور بيعة الملك عبدالعزيز . كذا جاء في حديث الدكتور شلش .

والواقع أنَّ مناسبة الدعوة كانت الاحتفال الأول بذكرى جلوس الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وليس لحضور بيعته، فقد مضى على تلك البيعة أربعة أعوام .

مع أنه ورد في الرحلة (ص ١٣٢) : (وخطب فؤاد بك حمزة بمناسبة انقضاء عام على مبايعة ابن السعود ملكاً على الحجاز) .

ولكن هذا القول خطأ ، فقد جاء في نص خطاب الأستاذ فؤاد حمزة الذي

نشرته جريدة «أم القرى» في تلك المناسبة فاتحة لعددها الـ (٢٦٥) في ١٠ شعبان ١٣٤٨هـ (١٠ يناير ١٩٣٠م) ماهذا نصه: (أَحْمَدُ الله . . . إِذْ مَنَّ علينا بهذا الاجتماع في هذا المساء بإحياء الذكرى الأولى لجلوس حضرة صاحب الجلالة . . . بعد انقضاء أربع سنوات كاملات على ارتقاء جلالته أَرِيْكَةَ العرش) .

والأستاذ المازني لم يُعْنَ في رحلته بتحديد الأزمنة، ولا بذكر تواريخ الحوادث، بل قد يستغرب المرء من كتاب في وصف رحلة أَنَّهُ لم يحو أَيَّةَ إشارة إلى الزمن الذي وقعت فيه ، باستثناء كلمة واحدة ـ ص ١٧ ـ: (وفي الساعة السادسة من صباح السبت ٤ يناير أيقظني أحدُ الزملاء وبلغني أن الشاطيء قد ظهر ـ يقصد شاطيء ينبع ـ) ولكن أي شهر يناير من أية سنة ؟!

من هنا كان قراء الرحلة في حيرة في تحديد زمنها ، وأذكر أن أحد الاخوة من الأساتذة المصريين ـ ولعله الدكتور إبراهيم عُوَيْس ـ اتصل بي يسألني عن تاريخ زيارة المازني للحجاز التي وصفها في رحلته تلك . فقلت: لعل ذالك كان سنة ١٣٤٨هـ . ثم اتضح لي صحة هذا .

كان الاحتفال بذكرى جلوس الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ قد أُقيم سنيتن ، الأولى سنة ١٣٤٨هـ والثانية سنة ١٣٤٩هـ ، ثم استجاب ـ تغمده الله برحمته ـ لدعوة المشايخ ، فحقق رغبتهم بعدم إقامة احتفال بتلك المناسبة، بعد أن أبدى له كثير منهم مخالفتها للشرع ، بل كتب بعضهم في الصحف ومنهم الشيخ عبدالظاهر بن محمد أبو السمح إمام الحرم المكي الذي كتب في مجلة «التقوى» التي كانت تصدر في مصر عن هذه الأمر .

وفي الاحتفال الأول الذي جرى في اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٤٨هـ (ويصادف ٩ يناير ١٩٣٠م) كان الأستاذ المازني ممن حضره مندوباً عن جريدة «السياسة» المصرية مع وَفْدٍ دُعِيَ للمشاركة في ذالك الاحتفال يضم أحمد زكي باشا ، ونبيه باشا العظمة، وخير الدين الزركلي ، ومحمود أبو الفتح مندوباً عن «الأهرام» وعبدالحميد حمدي عن «البلاغ» ومحي الدين رضا عن «المقطم» ومحمد المصيلحي عبدالله عن «كوكب الشرق» ورياض شحاتة عن الجرائد المصورة، وانيس حصلب عن بعض المجلات .

لقد قام الوفد بالسفر من السويس في أول شعبان على الباخرة (تالودي) إحدى بواخر شركة (البوستة الخديوية) فكان المرور بميناء ينبع صباح السبت الرابع من شهر يناير ـ كما ورد في رحلة المازني ـ ثم كان الوصول إلى جدة صباح الأحد ٥/٨/١٣٤٨هـ ـ (٥/١/١٩٣٠م).

وأقيمت احتفالات أبرزها أقيم في وادي فاطمة (مَرّ الظهران) صباح يوم الخميس التاسع من شهر شعبان ١٣٤٨هـ.

وقد أبدع المازني في وصف انطباعاته عما شاهده أثناء إقامة تلك الحفلة ـ انظر الرحلة ص ١٣٨ وما بعدها ـ ولكنه صَبَّ جام غضبه على الخطباء والشعراء ـ ص ١٤٠ ـ: (إن هذه المبالغات السخيفة هي داؤنا جميعاً، وإننا في مصر والشام والعراق والحجاز ـ الخ ـ أحوج إلى مواجهة الحقائق، وفتح العيون على الواقع، وقياس مابيننا وبين من سبقنا من الأمم، وإنَّ من الإجرام أن نخدعَ أنفُسَنَا ونغالطها في هذه الحقائق، ومن الجناية أَنْ نُنَشِّيءَ هاؤلاء الأطفال على التوهم أنَّ بلادهم ارتفعت إلى قِمَّةِ العلا، وغير ذالك من الكلام الفارغ) ـ ثم أمطر الشعراء بوابل من غضبه ـ ص ١٤١ ـ: (وكان بين الشعراء رجل من الكويت شعره سخيف، ولكن انشاده بديع، وقد كان وهو يلقي القصيدة يغني ويمثل... وتلاه شاعر نجدي قُحٌّ، أعوذ بالله من إلقائه).

ولم يكتف بهذا بل اشتط وبالغ وأوصى الحكومة بقطع ألسنة الشعراء.. (وقمنا إلى الطعام بعد هذا البلاء الشعري..) ثم استرسل في النيل من أؤلئك الشعراء إلى أن قال: (ودعى زميلنا خيرالدين أفندي الزركلي فأنشد قصيدة حَماسية، هي كل ماخرجنا به في يومنا، بل رحلتنا كلها من الكلام الرصين الجيد).

يظهر أن الأستاذ المازني ـ وقد أتى ليوافي جريدة «السياسة» وهي من أوسع الجرائد في ذالك العهد انتشاراً، بوصف ماشاهده في هذه البلاد، وأثناء حضوره ذالك الاحتفال ـ أراد أن لا يكون كغيره من مندوبي الصحف، ممن يكتفون بالوصف المجرد الْـمُزَوَّق، وقد يبرزونه بالصورة التي يُرْغَبُ إليهم أن يبرزوه بها، إنه لم يسر على هذا، بل اتخذ نهجاً آخر لعله أراد من ورائه أن يجتذب أكبر عدد من بين قراء تلك الجريدة التي يمثلها ممن لا يستهويهم قراءة ماهو مألوف

ومعروف، ففتح عينيه ليطل من نواحي جانبية، ولينظر لا بعين الرضا بل بالعين الأخرى ليشاهد أموراً لم يألف مشاهدتها ، وقد يكون من بينها ما لا يستدعي من الأستاذ المازني أن يصوب إليه سهام نقده .

لقد كانت هذه البلاد حديثة العهد بالاتصال بالعالم الخارجي ، وكانت لاتزال على ما أَلِفَ سكانها من عادات وتقاليد طوال أحقاب وأزمنة متكررة متطاولة ، ومن تلك العادات ماليس مألوفاً بل ولا مقبولاً عند المازني ولا غيره ، ولكن ليس كل ما استهجنه من هذا القبيل .

ولا يتسع المجال لذكر جميع الأمور التي أثارت في نفس الكاتب شيئاً من الاشمئزاز أو الاستغراب وتكفي الإشارة إلى بعضها : ـ

في ينبع : حين مَرَّ بمدينة ينبع في الخامس من شعبان ١٣٤٨هـ كان أميرها عبدالعزيز بن فهد بن مُعَمَّر وهو من خيرة الأمراء خُلُقاً وشهامة ونُبْلاً ، ولقد أراد هذا الأمير الكريم أن يعبر عن تقديره لهذا الوفد الذي لم يتمكن من البقاء في البلدة ريثما يتناول طعام الغداء ، فما كان منه إلاَّ أن بعث عدداً من الْـخِرَاف قياماً بواجب الضيافة ، ولكن هذا العمل لم يرق للأستاذ المازني فاتخذ منه موقفاً من مواقف تهكمه وسخريته: (فَحِرْنَا ماذا نصنع بهذه الخراف ، وعقدنا مؤتمراً للتشاور) إلى آخر ماذكر ـ ص ٢١ ـ.

وامتدت سخرية الأستاذ إلى المكان الذي استقبلهم فيه الأمير: (وزرنا الأمير عبدالعزيز بن معمر ، وهو شاب نجدي، جميل الطلعة، وَسِيْمُ المحَيَّا ، مقدود قَدَّ السيف) إلى أن قال: (وغرفة الاستقبال في داره كأنها مخزن سلاح لا حجرة استقبال) ـ ص ٢٠ ـ.

إن الأستاذ المازني لم يدرك أن من عادة العرب منذ أقدم عصورهم إلى عهد قريب كانوا يضعون أسلحتهم على مقربة منهم، كما تقضي بذالك ظروف حياتهم وتقلب أحوالهم، وإذن فما الذي يؤخذ على هذا الأمير وقد بدا جنده ومن حوله قد قربوا أسلحتهم منهم ؟!

وكان مما عرف من عادات العرب في جاهليتهم إرخاء شعر رؤوسهم ، وأتى الإسلام فأقر هذا بحيث كان للرسول ﷺ جُمَّةٌ تضرب إلى منكبيه، فأصبح سُنَّةً

متبعة إلى عهدنا الحاضر ، ولكن هذا الأمر مما لم يدركه الأستاذ المازني ، فحين وقف على سطح الباخرة مع رفقائه للتصوير وكان ممن انْضَـمَّ إليهم أحد جند الأمير ، وكان قد أرخى شعر رأسه ، فاتخذ من ذالك وسيلة لما ألفه واعتاده من سخرية: (وثنيت عيني إلى جارتي الرشيقة، وشعرها الوحف المضفَّر ، وإلى حَوَرِ عينيها الواسعتين اللتين يزينهما الكحل) ـ ص ٢٨ ـ وأمثال هذه الكلمات الغزلية الناعمة التي أسمع بعضها ذالك الرجل مما دفع الأمير إلى الابتسام ، وحمل الـمُصَوِّر على عتاب الأستاذ المازني .

وفي مكة المكرمة: حين تهيأ الوفد لمقابلة نائب الملك لم يكن المازني يدرك أنَّ عادة التقبيل من العادات المألوفة بين العرب منذ عصورهم القديمة، فقال عن تلك العادة ـ ص ١٠٤ ـ: (وقد وقف الأمير مقدماً أنفه لمن شاء ، فلما جاء دورنا وددت لو أنه كان أمامي كرسي ، إذَنْ لفزت بتقبيل أنفه، ولكنني ـ كما تعرف ـ فاكتفيت بأن تقدمت إليه ويُسْرَايَ تمسح لحيتي تنبيهاً إليها ولفتا لشيبها، ويمناي تَمْتَدُّ إلى يده وتقبض عليها. . . والحق أقول: إن سلام النجديين لا يعجبني لأنه بارد) .

ولم يكتف بهذا بل أضاف: (وعدنا فاتفق أن لقيت في الطريق واحداً لم أشك أنه نجدي ، وكان فوق نجديته قصيراً ، فأَقبلتُ عليه وقلت: كيف حالك ؟ وأهويت على كتفه فجذبتها على نحو مارأيتهم يفعلون، ومططت شفتي استعداداً لتقبيل أنفه، وجاء الجذب أسرع وأَشَدَّ مما ينبغي، فوقع فمي على فمه، واصطدم الأنفان، فلما أفاق من دهشته قلت له: وأنا أتلمض وأَمَصِّصُ شفتي: لا مؤاخذة لقد أردت أن أقبل أنفك والخيرة في الواقع!! وذهبت أَعْدُوْ، ولحقت بإخواني) .

أما موقفه من الشعراء وحكمه على شعرهم: فهو مما أتمنى على القارئ ألاَّ يكتفي بذالك قبل أن يقرأ ذالك الشعر الذي سيجده منشوراً في جريدة «أم القرى» في اعدادها التي صدرت فيما بين اليوم العاشر من شعبان ١٣٤٨هـ إلى اليوم السابع عشر منه (١٠ يناير ـ ١٧ يناير ١٩٣٠م) وبعد قراءته قد يدرك أن الأستاذ المازني كان قَاسِياً في حكمه على بعض أولئك الشعراء .

ولن تفوت الإشارة إلى أن عدم استحسان الأستاذ المازني لطريقة الإلقاء قد تكون ناشئة عن إلْفِهِ واعتياده للطريقة المتبعة في مصر وغيرها من البلاد من إلقاء الشعر بِدُوْنِ تَغَنٍّ ، وهذا بخلاف الطريقة العربية المعروفة منذ عرف الشعر وكما قيل :

تَغَنَّ في كُـلِّ شِعْرٍ أَنْتَ قَـائِلُهُ إنَّ الْغِنَـاءَ لِهَـذَا الْفَنِّ مِضْمَـارُ

وكما قال الخطيئة حين سئل عن أشعر الناس ، فقال: الملك الضِّليل ثم الشيخ أبو عقيل ، ثم صاحبكم إذا رَفع عَقِيْرَتَهُ يَعْوِيْ كعواء الفصيل . والنحاة يذكرون في باب التنوين نون الترنم أو التغني ويستدلون على ذالك بالتنوين الذي يلحق بالقافية في مثل:

أَقِـلِّي اللَّوْمَ عَـاذِلَ والعـتـابـا وقُوْلِـي إنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَـابَا

تُمَدُّ الباءُ حتى يَلحق بها تنوينٌ هو تنوين الترنُّم ، وعلى هذا أدركت كثيراً من شعراء نجد والأحساء وكان من آخرهم الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد ـ رحمه الله ـ.

ومجمل القول عن هذه الرحلة الممتعة حقًّا أن الأستاذ المازني لم يكن يتخذ إبراز النقائص أَوْ مايراه نقيصة ـ لهوًى في نفسه، أو لمآرب تدفعه إلى ذالك، وإنما كان كما وصفه صديقه بل ألصق أولئك الأصدقاء به قبل وفاته الأستاذ خيرالدين الزركلي: يتناول نقائص المجتمع بالنقد، فإذا أورْد مثلاً جعل نفسه ذالك المثل، فاستسيغ منه ما يُسْتَنْكَرُ من غيره .

وهو في هذه الرحلة وإن أرخى لقلمه العنان، وحلق بفكره في سماء الخيال بإبراز بعض ما لمح أثناء مشاهداته خلال أيام لم تتجاوز عدد أصابع اليد ـ إلَّا أنه قد أبرز جوانب مشرقة من حياة هذه البلاد، وختم الرحلة بفصل بعنوان (خاتمة) تحدث عن مراحل النمو وما تسير عليه حكومة هذه البلاد من خطوات في سبيل تقدم بلادها وإسعاد مواطنيها، بحيث ختمها بجملة صريحة بأنها ستبلغ مرحلة من التقدم تسبق بها أقطاراً كانت قد تقدمتها في كثير من مختلف جوانب الحياة .

حمد الجاسر

العوامرة (الملالحة) في فلسطين

هذه معلومات عن قبيلة العوامرة أو ما يطلق عليهم الملالحة، إحدى قبائل فلسطين.

العوامرة : قبيلة كبيرة يستقر معظمهم ـ وذالك قبيل نكبة عام ١٩٤٨م ـ في مناطق السهل الساحلي الفلسطيني من بَصَّةِ الفالِق (غابة كفر صور) من أعمال (طولكرم) شمالاً وحتى جنوب مدينة العريش في سيناء ، وتبلغ هذه المسافة أكثر من مئتي كيل . وهذه هي مساكنهم من الشمال إلى الجنوب .

١ ــ بَصَّة الفالق (غابة كفر صور) وضفاف نهر الفالق من أعمال طولكرم.

٢ ــ إلى الجنوب من قرية إجليل من أعمال يافا.

٣ ــ إلى الشرق من قرية الشيخ مُوَنِّس من أعمال يافا.

٤ ــ مناطق عرب السوالمة وعرب أبي كشك من أعمال يافا.

٥ ــ منطقة الحلوة إلى الجنوب من مدينة يافا .

٦ ــ منطقة نهر روبين قضاء الرملة.

٧ ــ منطقة يُبْنَى وأراضي البَرَصْ من أعمال الرملة.

٨ ــ منطقة صُقْرير من أعمال غزة وهي موطنهم الأصلي.

٩ ــ منطقة وادي غزة إلى الجنوب من مدينة غزة.

١٠ ــ مناطق الشوباني والشوكة وأم الكلاب بين مدينة رَفَح ودَيْر البلح.

١١ ــ مناطق أُمْ العَوْسَجِ ورِجْلِ البحر للشرق من مدينة رفح.

١٢ ــ مناطق جبل القَرْن وأم صُمَيْدِع، قضاء بئر السبع على الحدود مع سيناء .

١٣ ــ منطقة العَجْرَةِ وتبعد عن نقطة التقاء الحدود مع البحر المتوسط مسافة ١٨ كيلاً .

١٤ ــ للجنوب من مدينة العريش .

وأكبر تجمعين لهم في منطقة صقرير وروبين، وفي منطقة رفح شمالاً وشرقاً .

نسبهم : تنتسب هذه القبيلة للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، والكل يقرُّ لهم بذالك من القبائل، وقد اختلف في اسم هذا الصحابي على أكثر من اتجاه، وقد ذكر ابن حـزم في «جمهرة أنساب العرب» ص ٣٨٢ ط بيروت نقلاً

عن الكلبي أنه: عبدالله بن عامر بن عبد ذِي الشَّرَى بن طريف، من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غَنْم بن دوس.

وذكر حمد الجاسر في كتابه «في سراة غامد وزهران» أن اسم أبي هريرة: عمير بن عامر بن عبد ذي الشَّرَى...

ويقسم العوامرة إلى بطنين عظيمين هما:

١ ــ المزاريع: أبناء مزروع العامري.

٢ ــ الغوانم: أبناء غانم العامري.

(١) المزاريع: ويتفرع عن هذا البطن العديد من الأفخاذ هي:

١ ــ بني سَيَّاح: ويتفرع عنهم:

١ ــ السَّوارحة: ويذكرون أنهم ليسوا من العوامرة بل هم أبناء رجل من قبرص.

٢ ــ الربايعة: وشيخهم محمد علي أبو ربيع.

٣ ــ العُزَيْب.

(١) القُطِّيُّ. (٢) الحمريري. (٣) الغَريب.

٤ ــ الهُدَيْشات.

٥ ــ الدويَّات: ويقال إنهم من الهديشات.

٦ ــ أبو عروق.

٧ ــ الخمايسة: (أبو خُمَيّس) ويقال إنهم من آل القطي.

٢ ــ بني جبارة: وجدهم الشيخ جبارة ومقامه في العريش.

١ ــ ابن خميس (الخمايسة) ويتفرع عنهم:

١ ــ العَبَلِّي ٢ ــ ابن جبر ٣ ــ البعَاوِيَّةُ ٤ ــ الجُبَيْرِيَّة

٥ ــ الهواري ويقال بأنهم من ابن ناجي ٦ ــ الشواهين.

٢ ــ الجبارات: ويتفرعون إلى:

١ ــ الرُجُل ٢ ــ السَّلاميّن.

٣ ــ المناصير ٤ ــ الحلو ٥ ــ أبو التُّوم.

٣ ــ الرشوش: ويضم هذا الفخذ:

١ ــ الرَّشَّ. ٢ ــ الرويضات (ابن رويضي)

٣ ــ القراشعة (قريشع) ومنهم العماوية. ٤ ــ العيدة :
١ ــ أبو عيد. ٢ ــ أبو عطا. ٣ ــ الولاولة.
٥ ــ آل النجرة: وهم شيوخ العوامرة في القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر الميلادي.
٦ ــ الحُنُون: ويتفرعون إلى :
١ ــ أبي الحَنّ: وجدهم الشيخ أبو العيون.
٢ ــ العواصي: (آل أبي عاصي).
٧ ــ المُلَيْحِيُّون: ويتفرعون إلى:
١ ــ المليحي. ٢ ــ قَنّاش. ٣ ــ الحَشّاش.
٨ ــ الرجيلاوية: وهم من سلالة الشيخ أبو رُجَيْلَة من العوامرة.
٩ ــ الموانيس: (آل أبي يونس).
١٠ ــ الدراوشة:
١ ــ العرسان.
١١ ــ الشعيفات: ويذكر أنهم من الرجول.
١٢ ــ الفرود (أبو فردة): ويتفرع منهم:
١ ــ المويسات: ويذكر بأنهم من أصل مغربي من بني سليم في شمال أفريقيا.
١٣ ــ القُروم (القِرْم).
١٤ ــ أبو رُبَيِّع .

ملاحظة : يلفظ العوامرة مثل هذه الكلمات بتسكين الحرف الأول، ونظراً لهذا فقد أضفت لها همزة الوصل (رْبَيِّع) أصبحت (ارْبَيِّع).

(٢) الغوانم : ويقسم هذا البطن إلى أفخاذ وعشائر عديدة، وهناك من يطلق على هذا البطن اسم (الحميدات) نسبة لجدهم الشيخ حميد.
١ ــ الجرادات :
١ ــ أبو جراد. ٢ ــ الحجايجة (آل حَجّاج). ٣ ــ الضُحَيْكات.
٢ ــ الجوادلة.
٣ ــ العيايدة: من سلالة الشيخ عايد أبي العوايد.

١ ــ الشهوب. ٢ ــ الشعول.
٣ ــ النواجي (ابن نويجي) ويقال بأن آل الأشهب منهم.
٤ ــ آل عدوان.
٥ ــ أبو زخير: وهم من آل الأشهب.
٦ ــ المسافرة وهم من آل الأشهب.
٤ ــ آل قنديل.
٥ ــ الوقاقدة: أقارب لآل قنديل.
١ ــ أبو سلطان.
٦ ــ الزرقان.
٧ ــ الوخامين.
٨ ــ أبو عرق: أقارب لآل أبي رُبَيِّع.
٩ ــ آل أبي مُعَلَّا:
١ ــ أبو مُعَلّا. ٢ ــ النويري. ٣ ــ البالي.
٤ ــ النُدَيْوات. ٥ ــ الدَّوُ. ٦ ــ أبو منصور.
١٠ ــ البريكات: ١ ــ أبو ماشي.
١١ ــ العوايضة:
١ ــ السحيلات: ويطلق عليهم آل الحناوي حديثاً. ٢ ــ أبو عويِّض.
٣ ــ الخبارية. ٤ ــ أبو قُرَيْبَةُ. ٥ ــ ابن ناجي ويتفرع منهم: المطاوية.
١٢ ــ العَمَرات:
١ ــ الوديدي. ٢ ــ الكِـرّ. ٣ ــ آل واكد (الرومي).
١٣ ــ العلاونة: (أبو عليوان) ويتفرع منهم.
١ ــ الفقراء. ٢ ــ الأطبش: وهو لقب لآل أبي عليوان.
٣ ــ الصقر (الصقور).
١٤ ــ الحُمَيْدات: ويذكر بأنهم عشيرة (أبي نويجي) فقط، ويذكر البعض الآخر أنهم الغوانم جميعاً.

هذا مختصر لأفخاذ وعشائر هذه القبيلة.

الأحْلاَفُ ومن انتسب إلى القبيلة

كعادة كل قبيلة فإن الاختلاط والتداخل وارد في كل حال من الأحوال وقد اندرج تحت هذه القبيلة العديد من العشائر بالمصاهرة والتجاور والحلف وغير ذالك ، ومن العشائر التي نسبت لبني عامر :

١ ــ الخطيب : سَاكَنُوا العوامرة في منطقة صُقْرير ، ويَذْكُر العارفون بالأنساب وكبار السّن أنهم من منطقة (البَيُّوك) من القلاعية في (خان يونس) ومناطقها .

٢ ــ الـحُطَيْبي : جاوروا العوامرة في منطقة صُقرير ، يعودون بأصولهم إلى عشائر السَّطرية المنسوبين (لسطر) وهي منطقة قرب خان يونس جنوبي غزّة.

٣ ــ أَبو حُلْوَة : وهم من عشائر السَّطَرِيَّة ، سكن أحد أجدادهم منطقة صقرير .

٤ ــ الصِّلع : وهم أصهار للسَّوارِحَة من العوامرة في صُقْرير ويعودون بأصولهم إلى السَّطَرِيَّة .

٥ ــ الأَقْرَط : من العائلات التي جاورت العوامرة ، وهم من السَّطَرِيَّة.

٦ ــ الخَوَالِدَة : وردوا إلى صقرير في بداية القرن العشرين الميلادي ويذكر أنهم من أصل قيسي من جبل الخليل.

٧ ــ الصُّقور : ويدعون آل (أبي صَقْر) ، وهم من أحلاف العوامرة وأصهارهم، ويعودون بأصولهم إلى قرية (حَمَامَة) إلى الجنوب من صُقْرير .

٨ ــ أبو مُبارَك : وجدوا منذ القدم ، وهم من حاشية العوامرة ، سود البشرة . (من بطانة العوامرة) .

٩ ــ أبو حُزَيِّن : عملوا بالزراعة في أراضي بني عامر في صقرير ، ويذكر أنهم من بلدة (كْياد) في مصر .

١٠ ــ العُصَيْفي : وهم من الحويطات ، صاهروا آل أبي مبارك المذكورين سابقاً .

١١ ــ أبو خَيْط : وهم من حاشية الشهوب العوامرة .

١٢ ــ الخَلايْلَة : ويذكر أنهم من عشائر القَطَاطْوَة ، جاوروا العوامرة في صقرير ، ويعودون إلى قرية قَطْيَة في سيناء .

١٣ ــ الهِرْش : عملوا مُزَارعين في أراضي العوامرة في منطقة صُقْرير ويعودون بأصولهم إلى البياضيين من عرب سيناء ، بالقرب من القَنْطرة .

١٤ ــ الغَدَاوِين : وهم من السَّوارِكَة سكنوا (رُوبين) بين يافا وصقرير ضمن العوامرة .

١٥ ــ أبو رَخِيَّة : وهم ممن نُسب إلى العوامرة ، جاوروا العوامرة في منطقة (نهر روبين) .

١٦ ــ العِـرّ (؟) : وهم من عشائر السَّوارِكَة .

١٧ ــ الهِقِّـيّ : وهم من عشائر السواركة ، سكنوا ضمن العوامرة في منطقة (روبين) .

١٨ ــ قَرَمان : يعودون بأصولهم إلى إحدى القرى المجاورة ، صاهروا العوامرة وساكنوهم واندمجوا فيهم، وأصبحوا وكأنهم إحدى عشائرهم .

١٩ ــ البِلْبَيْسيّ : ويعودون إلى إحدى القرى المجاورة من (رُوبين) . عملوا في الزراعة في تلك المنطقة .

٢٠ ــ أبو مَخَدَّة : وهم من فلاّحي القرى المجاورة لمنطقة (روبين) .

٢١ ــ القشالين : يعودون بأصولهم إلى مصر ، ساكنوا العوامرة في منطقة (روبين) .

٢٢ ــ أبو مَزْرُوع : وهم من العشائر التي اخْتَلطت بالعوامرة فأصبحت وكأنها منهم ، ويعودون بأصولهم إلى سلالة الشيخ أبي عَرْقوب في قرية حَمَامَة، إلى الجنوب من صقرير ، سكنوا إلى الشرق من قرية الشيخ مُوَنِّس ، وهم أصحاب مواشي كما ملكوا بعض الأراضي الزراعية .

٢٣ ــ المُثَيْلِيَّة: من العشائر التي صاهرت العوامرة ، وقد امتزجوا بهم حتى ليظن بأنهم جزء منهم ، يعودون بأصولهم إلى الدُّمَيْثَة إحدى ضرب غزة وتقع بالقرب من مخيم المغازي للعائدين .

٢٤ ــ أبو صافي : وهم من العشائر التي تتبع العوافرة ، سكنوا ضمن العوامرة إلى الجنوب من قرية إجْليل ، كانوا أصهاراً للمُثَيْلِيَّة ، يعودون بأصولهم إلى قرية تل الصافي من أعمال الخليل.

٢٥ ــ العَجَاجِرَة : وهم ممن صاهروا العوامرة ، سكنوا منطقة عرب السوالمة إلى الشمال الشرقي من يافا ، يعودون بأصولهم لقرية عَجُّور من أعمال الخليل .

٢٦ ــ السرساوي : وهم فخذ من عشيرة المُهُور ، سكنوا إلى الشرق من قرية الشيخ مُونِّس .

٢٧ ــ الدندون : من توابع العوامرة ، لهم علاقة وارتباط مع آل أبي مزروع . سكنوا منطقة الشيخ مونِّس ويقال بأنهم من قرية الطَّيِّبة قضاء طولكرم.

٢٨ ــ المهور : مِمَّنْ يُنْسَب إلى العوامرة ، اندمجوا فيهم منذ القدم ، وأصبحوا جزءً لا يتجزأ منهم ، صاهروهم وساكنوهم ، يعودون بأصولهم إلى قرية بني سُهَيْلَة من أعمال غزة .

٢٩ ــ الدَّبَّاس : من العشائر المعروفة منذ القدم ضمن العوامرة ، لهم علاقات وطيدة مع (الفُرود)، يقال بأنهم من بلدة (كَرَتيّا) من أعمال غزة .

٣٠ ــ الخَدَايْجَة : ممن ينسب إلى العوامرة وليس منهم، يعودون بأصولهم إلى العَرايْشِيّة المنسوبين إلى مدينة العريش .

٣١ ــ أبو فايد : وهم ممن ينسب إلى العوامرة .
وهناك أُسر مثل الطُرَيْني والطرْهُوني وأبو رُعَيِّد وأبو ذواية، وأبو شْعَيْبة، وأبو مُزْيد وغيرهم .

العقبة: فايز بن أحمد بن سالم أبو فردة

ملاحظات حول :

« المعجم الكبير »

[كان السيد الأستاذ الدكتور مهدي علام نائب رئيس (مجمع اللغة العربية) ورئيس لجنة «المعجم الكبير»، قد بعث إلى رئيس تحرير هذه المجلة ما أعده المجمع ليعرض على مؤتمره السنوي في دورته السابعة والخمسين (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) ويبتدئ من مادة (ح ص أ) إلى نهاية مادة (ح ف ى) من باب الحاء .

وقد كانت الملاحظات التي قدمها عضو المجمع ورئيس تحرير هذه المجلة كما يلي] :

أولاً : ملاحظات على المواد المعدة للعرض

١ ـ ص ١ : (الحِنْصأُ : الرَّجُلُ الضَعيفُ.
الحِنْصأةُ: الضَّعِيفُ الصغيرُ.
الحِنْصَأْوُ : الحِنْصَأُ.
و ـ : الرَّجُلُ الصغيرُ النَّحِيفُ تُزْدَرَى مَرْآتُه.
الحِنْصَأوةُ: الحِنْصَأُ.
وفي «اللسان» قال الراجز:

حتى تَرَى الحِنْصَأْوةَ الفَرُوقَا مُتَّكِئاً يَقْتَمِحُ السَّوِيقَا

ص ٦١ : الحِنْضُجُ: الرَّجُلُ الرِّخْوُ الذي لا خَيْرَ عنده. قال ابنُ دُرَيْدٍ: والنُّونُ زائِدَةٌ).

* * *

١ ـ هذه المواد كان يحسن أن تذكر في موضعها في حرف الحاء والنون، وإن كانت زائدة كما في (ص ١١٤) حيث جاء: (حنظب انظرها في رسمها). ومعروف أن النون في تلك المواد زائدة، ولكن يحسن أن تذكر في بابها المجرد، ثم يحال إلى موقعها من «المعجم» تسهيلاً للباحثين. وكذا ما شابه هذه الكلمات مثل (حوفل) ص ١٨٨ ـ.

٢ ـ لا أدري لما أوردت هذه الجملة ص ٢ : (اقْتَمحَ السَّوِيقَ: اسْتَفَّه).

٢ ــ ص ٣ : (حَصَّبَ الحَاجُّ: نام بالشِّعْبِ الذي مَخْرَجُه إلى الأَبْطَحِ سَاعةً من اللَّيلِ، ثم يخرج إلى مَكَّةَ، سُمِّيَ به للحَصْباءِ الذي فيه).

* * *

يحسن أن يعرف المحصب بتعريف أوضح من هذا، وهو القول بأن المحصب جانب من وادي مكة في مدخلها قديماً من جهة منى، عَرَّفَهُ مؤرخ مكة الأزرقي ـ «أخبار مكة» ٢/١٦٠ الطبعة الثانية ـ بما نصه: (وحد المحصب من الحجون مصعداً في الشق الأيسر وأنت ذاهب إلى منى إلى حائط خرمان مرتفعاً عن بطن الوادي فذالك كله المحصب وربما كان الناس يكثرون حتى يكونوا في بطن الوادي) انتهى، ويعرف الآن باسم الأَبْطَح.

٣ ــ ص ٦ : (حُصَيْبٌ: موضعٌ باليمن، وهو وادي زَبِيدَ، حَسَنُ الهَواءِ، قال عبدُ الخالقِ بن أبي طَلْحَةَ:

رام عِيسَى مالا يُرَامُ فَأَضْحَى ثَاوِياً بالحُصَيْبِ نائي المَزَار)

* * *

١ ــ أصل هذا في «معجم البلدان» إلاَّ جملة: (حَسَنُ الهَواءِ) فلم ترد فيه، ومعروف أن وادي زبيد في تهامة، وأن تهامة على وجه الاجمال ليست حَسَنة الهواء.

٢ ــ الحصيب اسم مدينة زبيد، وزبيد اسم الوادي كما نص على ذالك الهمداني واللحجي اللذين نقلا عنهما ياقوت، وهما أعلم ببلاد اليمن، وأيد قولهما القاضي الحجري في كتابه «مجموع بلدان اليمن وقبائلها» ـ رسم الحصيب ـ.

٣ ــ عبدالخالق بن أبي طَلْحَة. صوابه: عبدالخالق بن أبي الطلح بن محمد الشهابي الخولاني، من قصيدة مطلعها:

ما بكاء امرئٍ بدمنة دار بعدما لاح شيبه في العذار

في اثنين وثلاثين ومئة بيت، أوردها الهمداني في الجزء الأول من «الإكليل» في مدح محمد بن يُعْفِرَ أَحَدِ حكام اليمن فيما بين سنتي ٢٥٥ و٢٦٣ ـ انظر «العسجد المسبوك» ـ ٣٣ و«غاية الأماني» ١/١٦٤ ـ.

٤ ــ ص ٩ : (قال الشاعر :

وَمَسَدًا أَجْرَدَ قد تَحَصْحَصَا

الـمَـسَـدُ : اللِّيفُ).

* * *

مراد الشاعر فيما يظهر: حَبْلٌ من ليف، وليس مجرد الليف، إذ المسد كما في «اللسان» وغيره: هو حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف أو جلود.

٥ ــ ص ٩ : (ذُو الحَصْحَاصِ : موضعٌ، وقيل هو جَبَلٌ مُشْرِفٌ على ذِي طُوًى. (يحال على الأستاذ حمد الجاسر).

أنشد أبو الغَمْرِ الكلابيّ (من أهل الحجاز) يصف نساءً:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّرَ بَعْدَنَا ظِباءٌ بِذي الحَصْحَاصِ نُجْلٌ عُيُونُها)

* * *

١ ــ هذا الكلام منقول من «تاج العروس» والأصل في «الصحاح» للجوهري وفيه: ذو الحَصْحاص: موضعٌ: وأنشد أبو الغَمْر الكلابي لرجل من أهل الحجاز يصف نساءً. فأبو الغَمْر الكلابي ليس حجازيًّا، والشعر ليس له.

٢ ــ ولكن ابن السكيت (١٧٦/٢٤٤) ـ ولعله مصدر الجوهري ـ أورد في كتاب «إصلاح المنطق» ـ ص ٤١١ ـ البيت برواية أخرى، فقال: (أنشدني أبو الغَمْر الكلابي لرجل من أهل الحجاز:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّرَ بَعْدَنا ظِباءٌ بِذي الحَصْحاصِ نُجْلٌ عُيُونُها)

ثم ثلاثة أبيات بعده.

وإذن يحسن الإشارة إلى اختلاف الرواية.

٣ ــ والحَصْحاص ذكره من شرط «المعجم» فقد ذكره الفاكهي في «أخبار مكة» ـ ٤/ ٢٢٠ و ٢٢١ ـ وهو من أهل القرن الثالث الهجري ـ وأورد لشاعر لم يسمه:

إلى الصفح من مفضى البرود وبلدح إلى وادي الحَصْحاص حين يدعثرا

وحدد الحَصْحاص بقوله: الحصحاص: الجبل المشرف على ظهر ذي طوى إلى بطن مكة مما يلي بيوت أبي أحمد المخزومي عند موضع يقال له: البرود. انتهى، وبطن مكة الذي يقصده هنا هو وادي الشهداء، وجبل الحَصْحاص هذا هو الجبل الذي على يمينك إذا توسطت ريع الكحل يشرف على حي الزاهر (الشهداء) من الشرق. كما قال محقق الكتاب.

٦ ــ ص ١١ : (قال النابغةُ الجَعْدِيُّ نحو (٥٠هـ = ٦٧٠م):

كما أَفْلَتَ الظبيُ بعد الجَرِيـ ـضِ من نَزْعٍ أَحْصَدَ مُسْتَأْرِبِ

مُسْتَأْرِب: مُحاطٌ بالنَّوائِبِ من كُلِّ ناحِيةٍ).

* * *

وصف الوتر: الشديد الفتل بأنه محاط بالنوائب ليس واضح المعنى، ولكن من المعروف أن (أرب) من معانيها: اشتد، فهو (مستأرب) في قول النابغة: مشتد: أي قوي، وفي «اللسان»: استأرب الوتر: اشتد.

٧ ــ ص ٢٢ : (الحَصِير: جَبَلٌ لِجُهَيْنَةَ وآخَرُ في بلادِ بَنِي كِلابٍ أو ببلاد غطفان. وقيل: هو بالضَّادِ، قال مُزَاحِمٌ العُقَيْلِيُّ (١٢٠هـ = ٧٣٨م):

وما هاجَهُ من دِمْنَةٍ بان أَهْلُها فَأَمْسَتْ قَوًى بين الحَصِيرِ ومُحْبِلِ)

* * *

١ ــ الحَصِير: من الأسماء التي تطلق على مواضع، لعل من أشهرها جبل يقع في

جنوب نجد في منطقة كانت تعرف قديماً باسم (نَمْلَى) وكانت من بلاد بني كلاب، قال فيه الشاعر:

تطاللت كي يبدو الحصير، فما بدا لعيني ويااليت الحصير بدا ليا

وقال آخر:

كأن خراطيم الحصير وأكلب فوارس نحت خيلها لفوارس

انظر «بلاد العرب» ـ ص ١٤٣ ـ و«معجم البلدان» ـ رسم الحصير ـ.

٢ ــ حضير: ـ بالضاد ـ هو ثني من وادي العقيق، في أسفل النقيع بمنطقة المدينة المنورة.

٨ ــ ص ٢٣ : (وأَبُو حَصِيرةَ: صَحابِيٌّ قَسَمَ له النبيُّ ﷺ من وادي القُرَى).

* * *

هذا الكلام من استدراكات صاحب «التاج»، وأصح منه ماورد في «الإصابة» لابن حجر: (قَسَمَ له من مغانم خيبر).

٩ ــ ص ٢٨ : (الأَحَصُّ: ماءٌ نَزَلَ به كُلَيْبٌ فاسْتَأْثَرَ به دون بَكْرٍ فقيل له: اسْقِنَا. فقال: ليس فيه فَضْلٌ عَنَّا، فلما طَعَنَه الجَسَّاسُ اسْتَسْقَاهُم الماءَ، فقال له الجَسَّاسُ: تَجَاوَزْت الأَحَصَّ، وفيه يقول النابغة الجَعْدِيُّ (٥٠هـ = ٦٧٠ م):

فَقَالَ لِجَسَّاسٍ: أَغِثْنِي بِشَرْبَــةٍ تَدَارَكْ بها طَوْلاً عَلَيَّ وأَنْعِـمِ

فَقَالَ: تَجاوَزْتَ الأَحَصَّ وماءَه وبَطْنَ شُبَيْثٍ وَهْوَ ذُو مُتَرَسَّمِ

شُبَيْثٌ: جَبَلٌ بِنَواحِي حَلب.

وقال جَرِيرٌ: (١١٠هـ = ٧٢٠م):

عَادَتْ هُمُومِي بالأَحَصِّ وسَادِي هَيْهَاتَ من بَلَدِ الأَحَصِّ بِلَادِي)

١ ــ الأَحَصُّ : حدده صاحب كتاب «بلاد العرب» ـ ص ١٩٧ ـ فقال في ذكر منازل بني الأضبط بن كلاب: (ومن أوديتهم ذو لباح، وماؤه شبيث، والأَحَص وراءه لبني سليم، بينه وبين ذالك نصف يوم، ونوائح كليب منصوبة على ماء شبيث، وهن صخور كأنها الرحال منصبة) انتهى وهذا بمنطقة بلدة عفيف في عالية نجد، وكليب قتل في الذنائب الواقعة في تلك الجهة ولاتزال معروفة، وهناك ماء يدعى (شبيبة) ليس بعيداً أن يكون هو ماكان يعرف قديماً باسم (شبيث).

٢ ــ الجَسّاسُ: صوابه (جساس) إذ (الـ) لا تدخل على الأسماء إلَّا سماعًا .

٣ ــ القول بأن شبيثاً الواقع في خبر مقتل كُليب الذي حدث في عالية نجد، في نواحب حَلَبٍ خطأ محض، ولكن هناك في نواحي حلب موضعان آخران هما: الأَحَص وشبيث، وهما اللذان ذكرهما ياقوت في «معجم البلدان» وأورد شعراً لرجل من طيء مات ولده في دمشق، ذكر فيه شبيثاً والأحص، ولعل جريراً أراد بشعره الأحص الشامي البعيد عن بلاده.

كما أن أبا رياش في «شرح نونية الكميت» ذكر أن الأَحَصَّ وشبيثاً في الحيرة ـ انظر «العرب» س ١٣ ص ٧٤٥ ـ ولا يعني الباحث هنا إلَّا أن الاسم قد يطلق على عدة مسميات.

١٠ ــ ص ٢٩ : (قال الحُطَيْئةُ (٤٥هـ = ٦٦٥م):

حَطَّتْ به من بِلَادِ الطَّوْدِ عَارِيَةٌ حَصَّاءُ لم تَتْرِك دون الغَضَى شَذَبَا

بِلَادُ الطَّوْدِ: يريد الشامَ إلى بِلادِ تَمِيم. عارِيةٌ: سَنَةٌ بارِدةٌ شَدِيدة. لم تَتْرِك: أكَلَتِ الشجرَ الا عُصِيًّا. الشَّذَبُ: القِشْرُ).

* * *

١ ــ كلمة (الغَضَى) هنا مشكلة، فقد وردت في «الديوان» كما هنا، ولكن فسرت في شرح هذا البيت بما هذا نصه: أي أكلت الشجر إلَّا عصيه، وتجمع العصى: عُصي وعَصي، وتُثَنى: عصوان. انتهى، وإذن يتضح أن الصواب: (دون العَصَى).

٢ ــ تفسير بلاد الطود غير واضح، يوضحه بيت الحُطَيْئة ـ ١٧ مخطوطة الديوان:

إن امرءًا رهطه بالشام منزله برمل يبرين جاراً شد ما اغتربا

ابن السكيت: قوله: رهطه بالشام: أي بناحية الشام، قال أبو عمرو: ومنازل بني عبس بِشَرْج والعقيق والجواء وهي أسافل عدنَةَ. انتهى، وتلك بالنسبة إلى بلاد تميم تقع بناحية الشام.

١١ ــ ص ٣٠: (الحُصَاصُ: الضُّراطُ، وفي الخبر «انّ الشيطانَ إذا سَمِعَ الأَذَانَ وَلَّى وله حُصَاصٌ).

* * *

١ ــ ابن الأثير قدم للحديث معنى آخر، فقال: (الحُصَاص: شدة العدو وحِدَّته، وقيل: هو أن يمصع بذنبه ويصر بِأُذنيه، ويعدو، وقيل: هو الضُّراط) انتهى.

إذن هو لم يقدم هذا المعنى في إيضاح معنى الحديث.

٢ ــ نبه الهجري إلى أَنَّ هذا التفسير خطأ، فقال في «التعليقات والنوادر» ـ ٤٤٢ المخطوطة المصرية ـ: (يقال: مر وله حصاص. قال: الحصاص: صوت العدو من يَحُصُّ، مثل يَحْصُب. ومنه قول صخر الغي يصف السيف:

به أَقِمُ الشجاع له حصاص من القطمين إذ فر الليوث

وإذا كان من الأست فهو النصيص من قول الأشجعي:

لِأَستاهكم بين النخيل نصيص

وقول من قال في «غريب الحديث»: الضُّراط. باطل.

٣ ــ وقدم ابن الجوزى في «غريب الحديث» ـ ٢١٩/١ ـ التفسير بشدة العدو وأضاف المعنى الآخر.

١٢ ــ ص ٤٠: عن الحوصل: (ويعرف بالجبع) والصواب: (بالبجع) بتقديم

الباء كما في «حياة الحيوان».

١٢ ــ ص ٤٩ : (ابنُ أبِـي حَصِينَةَ: أبُو الفتح الحَسَنُ بن عبدالله السُّلَمِـيّ (٤٥٧هـ = ١٠٦٥م).

* * *

يحسن أن يضاف إلى ترجمته: وله صلة بأبي العلاء المعري، وديوان شعره شرحه أبو العلاء، وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٣ ــ ص ٦١ : (المِحْضَجُ: الحائِدُ عن الطَّرِيقِ. ووردت في «تهذيب اللغة»: المُحْضَجُ).

* * *

لم ينص الأزهري في كتاب «التهذيب» على ضبط الكلمة، وإنما وردت في المطبوعة - ١٢٠/٤ - ولايمكن الجزم بنسبة هذا الضبط إلى المؤلف.

١٤ ــ ص ٦٧ : (الحاضر: حبل (رمل مستطيل) من حبال الدهناء السبعة يقال له: حبل الحاضر. وقيل: جبل من جبال الدهناء).

(يحال على الأستاذ حمد الجاسر)

* * *

١ ــ حبل الحَاضِرُ: هو الذي يلي اليمامة من حبال الدهناء، وقد زاد العبارة إيضاحاً صاحب «تاج العروس» حين قال: وعنده حفر سعد بن زيد مناة بن تميم بحذاء العرمة. انتهى، وهذا الحفر يدعى حفر العتك، على مقربة من هذا الحبل، وحفر العتك لايزال معروفاً.

٢ ــ القول بأنه (جبل) تصحيف، فليس في الدهناء جبال، وإنما فيها حبال مستطيلة من الرمل.

١٥ ــ ص ٧١ : (حَضَر: موضِعٌ في شِعْرِ أَعْشَى باهِلَةَ (عامر بن الحارِث) جاهلي:

وأَقْبَلَ الخَيْلُ من تَثْلِيثَ مُصْغِيَة أو ضَمَّ أَعْيُنَهَا رغوانُ أو حَضَرُ

تَثْلِيث: موضِعٌ بالحِجَازِ قُرْبَ مَكَّةَ، رغوان: اسمُ موضِعٍ).

* * *

١ ــ تثليث ليس في الحجاز، ولا بقرب مكة، بل هو واد عظيم ترفده أودية كثيرة فيها قرى وسكان كثيرون، ويعد من أعراض نجد العظيمة تفضي سيوله إلى وادي الدواسر، الذي يخترق سيله عارض اليمامة، وتثليث ذو فروع كثيرة ومَجْرًى طويل، ويقع حوضه بين خطي الطول: ٤٥/٤٣° و ٤٤° وبين خطي العرض: ١٥/١٨° و ٢٠/١٩° .

٢ ــ اما رغوان: فهو قرية فيها مركز حكومي بمنطقة الحمضة التابعة لإمارة تثليث ـ انظر «العرب» س ٢٢ ص ٨٠٧ ـ.

٣ ــ لاشك أن حضر موضع في منطقة تثليث بقرب رغوان.

١٦ ــ ص ٧٥ : (حَضِيرُ: قاعٌ فيه مزارِعُ يَسِيلُ عليه فَيْضُ النَّقِيعِ، ثمَّ ينتهي إلى غَدِيرٍ. وأَنْشَدَ أبو زيادٍ:

يَقُولُون لَمَّا أَقْلَعَ الغَيْثُ عنهُمُ أَلَا هل لَيالٍ بالحَضِيرِ عَوائِدُ؟)

* * *

١ ــ حضير غير معرف، ووضعه في «المعجم» تابعاً للكلمة المعرفة يُوهِم التعريف، ولا أرى بيت أبي زياد ينطبق عليه، فأبو زياد كلابي ومنزل قومه في نجد، ولهذا أرى أن الحضير في شعره تصحيف (الحصير) الذي هو من بلاد بني كلاب.

٢ ــ جملة (ثم ينتهي إلى غدير) ناقصة تتمتها: (إلى غدير يقال له المزج لا يفارقه الماء، وهو شق بين جبلين يمر به وادي العقيق) على ماورد في «معجم ما استعجم» للبكري، وكان ذالك القاع يزرع، أما الآن فلا زراعة فيه وهو من ضواحي المدينة في أعلا العقيق.

١٧ ــ ص ٧٩ : (حَضْرَمَوْت، وتُضَم الميم: اقليمٌ باليمن واسِعٌ، طوله إِحْدَى وسبعون درجةً، وعَرْضُه اثنتا عشرة درجةً).

* * *

إن كان المراد خطوط الطول والعرض فإن إقليم حَضْرَمَوْت يقع بين خطي الطول: ٣٠/ ٤٠° و ٣٠/ ٥٠° ولا يتجاوز طولها ذالك، أما العرض فهو بين: ١١° و ١٥°.

١٨ ــ ص ٨٠ : (قادَ الجياد على وجاهاً أَشْرِ با قُبَّ البُطُونِ نواحلَ الأَبْدانِ

شَرِيَ الفَرَسُ في سَيْرِه: لَجَّ وبالَغَ فيه ـ الخ).

* * *

١ ــ صواب البيت :

قادَ الجياد على وجاهاً شُزَّبًا

كما في ديوان الشاعر ـ ١٦٠ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ـ.

٢ ــ الوجى: الحفى. شزبا: جمع شازب وهو الضامر.

وإذن فلا معنى لجملة (شَرِيَ الفَرَس في سيره) الخ.

١٩ ــ ص ٨٠ : (وَحَضْرَمَوْت: اسمُ قَبِيلَةٍ من وَلَدِ حِمْيَر بن سبأ، وقيل: هو ابنُ قَحْطان بن عَامِر).

* * *

١ ــ هذا نص مافي «تاج العروس» وعامر هنا تصحيف (عابر) كما في كتب النسب.

٢ ــ حضرموت كما يفهم مما ذكره علماء اليمن يطلق على أمتين: حضرموت الأولى نسبة إلى حَضْرَمَوْت بن قَحْطان ـ «الاكليل» ١/ ١١٩ ـ.

وحَضْرَمَوْت الثانية نسبة إلى حَضْرَمَوْت بن سبإ الأصغر، وبه سمي وادي

حَضْرَموت، من ولده الملوك العباهلة، الذين كتب إليهم النبي ﷺ - «شمس العلوم» ٢/٤٠٤ -.

وسبأ الأصغر يتصل نسبه بقحطان أيضاً.

٢٠ ــ ص ٨٣ : (قال الراجِزُ :

الشِّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سُلَّمُهْ).

* * *

الرجز نسبهُ صاحب «الأغاني» - ٢/١٩٥ - للحُطيئة.

٢١ ــ ص ٨٩ : (حَضَنٌ: اسْمُ جَبَلٍ في أعالِي نَجْدٍ، وهو أوَّلُ حدود نجد، وفي المثل السائر: أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حَضَناً، أي مَنْ عَايَنَ هذا الجَبَلَ فقد دَخَلَ في ناحيَةِ نَجْدٍ. ويُضْرَبُ في الاسْتِدْلالِ على الشيءِ بأَمارَةٍ ظاهِرَةٍ والاسْتِغْنَاء بها على السؤالِ عنه، قَال الشاعرُ :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بذاتِ الجِذْع من عَدَنٍ وحَلَّ أهلُك بَطْنَ الحِنْو من حَضَنِ)

* * *

١ ــ ذات الجِذْع، صوابها: (ذات الجِزْع) بالزاي كما في «الجمهرة».

٢ ــ اسم حَضَن، يطلق على مواضع ذكرها المتقدمون، قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب» - ٣١١ -: (وحضن باهلة وادي نخل، كحضن نجران، وحضن عكاظ جبل، وفيه يقول الشاعر :

كخلقاء من هضبات الحضن)

انتهى. وذكر نصر الأسكندري حضناً رابعاً فقال: بمنطقة جبلي طيء.

ولايزال أربعة من تلك المسميات معروفة، فحضن الذي ورد فيه المثل

سلسلة جبال واقعة شرقي صحراء ركبة، تشاهد من بعد، وقد تكون في الأصل امتداد لحرة بني سليم، ويقع حضن هذا فيما بين خطي الطول: ٤١/١٠° إلى ٤١/٢٣° وخطي العرض: ١٩/١٠° إلى ٢١/٣٠° .

وحضن نجران بلاد مأهولة في نجران.

وحضن المتصل بأجأ أحد جبلي طيء يقع بين خطي الطول: ٤٠/٤٥° و ٤٠/١٥° وخطي العرض: ٢٦/٥٠° و ٢٧/١٠° .

٢٢ ــ ص ٩٦ : (قال القُطامِيُّ (عُمَيْرُ بن شُيَيْمٍ) ـ (١٣٠هـ = ٧٤٧م) :

إذا احْتَطَبَتْهُ نِيبُها قَذَفَتْ به بَلاعيمُ أَكْرَاشٍ كأَوْعِيَةِ الغَفَر

بَلاعِيم: جمع بلعوم، وهو مجرى الطَّعام، الغَفْرُ: البَطْنُ).

* * *

تفسير الغَفْر بالبطن هنا ليس واضحاً، إذ كيف يصف الكرش وهو البطن بـ(الغَفْر) وهو البطن أيضاً ؟!

٢٣ ــ ص ١٠٢ : (الحُطَائِطُ : ذُرَةٌ صَغِيرَةٌ حَمْرَاء ، الواحِدَة: حُطائِطَة.

ومنه قولُ صِبْيانِ العَرَبِ في أحاجِيهم: ما حُطَائِطُ بُطائِطُ ، تَمِيسُ تَحْتَ الحَائِطِ) .

* * *

ضبط (ذُرَة) ـ بضم الذال وتخفيف الراء ـ غير صحيح ، فالصواب (ذَرَّة) ـ بفتح الذال وتشديد الراء المفتوحة، واحدة الذَّرِ ـ صغار النمل ـ لا (الذرة) الحب المعروف والذر هو الذي يميس تحت الحائط . قال الأزهري: تقول صبيان الأعراب ـ وأورد الأحجية وأضاف: يعنون به الذَّر . كذا نقل عنه صاحب «التاج» والذي في كتابه «تهذيب اللغة» ـ ٤١٨/٣ ـ: (يعنون الذرة) والذال مفتوحة، وقول اللغويين: الحطائط الصغير من الناس وغيرهم، يوضح أن المقصود الذَّرة من النمل.

٢٤ ــ ص ١١٠ : (الحَطِيمُ: حِجْرُ مَكَّةَ مِمَّا يلي المِيزَاب).

* * *

١ ــ ألم يكن من باب التثبت من صحة نسبة القول لابن سيده الرجوع إلى كتابه «المحكم» الذي عول عليه صاحب «اللسان».

٢ ــ إضافة الْحِجْر إلى مَكَّةَ فيه توسع وإيهام ، فهو حِجْر الكعبة داخل المسجد .

٣ ــ الحَطِيم كما عرفه عالم مكة عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج (٨٠/١٥٠): الحَطِيم مابين الركن والمقام وزمزم والحجر . انتهى ـ «أخبار مكة» للأزرقي ٢/٢٣ ـ والمقصود بالركن هنا ركن البيت الذي فيه الحجر الأسود الوارد في قول الشاعر:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ماجاء يستلم

ويؤيد قول ابن جريج ماجاء في «أخبار مكة» للفاكهي ـ ٣/٢٧١ ـ ونصه: (إساف ونائلة: حجران ممسوخان، رجلاً وامرأة، كانا مسخاً في الكعبة، فأخرجا منها، فأخذتهما قريش، فجعلت احدهما عند الكعبة والآخر عند زمزم، فكان يطرح بينهما مايهدى للكعبة، وكان ذالك الموضع يسمى في الجاهلية: الحَطِيم، وإنما نصبا بالحطيم ليعتبر الناس بهما).

٢٥ ــ ص ١١٣ : (الفِنْدُ الزِّمَّانِيُّ (شَهْيل بن شيبان).

* * *

اسم الفند الزماني: شَهْل بن شيبان الحنفي، شاعر جاهلي من أهل اليمامة، حدد الزركلي وفاته بنحو (٧٠) قبل الهجرة.

٢٦ ــ ص ١٤٣ : (الحَفَائِرُ : ماءٌ لبني قُرَيْط على يسار الحاج من الكوفة.

وفي «معجم البلدان» قال الشاعر :

أَلِمَّا على وَحْشِ الحفائِرِ فانظُرَا إليها وإن لم يُمْكِنِ الوحش راميَا
ولا تَعْجِلانا أن نسلِّم نحوَها ونَسقِي مُلْتاحاً مِنَ الماءِ صَادِيَا)

١ ــ لا صلة لمياه بني قريط بطريق حاج الكوفة، فبلادهم في عالية نجد يفصل بينها وبين طريق حاج الكوفة طريق حاج البصرة، الذي يخترق وسط نجد، وبلاد بني قريط في الجنوب الغربي من عالية نجد.

٢ ــ حدد صاحب «بلاد العرب» ـ ص ١٣١ ـ ماء الحَفَائر هذه بقوله: ولقريط ماءة يقال لها: الحفائر، ببطن واد يقال له مهزول، إلى أصل علم يقال له: ينوف. إلى آخر ماذكر، ونقل ياقوت هذا الكلام منسوباً إلى الأصمعي.

والعلم الذي ذكر لايزال معروفاً يقع جنوباً من بلدة عفيف بستة وأربعين كيلاً بقرب خط الطول: ٤٣/٠٤° وخط العرض: ٢٣/٢٦° ، أما الماء فقد درس كغيره من كثير من المياه القديمة.

٢٧ ــ ص ١٤٣ : (حَفْر البِطَاح: اسم موضع. وفي «معجم البلدان» قال الشاعر:

وَحَفْرُ البِطَاح فوق أرجائِه الدمُ)

* * *

اسم الموضع: البُطَاح ـ بضم الباء وكسرها ـ وقد تقدم ذكره في موضعه من «المعجم الكبير» ولكن لم يحدد موقعه، واكتفى بإيراد ماجاء في «معجم البلدان» من أنه منزل لبني يربوع.

وقيل: ماء في ديار بني أسد، ولهذا فهو بحاجة إلى تحديد لوروده في كثير من الشعر ولوقوع وقعة من أشهر وقعات حروب الردة فيه، ووصف تلك الوقعة في الأخبار والأشعار ـ وانظر تفصيل الوقعة في حوادث السنة الحادية عشر من كتب التاريخ.

والبِطَاح في الأصل اسم وادٍ من روافد وادي الرسيس، أحد فروع وادي الرمة التي تأتيه من الجنوب، فيه منهل من أشهر المناهل، اتخذ عليه قرية في عهد متقدم، كان واقعاً في بلاد بني أسد. والقول بأنه من مياه بني يربوع وَهْمٌ نشأ عن حدوث الوقعة التي قتل فيها مالك بن نويرة اليربوعي، وبلاد بني يربوع تقع شرقه غير بعيدة، ولايزال البطاح معموراً بمزارع قليلة تابعة لمدينة الرس في منطقة

القصيم، ويبعد البِطَاح عن الرس بنحو ثلاثين كيلاً ويقع بقرب خط الطول: ٣٠/٤٣° وخط العرض: ٤٥/٢٥° .

٢ ــ يظهر أن صواب (حفْر البطاح) : (جَفْر البطاح) ـ بالجيم ـ وصحف، إذا الجفر هي البئر القريبة القعر الواسعة التي لم تطو ، وكذا آبار وادي البطاح، فإنها أحساء قريبة الماء .

٢٧ ــ ص ١١٤ : (وحَفْر الرِّبَاب: ماء بالدَّهْنَاءِ ، من منازل تَيْم بن مُرَّةَ . أنشدنا أبو الذؤيب: ( ):

حِسْفِلُ البَطْنِ فما يَمْلاه شَيْ ءٌ ولَوْ أَوْرَدْتَهْ حَفْر الرِّبَابِ

حِسْفِل: واسِعُ البَطْن).

* * *

١ ــ الدهناء لا مياه فيها، ويظهر أن حفر الرباب على مقربة منها، لأن صاحب «بلاد العرب» ـ ٢٩٤ ـ قال بعد ذكره: (ثم تقطع الدهناء) مما يفهم منه أنه غرب الدهناء ويدل على هذا ماجاء في «معجم ما استعجم» ـ ٤٥٧ ـ: الحَفْر موضعان، حفر بني سعد وحفر الرباب بينهما مسيرة ليلة. انتهى، وحَفْر بني سعد هذا حدده الأزهري في «تهذيب اللغة» ـ ١٦/٥ ـ: بأنه بحذاء العرمة وراء الدهناء عند حَبْل من حبالها يقال له: حَبْل الحَاضر .

٢ ــ القول عن حَفْر الرِّباب أنه من منازل تيم بن مرة، ورد في مطبوعة «معجم البلدان» ولكن تيم بن مرة بطن من قريش، ولا صلة بمنازلهم ببلاد الرباب الواقعة بغرب الدهناء، والرباب من بطونهم بنو تيم بن عبد مناة بن اد. وليس من المستبعد أن يكون صواب الجملة: (من منازل تيم بن مر) فبلاد الرباب متصلة ببلاد بني تميم وهم متصلون معهم بالنسب. وبنو تيم بن مرة لهم حفر أو جفر ولكنه في مكة.

٣ ــ لم ينص على مصدر تعريف حفر الرباب، وهو «تهذيب اللغة» ٣٢٤/٥.

٢٨ ــ ص ١٤٦ : (الحَفِيرُ: موضع معروف بينه وبين البصرة ثمانية عشر

ميلاً . قال حجر بن عمرو آكل المرار الكندي:

لِمَنِ النارُ أُوقِدَتْ بحَفِيرِ لم تُضِئْ غير مُصْطَلى مَقْرورِ)

* * *

الحفير الموضع المعروف الذي بقرب البصرة هو الذي سيأتي تعريفه بعد هذا، أمَّا حفير ٱلْمُنَكَّرِ، فقد ذكر البكري في «معجم ما استعجم» ـ ٤٥٨ ـ أنه موضع معروف بالحيرة واستشهد بالبيت وبشعر للأخطل ولعدي بن زيد، وهما ممن لهم صلة بنواحي الحيرة، كما ان اسم حفير يطلق على نهر الأردن كما ورد في شعر النعمان بن بشير ونصه:

إن قينيـة تحـل محبـاً فحفيراً فجنتي ترفلان

٢٩ ــ ص ١٤٧ : (الحُفَيْرُ: ماء لِبَاهِلة بينه وبين البصرة أربعة أميال ، قال الحفصي: إذا خرجت من البصرة تريد مَكَّةَ فتأخذ بطن فلج فأول ماء ترد الحُفَير).

* * *

١ ــ القول بِأن الحُفَير ـ بالتصغير ـ ماء لباهلة يفهم منه أنه في بلاد بَاهِلة، وليس الأمر كذالك، فقد أوضح صاحب كتاب «المناسك» ٥٧٦ ـ صلة باهلة بهذا الموضع فذكر أن محمد بن سليمان العباسي الذي تولى إمارة البصرة فيما بين سنتي ١٤٦ و١٧٣ أتاه رجل من باهلة فاستأذنه أن يحفر بئراً بالحُفَير فأذن له ، فأنبط بئراً عذبة فاشتراها محمد بن سليمان على أن يأذن له في حفر بئر أخرى، فأذن له، فحفر بئراً في الحفير. من هنا جاءت نسبة الحُفَير إلى باهلة.

٢ ــ المسافة بين الحُفَير وبين البصرة أحد وثلاثون ميلاً كما جاء في كتاب «المناسك». أما قول ياقوت: إنه على أربعة أميال من البصرة، فيردُّهُ أن ياقوتاً نفسه ذكر أن المنجشانية على ثمانية أميال من البصرة، وبعدها الربوة على اثني عشر. ميلاً ثم الحفير بعد الربوة على ثمانيـة أميال

(٨ + ١٢ + ٨ = ٢٨ ميلاً) وهذا قريب من تحديد صاحب «المناسك».

٣٠ ــ ص ١٥٨ : (حَفْصَةُ، أُمُّ حَفْصَة: الرَّخْمَة).

* * *

الرخمة ـ بالخاء المعجمة ـ الطير المعروف، لا بالحاء المهملة كما هنا.

٣١ ــ ص ١٦٠ : (وفي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُ لَقُرآن كَرِيمٌ في كِتابٍ مَكْنُونٍ ﴾ الواقعة ٧٧/٧٨).

* * *

لم أدرك مناسبة إيراد هذه الآية الكريمة.

٣٢ ــ ص ١٨٠ : (قال ابن مُقْبل (مخضرم):

سَبَتْنِي بِعَيْنَيْ جُؤْذَر حفلتها رِعاثٌ وبَرَّاقٌ من اللَّوْنِ واضِحُ

الرِّعاثُ: جمع الرَّعثَة، وهي القُرْط. اللَّوْن: يريد به لون وجهها).

* * *

(حفلتها): صوابها (حفلتهما) ولعل ما وقع تطبيع.

٣٣ ــ ص ١٨٨ : (الحوفلة: القَنْفاءُ).

* * *

التفسير يحتاج إلى تفسير، ويحسن أن يقال: كما في «اللسان» الحوفلة: الكمرة الضخمة، مأخوذ من الحفل وهو الاجتماع والامتلاء.

٣٤ ــ ص ١٩٢ : (حَفَوْتَ، أي منفشاً أن نُشَمِّتَكَ بعد الثلاثِ لأنَّه إنّما يُشَمَّتُ في الأولى والثانية).

* * *

هنا تطبيع في كلمة (أي منفشا)، صوابها: (أي منعتنا).

ثانيًا: ومما أخل به «المعجم» مما ذكره من شرطه:

١ـ من الكلمات

١ ــ (حصف): المحصوفة: الكتيبة المجموعة. ـ «متن اللغة» ٢/١٠٥ ـ.

٢ ــ مادة (حصل): المِحْصَال: حديدة تُبْرى بها السهام. ـ «مجمل اللغة» ٢/٧٢ ـ.

٣ ــ مادة (حطط): سيف محطوط: مصقول.

وأَلْيَةٌ محطوطة: لا مأكمة لها.

الحطوطة: الرجل النزق، الخفيف النشيط. ـ «متن اللغة» ٢/١١٦ ـ.

٤ ــ مادة (حفج): الحفنجل: الْأَفَجُّ. ـ «متن اللغة» ٢/١٢٠ ـ.

٥ ــ مادة (حفر): الحافيرة: سمكة سوداء.

الحفرد: حبُّ الجوهر، نبت. ـ «متن اللغة» ٢/١٢٢ ـ.

٦ ــ مادة (حفص): الحفص: عجم النّبق والزعرور ونحوهما. ـ «متن اللغة» ٢/١٢٣ ـ.

٧ ــ مادة (حفظ): الحافظة: قوة الذاكرة ـ. «متن اللغة» ٢/١٢٥ ـ.

٢ـ ومن الاعلام

في مادة (حصر): ذو الحصير: جاء في «ديوان حاتم الطائي» ـ ٢٦٥ ـ:

أو ذو الحصير وفارس ذو مرة بكتيبة من يدركوه يفرس

وورد في كتاب «الايناس» للوزير المغربي ـ ٥٩ ـ نشر «دار اليمامة» في طَيِّءٍ رجل يقال له عبد مالك بن عبد الْأُلَهِ، مثل الْعُلَة مخففاً ـ وساق نسبه إلى سنبس طيء ـ يقال له: ذو الحصيرين، لأنه كان له حصيران من جريدٍ مُقَيَّرَانِ، يجعل أحدهما بين يديه والآخر خلفه، ثم يسند نفسه بِإِزاء السَّلْفِ، إذا جاءهم عدو،

وهو الذي يقول فيه حاتم الطائي :

وذُوْ الْحَصِيْـرَيْنِ امْرُؤٌ فِي أُسْـرَةٍ غُلْبِ السَّوَالِف، مَنْ يُلاَقُوا يَفْرِسُوا
وَمُـوَطَّـأُ الْأَكْنَـافِ غَـيْرُ مُلَعَّنٍ بـالحي مَشَّـاءٌ إِلَـيْـهِ الْمَجْـلِسُ

بِالحيِّ : أراد في الْـحَي .

ومن ولد ذي الحصيرين : أُبَيَّةُ بنتُ عُقْبَة بن زَحْرِ بن ذِي الحصيرين، القائلةُ لأبيها زحر، وكان زوجها من رجل من همدان، فقالت أُبَيَّةُ :

فَقُـلْ لِأَبِـي زَحْـرٍ إِذَا مَـالَقِيْتَـهُ فَفِيْمَ الْمَوَالِي مِنْ رُكُوْبِ النَّجَائِبِ؟

وعلق على هذا : ليس البيت (وذو الحصيرين) مخروماً بل هو موقوص، والوقص حذف الثاني المتحرك في آخر الكامل.

٣ ـ ومن أسماء المواضع

١ ــ الْحَصَّاءُ : منهل في عالية نجد كان لبني عبدالله بن أبي كلاب بن بكر قال فيها معقل بن ريحان :

جَلَبْنَا مِنَ الْحَصَّاءِ كُلَّ طِمِرَّةٍ مُشَذَّبَةٍ فَرْجَاءَ كَالْجِذْعِ جِيْدُهَا

وقال أخو عطاءٍ مولى بني أبي بكر :

فَيَا حَبَّذَا الْحَصَّاءُ وَالْبُرَقُ الْعُلاَ وَرِيْحٌ أَتَانَا مِنْ هُنَاكَ نَسِيْمُهَا

ـ انظر «معجم البلدان» لياقوت، وتعرف الآن الحصاء باسم (الحِصِّيَّات) بكسر الحاء والصاد مشددة بعدها مثناةٍ تحتية ـ جمع حِصِّيَّة في عالية نجد، في منطقة إمارة عَفِيْف، تقع جنوباً عن بلدة عَفِيف على بعد مئتي كيلٍ تقريباً .

٢ ــ حَصَاصَةُ الْعُرفط : ورد في أرجوزة أحمد الرداعي ـ من أهل القرن الثالث الهجري ـ التي أوردها الهمداني في آخر كتاب «صفة جزيرة العرب» ـ ٤٢٨ ـ قوله في وصف الطريق بين تثليث وبيشة :

قَدْ غَادَرَتْ بِـالْوَخْـدِ وَالْإِيْضَاعِ حَصَـاصَةَ الْعُـرْفُطِ ذِي الْأَقْـرَاعِ

وحَصَاصة جبال تتخللها أودية وهي معروفة عند سكان تلك الجهة، قال شاعر من بني سَلُول باللغة العامية يذكر رجلاً من بني واهب من شهران:

هَيَّةَ اللَّهْ على ذَا الْوَاهِبِي مَا زَبَّنَهْ غَيْرَ الْحَصَاصَهْ مَلْحَتَهْ يَنْشُرَ الْبَيْضَا لَهَا، يَنْشُرَ الْبَيْضَا لَهَا

٣ ــ الْحَصَبَاتُ: وأورد الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ٤٠٩ ـ في وصف الطريق من صنعاء إلى رَيْدة:

أَجْمَرْنَ بِالْقَوْمِ قِلاَصٌ حُوْلُ وَادِي شَعُوْبَ وَبِهِ الْمَسِيْلُ
فَالْحَصَبَاتُ وَلَهَا ذَمِيْلُ ثُمَّ الْجِرَافُ وَلَهَا زَلِيْلُ

والحصبات معروفة في تلك الجهة تقع شمال صنعاء.

٤ ــ الْحُصُّ: ورد ذكره عند قدماء الشعراء، من المواضع التي تنسب إليها الخمر على ما ذكر ياقوت، قال أَبُو مِحْجَنٍ ـ «معجم البلدان» ـ:

إِذَا مُتُّ فَادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي، بَعْدَ مَوْتِي، عُرُوْقُهَا
وَلاَ تَدْفِنَنِّيْ بِالْفَلاَةِ، فَإِنَّنِي أَخَافُ، إِذَا مَا مُتُّ، أَنْ لاَ أَذُوْقُهَا
لِيَرْوَى بِخَمْرِ الْحُصِّ لَحْدِي، فَإِنَّنِي أَسِيْرُ لَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَسُوْقُهَا

ولكنه رضي الله عنه تاب عن شربها وقال فيما أورده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ـ ١٠٥٠١ ـ قسم (الكنى).

فَلا واللهِ أشربها حياتي ولا أشفي بها أبدًا سقيما

٥ ــ الْحَصِيْدُ: من المواضع التي حدثت فيها وقعة بين المسلمين وبين أعدائهم في السنة الثالثة عشرة الهجرية، قال القعقاع بن عمرو ـ: «معجم البلدان»:

أَلاَ أَبْلِغَا أَسْمَاءَ أَنَّ خَلِيْلَهَا قَضَى وَطَراً مِنْ رُوْزَمَهْرِ الْأَعَاجِمِ
غَدَاةَ صَبَحْنَا، فِي حَصِيْدٍ جُمُوعَهُمْ بِهِنْدِيَّةٍ تَفْرِيْ فِرَاخَ الْجَمَاجِمِ

وذكر ياقوت أنه موضع بأطراف العراق من جهة الجزيرة، ونقل عن نصرٍ أنه وادٍ بين الكوفة والشام.

٦ ــ الْحُصَيْدَاتُ: ورد في شعر عَدِيِّ بن الرِّقَاعِ:

فَلَمَّا تَجَاوَزْنَ الْحُصَيْدَاتِ كُلِّهَا، وَخَلَّفْنَ مِنْهَا كُلَّ رَعْنٍ وَمَخْرَمِ
تَخَطَّيْنَ بَطْنَ السِّرِّ حَتَّى جَعَلْنَهُ يَلِي الْغَرْبَ سَيْلَ الْمُنْتَوِي الْمُتَيَمِّمِ

والْحُصَيْدَاتُ الواردة في شعر عَدِيٍّ هي شعاب تنحدر من آكام مرتفعة واقعة غرب النَّبْك، قاعدة الْقُرَيَّاتِ الآن، تَتَّجِهُ صوب الشمال الشرقي حتى تفيض في وادي السِّرْحَان الذي يُعرف قديماً باسم (السِّرّ). شمال المملكة العربية السعودية.

٧ ــ الحُصَيْلِيَّةُ: أورد ياقوت أَنَّ طَيِّئاً طرحت عاملاً لبني أُمَيَّة يقال له مجالد، أَسَاءَ معاملتهم في بئر تُدْعَى الْحُصَيْلِيَّة، فقال شاعرهم:

سَلُوا الْحُصَيْلِيَّةَ عَنْ مُجَالِدْ نَحْنُ طَرَحْنَاهُ بِلاَ وَسَائِدْ
بِجَمَّةِ الْبِئْرِ وَرَغْمِ الْقَائِدْ

وذالك اليوم الذي حدث بين طيء وبين عامل بني أُمية وهو أُمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ـ هو يوم الْمُنْتَهَبِ، في طرفي سَلْمَى، وهناك بئر الحُصَيْلِيَّة.

٨ ــ الْحِضْرُ: ورد في «المعجم» وصفٌ للحضر المشهور في العراق ولكن ورد في الشعر اسم حِضْرٌ آخر، قال ياقوت في رسم ساق الْجَوَاء ـ وأنشد الحفصيُّ:

أَقْفَرَ مِنْ خَوْلَةَ سَاقُ فَرْوَيْن فَالْحِضْرُ فَالرُّكْنُ مِنْ أَبَانَيْنْ

والْحِضْرُ الواردُ في هذا الرجز جبل لايزال معروفاً بقرب أَبَانَيْنْ، وبقرب ساق الْفَرْوَيْن، ويقع الْحِضْرُ هذا غرباً من مدينة بريدة بنحو مئة وسبعين كيلاً، يشاهده المسافر بعد قطع هذه المسافة إلى المدينة في مَهَبِّ الشمال من الطَّرِيْقِ.

٩ ــ حُفَارة: أورد الهجري في «التعليقات والنوادر» ـ ١٧٢ المخطوطة الهندية ـ من قصيدة طويلة ليزيد من الطَّثْرية:

يَقُوْلُ خَلِيلِي بِاللِّوَى من حُفَارَةٍ وَقَدْ قَفَّ تَارَاتٍ مِنَ الْخَوْفِ جَانِبُهْ

وفي الهامش: حفارة: ماء دون العَقيق ـ انتهى، والمقصود بالْعَقِيق هذا عَقِيق بني عُقَيْل بلاد يَزِيْدَ وقومه (وادي الدواسر) فَحُفَارة إِذَن بقربه في جنوب نجد.

١٠ ــ الحفائر: موضع آخر غير الوارد في «المعجم» قال الفرزدق ـ ديوانه ٤٣٩ جمع الصاوي ـ يهجو بني نهشل، وكانوا مُرْطَان اللِّحَى يقول: ثُطٌّ ليس لهم لِحًى:

أَهَانَ عَلَى الْمُرْطَانِ أَحْدَاثُ نَهْشَلٍ إِذَا جِيْدَ شَرْقِيٌّ لَهَا وَالْحَفَائِرُ

ويظهر أنَّها بقرب فُلَيْجٍ أحد روافد وَادي فَلْج لقول جرير:

وَوَدَّعْنَا الْحَفَائِرَ مِنْ فُلَيْجٍ وَحَيًّا يَسْكُنُوْنَ رَحَا الثِّمَادِ

١١ ــ الْحَفْرُ: تحدث «المعجم» عن حَفَر الْبُطاح، وحَفَرِ الرباب، وترك ماعداها من الأَحفار مما ورد ذكرها في الأشعار والأخبار القديمة ومن أشهرها:

١ ــ الْحَفَرُ الواقع في شرق المملكة العربية السعودية ويعرف الآن بِحَفَرِ الباطن، وقديماً بِحَفَرِ أبي موسى الأَشْعري، وهذا الحفر له شهرة عظيمة في كتب المتقدمين، ولعله أَهَمُّ الأحفار، قال الأزهري في كتاب «تهذيب اللغة»: والأَحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة فمنها: حَفَرُ أبي موسى وهي ركايا احتفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة.

ومنها حفر ضَبَّة بناحية الشواجِن.

ومنها حفر سعد بن زيد مناة بحذاء العرمة وراء الدهناء.

أما حفر أبي موسى فشهرته لوقوعه في طريق الحج البصري، وهو في بطن واد فَلْج ـ باسكان اللام ـ وقد أُنشئت فيه بلدة سنة ١٣٩٤هـ تعدُّ الآن من مدن المملكة، وورد ذكره في أشعار كثيرة منها قول ذي الرمة:

غَرَّاءُ آنِسَةٌ تَبْدُوْ بِمَعْقُلَةٍ إِلَى سُوَيْقَةَ، حَتَّى تَحْضُرَ الْحَفَرَا

وقال الفرزدق:

بِحَيْثَ مَاتَ هَجِيْرُ الْحَمْضِ وَاخْتَلَطَتْ لَصَافُ ـ حولَ صَدَا حَسَّانَ ـ وَالْحَفَرُ

وحفر أبي موسى كَانَ يعرف بحفر بني العنبر لأنهم كانوا سكان وادي فلج.

٢ ــ حَفر يَبْنَبَم ـ بإسكان الفاء ـ: فقد جاء في «صفة جزيرة العرب» ـ ٣٢٥ ـ لطفيل الغنوي:

أَشَاقَتْكَ أَضْعَانٌ بِحَفْرِ يَبْنَبَمِ غَدَوْا بُكُراً مِثْلَ النَّخِيْلِ الْمُكَمَّمِ

والبيت في «ديوان طفيل» ص ٧٢ ـ تحقيق محمد عبدالقادر أحمد ـ.

ويَبْنَبمُ وَادٍ يَقَعُ بَيْنَ وَادِيَـيْ تَثْلِيْثَ وَبِيْشَةَ، ويعرفُ الآن باسم (ابن ابن) في منطقة إمارة عَسِير.

١٢ ــ حَفْل: أورد البكري في «معجم ما استعجم»: حفل موضع في ديار طيء قال حاتم:

أَيُّهَـا الْمُـوْعـدِيَّ إِنَّ لَـبُـوْنِـي بَيْنَ حَفْلٍ وَبَيْنَ هَضْبِ الرِّبَابِ

وقال نصيب:

ماجاوزت ناقتي حفلا ولا سلكت على المجاز ولا جازت بي الهدما

ويظهر أن هذا من الأسماء التي تصحفت على البكري وأنه بالقاف لا بالفاء، فحقل كما ذكرى الهجري من شعاب أجأ.

١٣ ــ الحفياء: هذا من المواضع التي يحسن تعريفها في «المعجم» لوروده في «السيرة النبوية» إذ أُجريت منه الخيل إلى ثنية الوداع، وورد الخبر في «السيرة» وفي كتب الحديث كالبخاري وغيره، وتقع الحفياء في سافلة المدينة بأدنى الغابة كما أوضح هذا السمهودي في «وفاء الوفاء» ـ ١٠٠ و ١١٩٢ ـ وحدد أن المسافة بينها وبين المدينة ستة أميال ـ وذالك قبل أن يتسع عمران المدينة الذي يوشك أن يكون قد بلغها الآن.

١٤ ــ الحفير ـ بضم الحاء: أورد ياقوت في «المعجم»: الحفير ماء بأجأ يقول فيه شاعرهم:

إن الحفـير مـاؤه زلال ابحـره تراوح الـرجـال

يعني تراوحهم في حفره

والحفير هذا من القرى المعروفة في منطقة حائل، تقع في الشمال الغربي منها على مسافة سبعين كيلاً بقرب (موقق) ـ (بقرب خط الطول: ١٥/٤١° وخط العرض: ٤٥/٢٧°).

حمد الجاسر

الشعـر والشعـراء
في «النوادر والتعليقات» للهجري
ـ ٦ ـ

٤٣ ـ جُشَمِـيٌّ (أحد بني جشم)

قال وأنشدَتْنِي أَمةُ الرحمنِ الحرمليَّةُ ، وأنشدنيها الْبُرَيْدِيُّ من جُشَمِ بن بَكْرٍ ، وقالَتْ: هي لِلْعَصَوِيِّ ، وقالَ البُرَيْدِيُّ : هي لإنْسانٍ جُشَمِيٍّ وهو القول[1]:

١ ـ أَمِنْ أُمِّ سَلْمٍ مَنْزِلٌ وَمُرَاحُ ... أَرَبَّتْ عَلَيْهِ دِيْمَةٌ وَرِيَاحُ
٢ ـ وَغَيَّرَ مَغْنَاهُ تَنَائِيْ أَنِيْسِهِ ... وَمُسْيٌ عَلَيْهِ دَائِمٌ وَصَبَاحُ
٣ ـ سِوَى أَنَّ مِنْهُ خُشْبَ خَيْمٍ كَأَنَّهُ ... بِعَلْيَاءَ بَيْنَ الْوَادِيَيْنِ رِمَاحُ
٤ ـ وَدَوْدَاةُ وِلْدَانٍ عَفَتْ وَتَقَادَمَتْ ... كَمَا دَرَسَتْ بَعْدَ الْبَيَانِ.. احِ
٥ ـ مَنَازِلُ أَخْلَتْ مِنْ سُلَيْمَى وَرُبَّمَا ... ثَوَتْ وَهْيَ غَيْدَاءُ الْقَوَامِ [رداح]
٦ ـ مَهَاةُ صِوَارٍ مِنْ عَنَاجِيْجِ عَامِرٍ ... لَهَا رَبْرَبٌ حُوْرُ الْعُيُونِ مِلَاحُ
٧ ـ يُبِحْنَ مِنَ الْجَلْدِ الْعَزُوْمِ عَنِ الصِّبَى ... حِمًى لَمْ يَكُنْ لِلْغَانِيَاتِ يُبَاحُ
٩ ـ بِلَا حُرُقٍ[2] مِنْهُنَّ حَتَّى يُقِدْنَهُ ... قَتِيْلًا وفي قَتْلِ الْبَرِيِّ جُنَاحُ
١٠ ـ أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَأَلَّقَتْ ... بَوَارِقُ فِيْ نَوْءٍ السَّمَاءِ لِيَاحُ
١١ ـ بَوَاكِرُ فِيْ نَوْءٍ كَأَنَّ وَمِيْضَهُ ... تَقَلُّبُ بُلْقٍ بَيْنَهُنَّ صِمَاحُ[3]
١٢ ـ رَكِبْنَ مِنَ (العَبْلاءِ) نَحْوَ مَفَازَةٍ ... وفِيهِنَ رُوَّادُ الْفَلَا وَطِمَاحُ
١٣ ـ تَرَى كلَّ مَوَّاجٍ يَمُوْجُ زِمَامُهُ ... لِأَنْيَابِهِ وَسْطَ الْجِمَالِ صُيَاحُ[4]
١٤ ـ يُبَارِي خِدَبًّا ذَا شَبَاةٍ كَأَنَّهُ ... مَنِيْحٌ بِأَيْدِيْ الْقَايِدِيْنَ مُنَاحُ
١٥ ـ إِذَا ضَمَّهُ أَيْدِيْ الْمُفِيْضِيْنَ ضَمَّةً ... تَكَشَّفَ عَنْهُ أَذْرُعٌ وَقِدَاحُ
١٦ ـ فَلَا وَصْلَ حَتَّى تَعْزِفَ الْعِيْسُ بَيْنَنَا ... بَسَابِسَ فِيْهَا مُغْتَدًى وَمَرَاحُ[5]

---

(١) : (٥٨هـ). (٢) قد تقرأ : (بلا عرق).
(٣) في الهامش: (صمح . . .) ثم لم يتضح مابعدها.
(٤) في الهامش: (ضم الصاد لغة قيس بن . .).
(٥) في الهامش : (قال أبو علي.. أراد نفسه..).

١٧ ـ بَسَابِسُ لِلظِّلْمَانِ مُعْتَرَكٌ بِهَا ... وَلِلْوَحْشِ أَبْكَارٌ بِهَا وَلِقَاحُ
١٨ ـ إِذَا هُنَّ لَمْ يَمْشِينَ إِلَّا تَرَسُّلاً ... تَنَهَّمَ فِي عَزْفٍ لَهُنَّ رَبَاحُ
١٩ ـ تَنَهَّمَ حَادٍ صَيِّتٌ فَتَقَاذَفَتْ ... قَرَاقِرُ يَقْذِفْنَ الْهَدِيرَ فِصَاحُ
٢٠ ـ وَتَشْكُو[٦] أَتِيًّا كُلَّ أَدْمَاءَ حُرَّةٍ ... بِهَا مِنْ بَقَايَا النِّسْعَتَيْنِ وِشَاحُ
٢١ ـ بُوَيْزِلُ عَامٍ أَوْ سَدِيْسٌ أَطَارَهَا ... مَعَ السِّنِّ نِيٌّ تَامِكٌ وَلَقَاحُ[٧]
٢٢ ـ بِأَسْفَلِ (ذِي رَيْطٍ) كَأَنَّ حُمُولَهُمْ ... جَوَامِحُ فِي مَجْرَاتِهِنَّ طِمَاحُ[٨]
٢٣ ـ وَقَدْ عَلِمَ الشَّعْبُ الْمَغَاوِيْرُ أَنَّنِي ... لِقَيْسٍ سِنَانٌ ثَابِتٌ وَجَنَاحُ
٢٤ ـ وَأَنَّ خَلِيْلِيْ مِنْهُمُ كُلُّ شَيْظَمٍ ... يَظَلُّ لِفَعْلَاتِ النَّدَى وَيَرَاحُ

٤٤ ـ الجعالي المزني

وأنشدني للجعالي من مُزَيْنَةَ يقولُها في الشِّعْرِيّ مُزَنِيٌّ ، وربطَتْهُ امرأَتُهُ ليلةَ دخل بها ، فقال[١]:

١ ـ أَشْكُو إِلَى اللهِ أَخْبَاراً تُؤَرِّقُنِيْ ... بِأَنَّ حَنْظَلَةَ الشِّعْرِيِّ مَوْتُورُ
٢ ـ مَافَارَقْتُهُ بِفَضْلِ النِّسْعِ تَحْزِمُهُ ... حَتَّى رَمَى بِأُخَيِّ الْبَوْلِ مَسْطُوْرُ
٣ ـ بَاتَتْ قَوَابِلُهُ سُوْداً مُزَرْفَلَةً ... كَأَنَّ دَنَّتَهَا نَقْرٌ بِطُنْبُوْرِ
٤ ـ يَا أَمَةَ اللهِ أَدِّيْ حَقَّ صَاحِبِنَا ... فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّسْلِيْحِ مَغْفُوْر
٥ ـ يَا بِنْتَ قَيْسٍ جَزَاكِ اللهُ عَارِفَةً ... هَلَّا صَبَرْتِ وَغِبُّ الصَّبْرِ مَشْكُوْرُ

٤٥ ـ الجعدي الفاتك

الْجَعْدِيُّ الْفَاتِكُ ، وطلبه الْحَجَّاجُ ، فقال[١]:

١ ـ أُرَوِّعُ بِالْحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يُحَرِّكُ عَظْمٌ فِي الْفُؤَادِ مَهِيْضُ

---

(٦) في الأصل (وتشكوا تيًا).
(٧) في الهامش: (تفتح اللام من لقاح). (٨) في الهامش: (يعني السمن)
(١) (٢٤٠هـ)، وقبيلة مزينة من أشهر القبائل المضرية المعروفة إلى هذا العهد حيث تقيم فروع منها في بلادها القديمة بقرب المدينة، ومنهم بطون اندمجت في قبيلة بني سالم من حرب. أما جعال وشعر فلم أعرف هذين الفرعين في مُزَينة، وقد يكونان معروفين.
(١) (٩٣م)، وبنو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر من هوازن ، وبلادهم منطقة الأفلاج في جنوب اليمامة، فصل منازلهم الأصفهاني في كتاب «بلاد العرب» والهمداني في «صفة الجزيرة» ولا أعرف شيئاً عن الجعدي =

٢ ـ وَدُوْنَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ يَنَالَنِيْ مَسَافُ لِأَيْدِيْ النَّاعِجَاتِ عَرِيْضُ
٣ ـ عَرِيْضٌ بِهِ رُبْدُ النَّعَامِ أَوَابِداً لَهُنَّ أَدَاحِيٌّ بِهِ وَمَبِيْضُ

٤٦ ــ بعض بنو جعدة (جعدي)

وأَنْشَدَني أبو المِعْضَادِ الْحَرَشِيُّ لبعض بني جعدة ، ورواها غيره لبعض بني مِرْدَاسٍ سُلَيْمٍ[1] :

١ ـ وَلَا نَبْكِيْ عَلَى بَطَلٍ أَتَاهُ حِمَامُ الْمَوْتِ لَمْ يَهْلِكْ ذَمِيْمَا
٢ ـ يُخَلِّفُ بَعْدَهُ إِمَّا أَخَاهُ وَإِمَّا ابْنًا لَهُ يَحْمِي الْحَرِيمَا
٣ ـ وَلَا نَشْكُو الْكُلُوْمَ إِذَا كُلِمْنَا وَلَا نُلْفَى لِصَاحِبِنَا وُجُوْمَا

وهي المصاب والصابَة ـ بتخفيف الباء من الصابة ـ وفي رواية أبي المعضاد في البيت الثاني يكون مكانه :

إِمَّا أَخُوْهُ وَإِمَّا ابْنٌ لَهُ يَحْمِي الْحَرِيْمَا

٤٧ ــ جَعْدِيٌّ

ولغيره، قَال[1] أبو علي: هي لبعض الْجَعْدِيِّيْنَ ، ولا أَعرفُ قائلها :

١ ـ لَا تَأْسَفَنَّ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى فَانٍ وَإِنْ تَذَكَّرْتَ مِنْهَا طِيْبَ أَفْنَانِ
٢ ـ فَإِنَّهَا مِثْلُ فَيْءِ الظِّلِّ زَايِلَةٌ عَنْ أَهْلِهَا وغُرُوْرٌ ذَاتُ أَلْوَانِ
٣ ـ غَرَّاءُ مُقْبِلَةٌ فَرْعَاءُ مُدْبِرَةٌ ضَبَّاثَةٌ بِفُؤَادِ الْمُشْفِقِ الـ .[2].

= الفاتك المعاصر للحجاج، ولكن صاحب «الأغاني» أورد الأبيات باختلاف يسير في بعض كلماتها منسوبة إلى العديل بن الفرخ العجلي في قصة ذكرها في ترجمته «الأغاني»: ٢٢/٣٧١ ومابعدها ، وأشار إليها ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: ١/٤١٣ ـ طبع دار المعارف ، والمبرد في «الكامل»: ٢/٩٩ ـ طبعة دار نهضة مصر .
ولولا أن الشعر واحد لأمكن القول بتكرر الأمر مع الحجاج ، أفترى أبا علي الهجري كان واهماً بنسبتها لجعديّ وإنْ لَمْ يَهِمْ فَمَنْ هُوَ هٰذَا الجعديُّ الفاتِك ؟

(١) (٤٧١م): وأبو المعضاد ممن روى عنه الهجري اللغة ـ انظر (٣٦٣م) ـ والحرشي نسبة إلى الْحَرِيْش (معاوية) بن كعب بن ربيعة ، وهم إخوة جعدة .
(٢) في الأصل (يشكو. . . يلقى).
(١) (١٧٤هـ): بعد إيراد قصيدة لابن الطثرية : (ولغيره ، قال أبو علي هي) الخ .
(٢) قد يتممه: (الحاني).

٤ ـ كَمْ صَبَّحَتْنَا بِهِ مِنْ رُزْءِ قَارِعَةٍ مِنْ إِخْوَةٍ وَبَنِي عَمٍّ و. . . . .[٣]

٤٨ ــ جعفر بن الربيع الْعَبِيْدِي

جعفر بن الربيع من عَبِيْدَةِ قُشَيْرٍ، يقولها للمُنْتَفِقِي[١]:

١ ـ انْهُوْا بَنِي شَافِعٍ عَنْ ضَرْبِ ضَيْفِهِم إِنَّ الْقِرَى فِيْهِمُ إِحْدَى الـرَّزِيَّاتِ
٢ ـ وَكَلْبُهُمْ عَنْقَشٌ يَعْدُوْ بِمُنْصِلِهِ يُطَرِّدُ الضَّيْفَ عَنْهُمْ بِالْعَشِيَّاتِ
٣ ـ إِنَّ الْبِغَالَ إِذَا أَجْدَتْهَا عَلَفاً شَابَهْنَ حَتَّى تَقُوْلَ الْأَعْوَجِيَّاتِ
٤ ـ لَا يَسْتَوِيْ سَابِقٌ فِيْ بَيْتِ مَكْرُمَةٍ وَأَبْغُلٌ فِيْ رِبَاطٍ نَخْوَرِيَّاتِ[٢]
٥ ـ هُرْدَانُ أَكْرَمُ مِنْ عَوْنٍ إِذَا نَزَلَتْ أَضْيَافُ لَيْلٍ وَأَنْدَى[٣] بِالتَّحِيَّاتِ

٤٩ ــ جعفر بن عبدالله الجبهي

قال الْبُلْبَيْسِيّ[١]: في الْأَزْدِ جعفرُ بن عبدالله بن جَبهة الأوس، من الْحَجْر بن الْهنو بن الأزد، من السراة، ذكر له الهجريُّ شعراً.

---

(٣) كلمة لم تتضح في التصوير وقد تكون (أخدان) وبعدها تنقطع القصيدة بانتهاء الصفحة وتليها صفحة لا صلة لها بها تتعلق بنسب هذيل.

(١) (١٤٥م): جَعْفَرُ هذا من بني عَبِيْدَة ـ بفَتْحِ الْعَيْنِ ـ من بني معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة والمنتفقيُّ منسوب إلى المنتفق بن عامر بن عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعة، ولعل لشعر جَعْفَرٍ صلة لما حدث بَيْنَ ابن عَمِّهِ هُرْدَان بن الْوَازع وبَيْنَ رِزَام بن قُشَيْرٍ من مُهَاجَاةٍ بسبب الخلاف على خطبة امرأةٍ، وسيأتي شعرهما في محله، ويظهر أن الثلاثة كانوا في عصرٍ قريب من عصر الهجريّ، وَدَعْكَ من قَوْلِ أحدهم ـ فيما لَفَّقَ عن «شعراء قشير» ج ١ ص ٣١٧ ـ: جعفر بن الربيع. . . شاعر جاهلي مُقِلٌّ ـ ثم الإحالة إلى كتاب الهجري في هذا الموضع ـ دُوْنَ حياءٍ أو خجل !!

(٢) في الهامش: (صحيحات).

(٣) في الهامش: (أندى: أبعد صوتا) وهُرْدان بن الوازع عَبِيدي قشيري ورد له ذكر وشعر (١١٩/١٢٠م).

(١) «الأنساب» رسم (الجبهي)، ولم أر شعراً للجبهي هذا فيما وصل إليَّ من كِتاب الهجري، وجبهة ورد في مخطوطة «النوادر» ـ ٣٥٧هـ: جبيهة الـحَجْر ـ قال: وتمثل السَّرَوِيُّ من جَبِيهة الْحَجْر من بني الْهُنْوِ بن الْأَسْد:

لَا أُحْسِنُ الْبَيْعَ إِلَّا أَنَّنِي رَجُلٌ مَتَى أَجِدْ حَاجَتِيْ أَشْرِيْ بِمَا أَجِدُ

وَذَكَرَ جَبِيْهَةَ أيضاً الهمدانيُّ في «صفة الجزيرة» ـ ٢٦٢ ـ: ووادي ساقَيْنِ إلى تهامة ساكنه من الْحَجْر جبيهةُ الْحَجْر.

واسمُ جَبيهة لايزال معروفاً والجيم تنطق بالفتح، والاسم يطلق على فرع من فروع بَلْحَارث من رجال الْحَجْرِ، ويسكنون أربع قرى تقع على مرتفعات وادي الدَّهْنَاء الذي يسيل في وادي تَنُوْمَةَ، وبلادها تحادُّ بلادَ بني الْأَسْمَرِ، غَرْبَ شمالِ بِلَادِ عَسِير.

٥٠ ــ جَعْفَرُ بن عُلْبَة الحارثي

جعفر بن عُلْبَةَ الحارثي في يوم سَحْبَلٍ[١]:

١ ـ يَقُـوْلُ الْعُقَيْلِيُّـونَ إِذْ لَحِقُـوا بِنَـا ... سَتَـرْجِعُ مَقْـرُوْناً بِـإِحْدَى الـرَّوَاحِـلِ
٢ ـ وَقَـدْ خَيَّـرُوْنَـا بَـيْنَ ثِنْتَـيْنِ مِنْهُمُ ... صُدُوْرِ الْعَوَالِي أَو جِذَابِ السَّلَاسِلِ
٣ ـ فَقُلْنَا لَهُمْ: ذَاكُمْ إِذَا بَعْدَ صَكَّةٍ ... تَـرَى الْقَـوْمَ فِيْهَـا نَهْضُهُمْ مُتَخَـاذِلِ
٤ ـ وَلَـمْ نَدْرِ لَوْ ضِجْنَا لِتَبْقَى نُفُوْسُنَا ... مَدَى الْعُمْرِ بَـاقٍ وَالْـمَدَى مُتَـطَاوِلِ

ضِجْنَا : ضاد معجمة مجرورة ، ضاج : يضيح ويَضُوج ـ لغةً ، إِلَّا أَنَّ الكسرة أفصح ، ومثلها جاض : يجيض ، وروى النَّهْدِيُّ : عن الموت ضوجة ، وضُجْنَا ـ بضم الضاد ـ من ضاج يضوج ، وضاج يضيج وهي أفصح .

٥ ـ لَكُمْ صَدْرُ سَيْفِـيْ يَوْمَ أَسْفَلِ (سَحْبَلٍ) ... وَلِـيْ مِنْـهُ مَـاضَمَّتْ عَلَيْـهِ الْأَنَـامِـلُ
٦ ـ إِذَا الْقَوْمُ سَدُّوا مَأْذِقاً فَرَّجَتْ لَنَا ... بِـامَـانِنَـا بِيْضٌ جَلَتْهَـا الصَّيَـاقِـلُ[٢]

وله أيضاً[٣]:

١ ـ يَضِـجُّ الْعُقَيْلِيُّـوْنَ تَحْتَ سُيُـوفِنَـا ... ضَجِيْـجَ دَبَارَى النِّيْبِ لَاقَتْ مُـدَاوِيَا
٢ ـ كَـأَنَّ الْعُقَيْلِيِّـيْنَ حِـيْنَ لَقِيْتُهُـمْ ... فِـرَاخُ الْقَـطَا لَاقَـيْنَ أَجْـدَلَ بَـازِيَـا

الجلحي : (كعب بن مشهور)

---

(١) (١٥٧م): جعفر بن علبة هذا من بني الحارث بن كعب الذين لاتزال بقيتهم في بلاد نجران ، وقد حالفوا مذحج (قحطان الآن) فاندمجت فروع منهم في هذه القبيلة ، وجعفر قتل سنة ١٤٥هـ بمكة . قُودًا برجل من بني عقيل كان قتله ، وكان بين بني الحارث وبين بني عقيل الذين يجاورنهم في البلاد في عقيق بني عقيل (وادي الدواسر) وماحوله مغاورات ومصاولات ، ومنها يوم سَحْبَلٍ الوارد في شعر جعفر ، ويذكر ياقوت أن سَحْبَلَ واد في ديار بني الحارث بن كعب ، وأورد قصة تدل على ذالك . والأبيات الأربعة التي أوردها الهجري وردت في «الأغاني» ـ ١٣/ ٤٧ ـ ط. الثقافة في قصيدة في ثلاثة عشر بيتاً تتفق معها في القافية والوزن والمعنى ، يحسن الرجوع إليها

(٢) كذا (مأذقاً) والمعروف (مَأْزِقاً) بالزاي (بامانا) كذا وردت في الأصل ولعلها لغة يراد بها: (بأيماننا).

(٣) (١٥٨م) .

٥١ ــ جميع بن مرزوق

ولجميع بن مرزُوق[١]، حاتميٌّ من قيس بن جُوْثَةَ ، وباعتْ فِتْيَانٌ منهم خَيْلاً من نَبْهَان طَيِّءٍ :

١ ـ إِنِّـيْ عَجِبْتُ وَغَيْرِيْ قَدْ يَرَى عَجَباً ... وَفِـيْ الـزَّمَان وَفِيْ الـدُّنْيَـا أَعَـاجِيْبُ
٢ ـ فِتْيَـانُنَـا بَيَّعُـوْا بِـالنَّقْـدِ خَيْلَهُمُ ... وَأَثْـمَنُـوْهُـمْ بِهَـا قَـوْمٌ مَنَـاجِيْـبُ
٣ ـ يَـاحَـيَّ نَبْهَـانَ أَبْقَى الله عِـزَّكُمُ ... رُوْحُـوا إِلَيْنَا عَلَيْهَـا سَاعَـةَ الذِّيْبِ[٢]
٤ ـ أَوْ غَارَةٍ فِي فُرُوْعِ الصُّبْحِ تُعْجِلُنَا ... مَحْضَ الْأَسَـاقِـيْ وَإِخْـلَاصَ الْأَذَاوِيْبِ
٥ ـ حَتَّى يَرَوْا كُلَّ مَاقَدْ كُنْتُ أُخْبِرُهُمْ ... إِذَا دَعَـا صَـارِخٌ بِـالْغَـوْثِ مَكْـرُوْبِ

٥٢ ــ جميل بن مَعْمَرٍ الْعُذْرِيُّ

قال أبو علي هارون بن زكريا الهجريُّ : أنشدني أبو سليمان الْهُذَلِـيُّ وأَبُو عَمْرٍو الزُّهَيْرِيُّ زُهَيْر نَهْدٍ لجميل[١]:

١ ـ وَلَـمَّا أَجَـدَّ الحيُّ بَيْنـاً وَلَمْ يَكُنْ ... دَرَى أَحَـدٌ مِنْ بَـيْنِ بَثْنَـةَ فَـاجِـعُ
٢ ـ أَبَتْ مُقْلَتِـيْ كِتْمَانَ مَابِـيْ وَبَيَّنَتْ ... مَكَانَ الَّذِيْ أُخْفِـيْ وَفَـاضَ الْمَدَامِـعُ
٣ ـ غَـدَاةَ لِقَيْنَاهَـا عَلَى غَـيْرِ مَـوْعِـدٍ ... بِـأَسْفَلِ (خَيْمٍ) والْـمـطِيُّ خَـوَاضِـعُ
٤ ـ فَرَاجَعَهَا الْقَوْمُ الصِّحَاحُ صُدُوْرُهُمْ ... وَأَعْـرَضْتُ مِنْ وَجْدٍ بِهَـا لَا أُرَاجِعُ

---

(١) (٢٧٠هـ). جُوثة ورد ذكره في سياق نسب أحد بني البغثاء من جوثة من حزن بن عبادة (٧٦م) وعبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ـ من قيس عيلان ـ.

(٢) (في الهامش: عند غروب الشمس).

(١) هذا هو أول المخطوطة الهندية ، وجَميل بن مَعْمَرٍ الْعُذْرِيّ المتوفى سنة ٨٢هـ من بني عُذْرَة القبيلة القضاعية التي انتشرت فروعها في شمال الحجاز من بلاد ينبع وما حولها شمالاً حيث استقر من الفروع القضاعية جُهَيْنَة ثم بَلِيّ ثم بنو عدرة قوم جميل هذا ، ثم بنو القين ثم بنو كلب ، الذين انساحوا في الشام وفي السماوة بينها وبين العراق إلى سواد العراق ، ولاتزال بعض هذه البطون كَجُهَيْنَة وبَلِيٍّ في مواطنها القديمة من ينبع إلى مايقرب من بلاد مَقْنَا والمويلح وتلك النواحي .
وشعر جَميلٍ جُمِعَ مراراً ، ولعل أوفاه ماجمعه الدكتور حسين نصار ، فقد رجع فيه إلى كتاب الهجري ولكن فاته بعض مافي هذا الكتاب مما سترد الإشارة إليه

(٢) في الأصل: (ليقتلني).

٥ ـ وَأَوْمَتْ بِجَفْنِ الْعَيْنِ وَاحْتَارَ دَمْعُهَا ... لِيَقْتُلَنِي مَمْلُوحَةُ الدَّلِّ مَانِعُ
٦ ـ كَمَتْ دَمْعَهَا عَيْنُ الصَّحِيحِ وَبَيَّنَتْ ... مَكَانَ ذَوِيْ الشَّوْقِ الْعُيُوْنِ الدَّوَامِعُ
٧ ـ وَرَقْرَقْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ ثُمَّ مَلَكْتُهُ ... مَجَالَ الْقَذَى فَالدَّمْعُ فِيْ الْجَفْنِ ناقِعُ
٨ ـ أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ زَائِراً ... بُثَيْنَةَ إِلَّا أُصْغِيَتْ لِيَ الْمَسَامِعُ
٩ ـ وَإِلَّا عَدَانِيْ دُوْنَ بَثْنَةَ أَعْيُنٌ ... حِدَادٌ وَلَامَتْهَا النِّسَاءُ الْهَلَامِعُ

قال وأنشدني الحسنُ بن عارمٍ الرُّوَيْنِي هَلَالِيٌّ ، وَحِرْمِزَةُ التَّمِيميُّ ، والدَّعْدِيَّةُ لجميل[٣] أيضاً :

١ ـ . . . نِي الشَّوْقَ فَالْعَيْنُ اللَّجُوْجُ سَجُومُ ... دِيَارٌ بِـ(عَبْلَاءِ) الرُّبَا فَرُسُومُ
٢ ـ عَفَاهَا الْبِلَى بَعْدَ الْأَنِيْسِ وَضَافَهَا ... مَعَ اللَّيْلِ وَكَّافُ الرِّوَاقِ هَزِيْمُ
٣ ـ مَنَازِلُ لَوْ كَلَّمْتُهَا مَاتَكَلَّمَتْ ... دَوَارِسُ، أَدْنَى عَهْدِهِنَّ قَدِيْمُ
٤ ـ لَيَالِيَنَا إِذْ نَحْنُ نَسْتَأْنِفُ الْهَوَى ... بِنَا وَالْأَعَادِي وَالْوُشَاة كُظُوْمُ
٥ ـ وَنَلْهُوْ بِحُلْوِ الْوَعْدِ مِنْهَا كَمَاهَا ... غَرِيْرٌ بِأَيَّامِ الرَّضَاعِ فَطِيْمُ
٦ ـ أَمَا وَالْهَدَايَا وَالَّذِيْ كَبَّرَتْ لَهُ ... قُرَيْشٌ وَأَعْنَاقُ الْمَطِيِّ تَسُومُ
٧ ـ يُنَازِعْنَ خَشَّاتِ الْبُرَى كُلَّ مُحْرِمٍ ... مُهِلٍّ يُصَلِّيْ تَارَةً وَيَصُوْمْ
٨ ـ لَقَدْ كَذَبَ الْوُشَيَّ[٤] الَّذِيْنَ تَخَبَّرُوا ... لَهُمْ كُلَّمَا جِئْنَا إِلَيْكِ نَمِيْمُ
٩ ـ أَتَوْهَا بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ ... وَكُلُّهُمُ حَوْفٌ[٥] عَلِيَّ ظَلُوْمُ
١٠ ـ بِقَوْلٍ جُزِيْتُ النَّارَ إِنْ كُنْتَ قُلْتُهُ ... وَكُلُّ جَزَاءِ الظَّالِمِيْنَ أَلِيْمُ
١١ ـ لَكِ الْخَيْرُ هَلْ لَاعُجْتِ حتَّى تَفَهَّمِي ... وذُو اللُّبِّ فِيْ كُلِّ الْأُمُورِ فَهِيْمُ
١٢ ـ فَتَسْتَيْقِنِي أَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ خَلَائِقِي ... وَذَالِكَ أَمْرٌ يَابُثَيْنَ عَظِيْمُ
١٣ ـ أَنَ[٦] اكْتُمُ مَابِيْ مِنْكَ ثُمَّ أُبِيْنُهُ ... رُوَاةَ الْخَفَا إِنِّيْ إِذًا لَلَئِيْمُ
١٤ ـ عَجِبْتُ بِتَكْلِافِي بِكُمْ وَصَبَابَتِي ... على حِيْنَ[٧] قَالَ الناسُ أَنْتَ حَلِيْمُ
١٥ ـ وَتَعْزِيَتِيْ بِالصَّبْرِ قَلْباً كَأَنَّمَا ... لَهُ بَيْنَ عُلْوِيِّ الْأَرَاكِ حَمِيْمُ

(٣) (٣هـ): (الرويني) كذا في الأصل ولعل الصواب (الرويبي) بالباء، ولم تتضح الكلمة التي في أول بيت.
(٤) قرأها الدكتور نصار (الواشي).
(٥) حوف: ـ بالواو كذا في المخطوطة وقرأها الدكتور نصار (حرف) وفسر الحرف: (مبغضون لي).
(٦) قرأها الدكتور نصار (أأكتم).
(٧) في الهامش: (حين: إذا جاءت الأسماءُ بعدها كُسِرَتْ ، وإذا جاءتِ الأفعال فُتِحَتْ).

١٦ ـ وَمَا مَرَّ عَصْرٌ مِنْكَ شَطَّتْ بِكِ النَّوَى ... وَلَا مَرَّ حَوْلٌ يَابُثَيْنَ سَلِيْم

١٧ ـ وَلَا لَيْلَةٌ يَابَثْنَ إِلَّا يَعُوْدُنِيْ ... عَلَى مَابِقَلْبِيْ مِنْ هَوَاكِ هُمُوْمُ

١٨ ـ وَأَذْكُرُ مِنْكَ النَّأْيَ وَالْهَجْرَ بَعْدَمَا ... تَغَوَّرَ نَجْمٌ واسْتَقَلَّ نُجُوْمُ

١٩ ـ فَتَنْهَلَّ عَيْنٌ بِالدُّمُوْعِ غَزِيْرَةٌ ... لَهَا بَعْدَ نَوْمِ النَّائِمِيْنَ سُجُوْمُ

٢٠ ـ وَلَا نَلْتَقِيْ إِلَّا لِمَاماً عَلَى عُدًى ... عِدَادَ الثُّرَيَّا وَقْعَةً فَنَقُوْمُ

٢١ ـ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ فَالْحَوْلُ وَقْتُنَا ... وَذَالِكَ عَهْدٌ يَابُثَيْنَ قَدِيْمُ

٢٢ ـ وَإِنَّ زَمَاناً يَابُثَيْنَ أَزَالَكُمْ ... وَجَلَّاكِ[٨] عَنْ أَوْطَانِنَا لَمَشُوْمُ

٢٣ ـ وَلَيْتَ زَمَاناً مَرَّ يَابْثَنَ وَانْقَضَى ... تَعُوْدُ لَنَا لَذَّاتُهُ وَتَدُوْمُ

جميل من كلمة له[٩]:

١ ـ عَدَلْنَ الْفَتَى حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَ الْفَتَى ... وَلِنَّ، وَعِيْدَانُ النُّضَارِ تَلِيْنُ

٢ ـ بُلِيْنَ بِأَزْوَاجِ الْغُرُوْرِ فَأَصْبَحَتْ ... نَوَادِمَ، لَا تَرْقَى لَهُنَّ عُيُوْنُ

٣ ـ عَلَيْهِنَّ مِنْ جِلِّ الْحَيَاءِ غِطَايَةٌ[١٠] ... وَهُنَّ مُسِرَّاتُ الطِّمَاحِ سُكُوْنُ

٤ ـ بِشُبَّانِ أَنْذَالٍ كَأَنَّ بُيُوْتَهُمْ ... وَإِنْ قِيْلَ أَزْوَاجٌ لَهُنَّ سُجُوْنُ

٥ ـ يَهِيْجُ عَلَيَّ الشَّوْقَ بَعْدَ انْدِمَالِهِ ... حَمَائِمُ قَدْ مَالَتْ بِهِنَّ فُنُوْنُ

٦ ـ فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْوَالِهِ النَّازِعِ الَّذِيْ ... لَهُ كُلَّمَا مَدَّ الْحِلاةَ[١١] حَنِيْنُ

٧ ـ فَلَا الْقَيْدُ مُنْحَلٌّ فَيَلْحَقَ سِرْبَهُ ... وَلَا خَلَقٌ رَثُّ الْقُوَى فَيَلِيْنُ

٨ ـ فَيَا عَاذِلَاتِي إِنْ أَرَدْتُنَّ سَلْوَتِي ... _____[١٢]

٩ ـ فَأَهْدِيْنَ عَنِّيْ بِالْعَشِيِّ حَمَائِماً ... لَهُنَّ عَلَى خُضْرِ الْعِضَاهِ رَنِيْنُ

وقال : نُعْضَةُ وغُلَّزُ اللذان يذكرهما جميل في شعره بين نَخَلَى ومَطَران ،

---

(٨) قرأها الدكتور نصار (أزالكم) وأضاف بيتاً بعد هذا البيت نصه:

وإنَّ مليكاً فيكِ ألْوَى بِحُجَّة ... عليَّ وما خاصمته لَخَصُوْمُ

وليس هذا في كتاب الهجري .

(٩) (٤٠٧م). (١٠) كذا في الأصل وقرأها الدكتور نصار (غطاؤه).

(١١) (الحلاة): كذا في الأصل ويظهر أن الصواب (الحداة) كما قرأها الدكتور نصار .

(١٢) بياض في الأصل .

وَادِيَانِ[١٣] وأنشد لجميل[١٤]:

١ ـ وهل يَرْسِمَنَّ النِّضْوُ بِيْ بَيْنَ غُلَّزٍ ... وَنُعْضَةَ وَهْناً وَالْعُيُونُ رُقُودُ
٢ ـ عَلَى مَتْنَ عَادِيٍّ كَأَنَّ الصُّوَى بِهِ ... رِجَالٌ (...)[١٥] الصَّلاَةَ قُعُودُ

ونَخَلَى : مقصور مذكر .

وأنشدني لجميل[١٦]:

١ ـ فَلَمَّا طَلَعْنَ ذَا الْغُلاَلَةِ وانْتَحَتْ ... بِهِنَّ الْحُدَاةُ فِيْ خَوِيٍّ لَهُ سَهْلُ[١٧]
٢ ـ وَلَمَّا بَدَا هَضْبُ الْمِحَزِّ وأَعْرَضَتْ ... شَمَارِيْخُ مِنْ شَرْعَانَ يَرْدَى بِهِ النَّحْلُ

الْمِحَزُّ : وادٍ يَفْلِقُ بَيْنَ الصَّمْدِ والصُّوَّان[١٨]، وشرعان : جبل أحمر .

من كلمة جميل[١٩]:

١ ـ وَلَيْتَ الرِّيَاحَ الْهُوْجَ فِيْ ذَاتِ بَيْنِنَا ... بِمَا لاَ تَبُثُّ الْكَاشِحِيْنَ بَرِيْدُ
٢ ـ فَتَأْتِيَكُمْ مِنَّا جَنُوْبٌ مُطِلَّةٌ ... وَتَأْتِيَنَا هَيْفُ الْعَشِيِّ بَرُوْدُ
٣ ـ يَمَانِيَةٌ تُزْجِي أَغَنَّ مُهَلْهِلاً ... كَأَنَّ النَّعَامَ الرُّمْدَ فِيْهِ يَرُوْدُ
٤ ـ تُزَجِّيْهِ لاَنَكْبَاءُ وَانٍ هَبُوْبُهَا ... وَلاَ سَفَوَانٌ لِلسَّحَابِ طَرُوْدُ

جميل[٢٠]:

١ ـ قَالَتْ بُثَيْنَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ... سُبْحَانَ رَبِّ الْعُلَى مَاكَانَ أَوْحَاكَا
٢ ـ وَعَدْتَنَا أَتْيَةً فِي خَلْوَةٍ عَجِلاً ... فَمَا انْقَضَى يَوْمُنَا حَتَّى رَأَيْنَاكَا

---

(١٣) نُعْضَةُ وغُلَّزُ لايزالان معروفين ، فنعضة اسم جبل واقع على شفير وادي مَطرَان ، في الشمال العربي من غُلَّز بنحو خمسة أكيال تقريباً ، وغُلَّزُ جبل يشاهد من هِجْرة مُغَيْرَاء الواقعة جنوب مدينة الْعُلاَ بنحو عشرين كيلاً في الجنوب الشرقي من مغيراء بنحو خمسة عشر كيلاً ، وهو في وادي مَطرَان الواقع جنوب وادي نَخَلا ـ انظر مجلة «العرب» ١٣٢/١٩ ـ.

(١٤) (٤٢٨م) لم ترد في شعر جميل الذي جمعه الدكتور حسين نصار .

(١٥) قد تكون: (يُؤَذُّون). (١٦) (٢٢١م) ليست في الديوان .

(١٧) في الهامش: (قرن بالصمد أَحْمَر بن الصَّمْدِ والْحِجْر) .

(١٨) على أن الْمِحَزَّ يطلق الآن على جبل يقع شرق مدينة العلا لايزال معروفاً ، ولعل الوادي كانت فروعه تنحدر من هذا الجبل فتفصل بين الصَّمْد ـ صَمْدِ بني عُذْرَة ـ وبين منطقة الصَّوَّان التي لاتزال معروفة

(١٩) ٣٧٦م ليست في الديوان. (٢٠) ٤٠٢م.

٣ ـ إِنْ كُنْتَ ذَا عَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا مَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا خُلَّةٍ غَيْرِيْ عَـذَرْنَـاكَـا
٤ ـ فَقُلْتُ: بَلْ مَرَضٌ قَدْ كَادَ يُذْهِبُنِـيْ فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: بَيِّنٌ ذَاكَا[٢١]
٥ ـ إِنْ كُنْتَ ذَا مَرَضٍ يَزْدَادُ صَاحِبُهُ حُسْناً فَيَالَيْتَ بِـيْ أَضْعَافَ شَكْوَاكَـا

وأنشدني الأزرقيّ لجميل[٢٢]:

وَزَفَّ السَّوَارِي حُبَّ بَثْنَةَ مَـوْهِنـاً إِلَـيَّ كَـمَا زُفَّتْ إِلَى الْغَرَضِ النَّبْـلُ

السواري : الأحلام ، سواري الليل .

سُـحَـيراً وأَعْـنَـاقُ الْمَـطِيِّ كَـأَنَّهَا مَدَافِعُ ثُعْبَانٍ[٢٣] أَضَرَّ بِهَا[٢٤] الْوَبْلُ

قال جميل واتَّهَمَ بعضَ علائقه بعبْدٍ[٢٥]:

١ ـ كَـأَنَّ سَوَادَ الْعَبْـدِ فَوْقَ بَيَـاضِهَـا تَكَشُّفُ جلْبٍ عَنْ بَيَـاضِ صَبِيْرِ[٢٦]
٢ ـ وَإِنَّ سَـوَاداً طَـارِقـاً كُـلَّ لَيْلَةٍ يُـبَـاشِرُ جِـلْداً أَبْـيَـضـاً لَـعُـرُوْرُ

وأنشدَني لِـجَمِيْل[٢٧]:

١ ـ فَـأَوَّلُ مَـاسَـنَّ الْـمَـوَدَّةَ بَيْـنَنَـا بِـأَسْفَلِ (ذِيْ ضَـالٍ) بُثَيْنَ سِبَابُ
٢ ـ فَقُلْتُ كَـلَامـاً ثُمَّ قُلْتُ جَـوَابَـهُ لِـكُـلِّ كَـلَامٍ يَـابُـثَـيْنَ جَـوَابُ

وكان مَعْمَرٌ قال : لايَدْخُلَنَّ على أُمِّي أَحَدٌ ، وقد عَمِيَتْ ، فاستهمتْ بُثَيْنَة وليلَى أيُّهُما يطلب الأجر (؟) في خدمتها ، فدخلت بثينة فرآها جميلٌ فَسَبَّها لدخولها على جَدَّتِهِ ، وقد نهى أَبُوهُ ، فردَّتْ عليه وعَلِقَهَا يومئذ حين رآها .

وله[٢٨]:

---

(٢١) غيرها الدكتور نصار : قالت لِي أبِنْ. قائلاً: إنَّ كلمة (بَيِّنٌ) لا يستقيم الوزن بها وكأنه قرأه فعل أمرٍ : (بَيِّنْ) وهو اسم منون (بَيِّنٌ).
(٢٢) (٣٦٤هـ).
(٢٣) فوق حرف الثاء من كلمة (ثعبان) ضمة وفتحة وإشارة (معا).
(٢٤) قرأها الدكتور نصار (أَضَرَّ بِهِ). (٢٥) (٣٦٩هـ).
(٢٦) في الهامش: (الجلب من السحاب الأسود).
(٢٧) (٤٢٩هـ) وآخر مذكور هو أبو كُلَيْبٍ عُمَرُ بن الأشهب من بني عامر بن ربيعة .
(٢٨) (٤٢٩هـ).

١ ـ فَمَا رَوْضَةٌ بِـ(الْحَزْنِ) جَادَ قَرَارَهَا نِجَاءُ مِنَ الْوَسْمِيِّ وَالدِّيَمُ الْهُطْلُ
٢ ـ بِهَا قُضُبُ الرَّيْحَانِ تَنْدَى وَحَنْوَةٌ وَمِنْ كُلِّ أَفْوَاهِ الْبُقُوْلِ بِهَا بَقْلُ[٢٩]
٣ ـ بِأَطْيَبَ مِنْ رَيَّا بُثَيْنَةَ مَوْهِناً أَلَا بَلْ لِرَيَّاهَا عَلَى الرَّوْضَةِ الْفَضْلُ
٤ ـ شَرِبْتُ بِرَيَّا مِنْ بُثَيْنَةَ شَرْبَةً مِنَ الْحُبِّ لَمْ يَشْرَبْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلُ
٥ ـ نُقَاعَةُ أَعْنَابٍ وَمِنْ مَاءِ مُزْنَةٍ بِأَعْلَى قَرَارِ الْهَضْبِ غَادَرَهَا الْوَبْلُ

جميل[٣٠]:

١ ـ أَرَى شَجَرَاتِ الدَّارِ خُضْراً وَلَا أَرَى سِوَى شَجَرَاتِ الدَّارِ شَيْئاً تَرَوَّحُ
٢ ـ أَمِنْ أَجْلِ أَنْ حَلَّتْ إِلَيْكُنَّ وَانْتَدَتْ بُثَيْنَةُ يَنْدَى غُصْنُكُنَّ الْمُلَوَّحُ

تَتَرَوَّحُ الْعِضَاهُ إِذَا انضَيْت مِن الْحَرِّ إِلَى أَولِ الشتاء في الحداد وكل عَضَهٍ تُعْبِلُ فلا يبقى لها ورق ، ثم يبدُو فَذَاك التَّرَوّح وهي الرَّيِّحَة وهو النَّشْرُ في غير العِضَاهُ ، والنشر وَبِيْء والرَّيِّحَةُ عيش الإبل بغور الحجاز ، وتسمن عليها .

٥٣ ـ جنـــــــــاح

بعد أن أورد الهجريُّ مقطوعة من شعر مُسَلَّمٍ بن عَسْكَرِ اللُّبَيْنِيّ ، ثم أحد بني حُبيب من بني قشير نصها :

١ ـ أيا بِنْتَ عَدَّاءٍ وَيَابِنْتَ عَمِّهَا لَقَاطِعَةٌ أَعْنَاقَنَا هَجْمَتَاهُمَا
٢ ـ هُمَا صُوْرَتَا قَوْمٍ دَفَعْنَا إِلَيْهِمَا فَلَا رَبِحَتْ كَفُّ الَّذِيْ بَاعَتَاهُمَا
٣ ـ أُسَيِّدُ كَالسِّنْدِيِّ بَادٍ عُيُوْبُهُ وَأَحْمَرُ كَالسُّوْقِيِّ لَا بِأَبَاهُمَا[١]

بعد إيراد ماتقدم أضاف : فأجابها جناح[٢]:

(٢٩) وقد أورد الهجري لعسكر بن فراس شعر ـ ٩٤م ـ جاء فيه :

كَدِعْصِى النَّقَا قد لَبَّدَ الْقَطْرُ مَتْنَهُ وَأَنْبَتَ أَفْوَاهَ الْبُقُوْلِ خَمَائِلُهُ

وقال : أفواه البقول : أَطْيَبها رائحةً ، وأحرارها : أنفعها .

(٣٠) (٤٦٦هـ) لم ترد في «ديوان جميل» الذي جمعه الدكتور حسين نصار

(١) في الأصل (لا بأناهما).

(٢) (٢٦٤م)، كذا. (فأجابها) ولم يتقدم من يرجع إليه الضمير ، كما لم يرد فيما اطلعت عليه من الكتاب شيء = عن جناح هذا سوى ورود اسم (جناح) عَرَضاً في قصيدة لنوال بن الثَّغَّاء ، ونوال هذا من بني حُبيب

١ ـ تَـذُمَّانِ مَحْضَ الْـوَالِدَيْنِ سَمَيْدَعـاً وَكَـهْـلاً إذَا جَـرَّيْـتُـمَـاهُ كَـفَـاكُـمَا
٢ ـ وَكَيْفَ تَـذُمَّـانِ الـرَّفِيْقَـيْنِ بَعْـدَمَـا تَسَلَّمَ[٣] مِنْ تِـرْسَيْكُمَا حَـرْبَتَـاهُمَـا

٥٤ ــ حاتِـمُ الطائـــيُّ

أنشدني[١] أَبُو الْـحَمْد ـ رجلٌ من بني حَسَنٍ ـ لحاتِـمِ طَيِّءٍ ، قال أبو علي : وأنشدنيها أبو القاسم طاهرُ بن يحيى الحسيني ، قال أَنْشَدَنِيها رَكَّاضٌ وَمَاوِيُّ ، وأَجْمَعُوْا أنها لحاتِـم :

١ ـ إذَا أَزَّرُوْا بِالشَّوْكِ أَعْجَازَ نَخْلِهِـمْ رَأَيْـتَ عِـذَاقِي بَيْـنَهَـا مَـاتُـؤَزَّرُ
٢ ـ فَمِنْ بَيِّنَاتِ اللُّؤْمِ أَحْظَارُ سِدْرَةٍ عَـلَى جِـذْعِهَـا يَحْمِيْنَهَـا لاَ تَـغَـيَّرُ
٣ ـ فَـلَسْتُ بِمُؤْنِيْـهِ وَأَضْـيَـافُ أَهْلِهِ غِـرَاثٌ إِلَى وَقْـتٍ يُجَـدُّ وَيُـتْـمِـرُ
٤ ـ وَلَـكِـنَّـنِي مِمَّـا أَقُـوْلُ وَإِنْ زَرَى عَـلَيَّ بِـذَاكَ الْـكَـاشِـحُ الْمُتَقَـفِّـرُ
٥ ـ كُلُوا مَابِهِ خُضْراً وَصُفْـراً وَيَانِعـاً هَنِيْئـاً وَخَـيْرُ النَّفْـعِ ذُوْ لاَ يُكَـدَّرُ
٦ ـ وَشُقِّـيْ عَلَيَّ الْـحَبِيْبَ إِنْ حِيْلَ بَيْنَكُمْ وَبَـيْنَ الَّـذِيْ فِيْـهِ نِـطَاقٌ مُحَـظَّرُ
٧ ـ ولاَ تَعْلَقِـي يَـا أُمَّ مُزْنَـةَ إِنْ أَتَى عَـلَيَّ الْأَوَاتِـيْ وَالْحَـوَادِثُ تُـقْصَرُ
٨ ـ شَـدِيْـدٌ مَصَرِّ الـدِّرْهَمَيْنِ كَـأَنَّمَا إِلَى كِـفِّـهِ وَالْعُـنْقِ غُـلٌّ مُسَـجَّـرُ
٩ ـ إِذَا فَـاتَـهُ مِنْ مَـالِـهِ رُبْـعُ دَانِقٍ رَأَيْـتَ عَـلَيْـهِ وَجْـهَـهُ يَتَـمَـعَّـرُ

= لُنَيْنِيٌّ قُشَيْرِيٌّ أيضاً ـ ورد في مقطوعة قالها وقد أجمعت عليهم بنو سَلَمة ودَهْر وبنو مُرَيِّح وبنو مالك وكل هاؤلاء من بني قشير (٦٢م) ورد في هذه المقطوعة :

وَنَـادَى جَـنَـاحٌ فِي أَذِلَّـةِ قَـوْمِـهِ كَجَمْعِ الثُّرَيَّـا مِنْ صِغَـارِ الْكَـوَاكِبِ

ويظهر أنَّ حرباً وقعت بين بطون قشير نفسِها ، وأن جناحاً هذا من القشيريين الذين حاربوا اللُّبَيْنِيِّيْنَ إخوتهم ، وأن بينه وبين شعرائهم مهاجاة كما يتضح من شعر جناح هذا

(٣) كذا (تسلم) ولعل الصواب (تثلم).

(١) (٢٥٤هـ) لعل أبا الحمد من بني حسن بن علي بن أبي طالب ، وهو ممن روى عنه الهجريُّ وطاهر هو ابن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . كان الهجري مؤدب أولاد طاهر ـ كما في مقدمة الكتاب الذي تقع هذه التراجم المتعلقة بالشعراء من أقسامه ، وطاهر توفي سنة ٣١٤ على ماذكر السخاوي في «التحفة اللطيفة» ٢/٢٥٧ ـ. وهذه القصيدة في «ديوان حاتم» ـ ٢٧٢ ـ الطبعة الأولى. تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، الذي قَدَّم للشعر بدراسة وافية عن حياة حاتِـم ، وأضاف إلى ماورد في ديوانه من الشعر ماعثر عليه في مصادر أخرى، منها نوادر الهجري التي نقل عنها هذه القصيدة

١٠ ـ دَقِيْقٌ إِلَى الشِّفِّ اللَّطِيْفِ كَأَنَّمَا أُقِيْدَ لَهُ فِي ذَالِكَ الشِّفِّ قَيْصَرُ
١١ ـ وَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَغْلِبُ الْبُخْلُ جُوْدَهُ وَيَعْتَرُّ يُسْرَى أَمْرِهِ الْمُتَعَسِّرُ
١٢ ـ وَلٰكِنَّمَا نَدْعُو الْفَتَى مَنْ نَوالُهُ هَنِيْءٌ وَمَنْ يَأْتِي بِهِ لَيْسَ يُنْزَرُ
١٣ ـ يُعِدُّ لِأَعْجَازِ الْأُمُوْرِ إِذَا أَتَتْ قِرَاهَا وَإِنْ شَقَّتْ عَلَيْهِ فَيَصْبِرُ
١٤ ـ قَذُوْفٌ عَلَى الْهَوْلِ الشَّدِيْدِ بِنَفْسِهِ إِذَا اعْتَنَّ مُغْبَرُّ التَّنَائِفِ أَزْوَرُ[1]

زيادة لحاتم[2]:

١ ـ دَعِيْنِيَ أَنْفَعْ فِي حَيَاتِي فَإِنَّنِيْ مَتَى مَا أَمُتْ لَاتَبْكِ نَابٌ وَلَا بَكْرُ

أنشدني[3] رحَّالُ بن بدْرٍ الدَّبَّابِيُّ ، لِرَجُلٍ منهم ، وتُرْوَى لِحَاتِمٍ :

١ ـ لَنَا بَيْتٌ تَهُبُّ الرِّيْحُ فِيْهِ كَأَنَّ شِقَاقَهُ رِيْشُ الْجَرَادِ
٢ ـ تَخَطَّاهُ الْعُيُوْنُ إِلَى بُيُوتٍ طِوَالِ السَّمْكِ حَالِكَةِ السَّوَادِ
٣ ـ وَفِي الْبَيتِ الَّذِيْ يَمْضُوْنَ عَنْهُ عَلَى الْعِلَّاتِ أَخْبَارٌ وَزَادِ[4]

٥٤ ــ حاتم بن مدرك الْحَبَشي

أَنشدني شيخ من جَبَلَةَ الْفُرَع لِأَبِيْ مُدْرِكٍ حَاتِمِ بْنِ مُدْرِكٍ الْحَبَشِيِّ ، من بني الحارِث ، سُلَمِيٌّ يردُّ على عبدِالله بن أَبِي صُبْحٍ الْمُزَنِي ـ وبينهما نقائِض[5]:

---

(١) هنا تنتهي الصفحة وتبدأ صفحة أخرى لا صلة لها بالأولى وقد يكون بقي من القصيدة شيء.

(٢) (١٠م). في ديوان الشاعر ـ ٢٠٩ ـ قصيدة في ١٨ بيتاً من بحر هذا البيت وقافيته ولكنه ليس فيها

(٣) (٢٣٩هـ). الدبَّابيُّ هذا أورد البلبيسيُّ فيما نقل في كتابه عن الرشاطي عن الهجري : دبَّاب في بني ربيعة بن زِعْب بن مالك بن خفاف ـ ورحَّال منهم ، فهو إِذَنْ سُلَمِيٌّ والشِّعر حسب روايته لواحد منهم ، ولكن الهجري أضاف : (يُروى لحاتم) ورحَّال من شيوخ الهجري روى عنه لغة وشعراً (١٩٢/١٩٣/١٩٥م).

(٤) في البيت إقواء .

(٥) (٤٥٥م): يظهر من معاصرة هذا الشاعر لابن أبي صُبْح أنه من أهل القرن الثاني الهجري ـ انظر عن ابن أبي صُبْح «العرب» س ٢٤ ص ٥٧٧ . وقد أورد له صاحب «اللسان» رسم (نهض) بيتاً يهجو أبا العيوف وأورد الزبير بن بكار في «جمهرة نسب قريش» ـ ١٠٨ ـ أنه جرى صلح بين عبدالله بن عَمْرو بن أبي صُبْح وبين حاتِم بن مدرك السلمي فقال حاتِم:

دعاني أبو عَمْرٍو إلى الله دعوةً أصاب بها مافي فؤادي وما يدري

وبيتين بعده وأضاف: ـ يريد الزُّبيرَ بنَ خُبَيْبِ بن ثابت بن عبدالله بن الزُّبَيْر ، وذكر أن الزبير هذا وفد على =

أَلَا أَيُّهَا الْغَادِيْ اتَّقِ اللهَ وَاحْتَمِلْ ... لَنَا حَاجَةً لَا تَسْتَبِيْنُ لَهَا ثِقْلَا
تُبَلِّغُ يَعْقُوبَ بْنَ يَحْيَى رِسَالَةً ... وَعَمْراً وشِبْلاً أُوْدِعُ اللهَ لِي شِبْلا
وَحَيَّ بَنِيْ لُقْمَانَ فَالْحَيُّ جِيْرَةٌ ... وَتَقْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنْ تَحِيَّتِنَا مِثْلَا
وَكُلُّ بَنِي عَيْشِ الْكِرَامِ فَإِنَّهُمْ ... صَدِيْقٌ وَجِيْرَانٌ أَرَى لَهُمُ فَضْلَا
إِذَا جِئْتَهُمْ مِنْ مَخْدَعِ الْغَيْبِ سَاعَةً ... لِأَنْظُرَ مَاهُمْ لَمْ أَجِدْ لَهُمُ دَغْلَا
وَقُلْ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ إِنَّ حَاتِماً ... يَقُولُ لَكُمْ: قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ مَهْلَا
وَقُوْلُوا لَهُ: مَابَالُ عَقْلِكَ نَاشِئاً ... وَجَهْلُكَ لَمَّا عُدْتَ ذَا شَيْبَةٍ كَهْلَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَقْرَا مِنَ الْوَحْيِ سُوْرَةً ... بِأَرْضٍ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِهَا سَاعَةً تُتْلَى
إِذَا مَا الْتَقَيْنَا عَدَّ مَاكَانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الْحِلْفِ وَالْإِسْلَامِ وَاجْتَنَبَ[1] الْجَهْلَا
وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ سَاعَةً قِيْلَ: يَفْتَرِيْ ... عَلَيَّ، فَلَا أَدْرِيْ أَأَشْتُمُهُ أَمْ لَا
أَمُ اعْرِضُ عَنْ عَوْرَاتِهِ فَهْوَ جَاهِلٌ ... فَيَكْفُرُ إِحْسَانِي وَيَحْسِبُهُ ذُلَّا
أَمَ اشْتُمُ جِيْرَانِي فَأُصْبِحَ مِثْلَهُ ... أَعُوْذُ بِرَبِّيْ أَنْ أَكُوْنَ لَهُ مِثْلَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيْ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ أُرَى ... جَبَاناً جَهُوْلاً لَا حَلِيْماً وَلَا نِكْلَا
أَوِ آنْ يَعْلَمَ الْأَقْوَامُ أَنِّيَ كَالَّذِيْ ... يَكُوْنُ عَلَى مَعْرُوْفِهِ أَبَداً قُفْلَا
فَمَا زِلْتَ تَغْشَانَا بِسَبِّكَ ظَالِماً ... وَتَصْفَحُ حَتَّى مَاتَظُنُّ لَنَا عَقْلَا
وَتُنْذِرُنَا آلَ الزُّبَيْرِ كَأَنَّنَا ... طُلِبْنَا بِجُرْمٍ أَوْ حَمَلْنَا لَهُمْ ذَحْلَا
وَتَقْتَحِمُ الْأَنْسَابَ مِنْ دُوْنِ خِنْدِفٍ ... كَأَنَّكَ تُعْطِي دُوْنَهُمْ بِالْيَدِ السُّفْلَى
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَباً لَكَ دُوْنَهُ ... بَلَى قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ فِيْ خِنْدِفٍ فَضْلَا
وَأَنَّ قُرَيْشاً خَيْرُ مَنْ وَطِيَ الْحَصَى ... وَأَنْعَمَهُ فَرْعاً وَأَكْرَمَهُ أَصْلَا
فَإِنْ كُنْتُمُ إِخْوَانَهُ فَابْنُ عَمِّهِ ... حَبِيْبٌ قَرِيْبُ الدَّارِ مُسْتَوْجِبٌ وَصْلَا
كَرِيْمٌ فَلَمْ يَبْسُطْ يَداً بِعَدَاوَةٍ ... إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَبْعَثْ بِهَا لَهُمُ رِجْلَا
فَلَا تَطْرَحَنَّا أَنْ سَقَوْكَ عَلَى الظَّمَا ... مَعَ النَّاسِ يَوْماً مِنْ سِجَالِهِمُ سَجْلَا

[بقية القصيدة في الجزء الآتي]

= المهدي وعلى الرشيد، ولم يحدد زمن وفاته وكذا في «تاريخ بغداد».
والحبشيُّ نسبة إلى حبش بن دبَّاب من بني زِعْب بن مالك بن خُفَاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم (٢٠٤/٢٠٥هـ) وحبش أخو هاشم بن عبد مناف لأمه.
جبلة الفُرْع: سيأتي ذكرها في المواضع.

(١) فوق (اجْتَنَبَ): (صل).

مطالعات في كتاب :

« التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب »

(١)

كان الأخ الشيخ علي بن محمد بن علوان ، أحد وجهاء بلاد عسير عثر على مخطوطة فريدة من هذا الكتاب ، فأفضل بإطلاعي عليها واستشارني في من أراه قادراً على تحقيقها ، فذكرت له اسم الأستاذ الشيخ عبدالله بن محمد الحِبْشِي ، في صنعاء ، ويظهر أن الشيخ ابن علوان بعد أن عرف أن أستاذاً مصريًّا رغب إليه تحقيق الكتاب سارع في الإعلان عن نشره في بيروت رغبَ الحيلولة دون ذالك، فقدم الشيخ عليٌّ الكتاب إلى النادي الأدبي في أبها ، فقام بنشره سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) عن النسخة التي حققها الأستاذ المصري الدكتور سعد عبدالمقصود ظَلاَم ـ عميد كلية اللغة العربية في الأزهر ـ وزاد الشيخ ابن علوان إفضاله علي بأن أهدي صورة تلك المخطوطة إليَّ ، على ماجاء في مقدمة المطبوعة .

لاشك أن الإسراع في طبع هذا الكتاب قبل تحقيقه تحقيقاً علمياً ماكان مناسباً ، ولكن الدافع إلى ذالك كان وجيهاً ، فهو سيخرج في طبعة مماثلة بطريقة غير مشروعة ، فقد أعلن أحد الناشرين في بيروت بما يفهم منه أن الدكتور سعد ظلام قدم نسخة أخرى من عمله للنشر غير النسخة التي قدمها لمالك المخطوطة ، وهذا يبرز جانباً من الجوانب التي يجب أن يترفع عنها كل ذي علم وخلق .

وكنت قد اطلعت على عمل الدكتور سعد ظلام قبل نشره فنصحت الشيخ عليا بأن يكل التصحيح إلى غيره من المحققين ممن هو أوسع اطلاعاً منه ، وأكثر إلْـمَاماً بمعرفة قبائل تهامة التي تحدث عنها مؤلف الكتاب بتوسع . وأوضحت له أنه لا يصح الاعتماد على تحقيق الدكتور سعد ظلام ، فهو ـ فيما يبدو من أثر عمله ـ قاصر في معرفة هذا العلم ، وبضاعته فيه مزجاة ، يضاف إلى هذا أنه لا يعرف شيئاً عن القبائل العربية التي لا يزال كثير من فروعها المذكورة في الكتاب بأسمائها معروفة ومستوطنة في بلادها القديمة .

ثم تحدث أحد الإخوة في إحدى صحفنا عن الكتاب ، فكان من أثر حديثه أن وعدتُ بإلقاء نظرات على المطبوعة لمحاولة تصحيح بعض أخطائها .

وها أنا مدفوعاً بما طوقني به الأخ الشيخ علي بن محمد بن علوان من فضل ، ألقي نظرات ، أرجو أن يكون فيها بعض مايفيد القراء ممن يعنى بعلم الأنساب أَوْ يُريدُ الاستفادَة منْ هذا الكتاب .

الأشعري النسابة مؤلف الكتاب :

لعلماء اليمن عناية فائقة بالاهتمام بعلم النسب منذ القرن الثالث الهجريِّ إلى عهود متأخرة ، ومن أبرزهم في ذالك أبو نصر الْيَهْرِي الـحِمْيَرِيُّ ، شيخ الهمداني صاحب «الإكليل» الذي تحدث عنه في مقدمة هذا الكتاب .

ثم من بعده أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» و«الإكليل» وغيرهما ، وفي «الإكليل» في أجزائه الأول والثاني والعاشر ، أورد أنساب القحطانيين المقيمين إلى عهده في اليمن ، مفصلة بما لا يوجد في غير هذا الكتاب .

ومن بعد الهمداني العالم اللغويّ نَشْوان بن سعيد الحميريُّ في قصيدته «الحميرية وشرحها» وفي كتاب «شمس العلوم» وهو مخصص للمفردات اللغوية ، إلا أنه أتى بجمل في علم الأنساب ذات قيمة علمية .

ومن العلماء اليمنيين الذين عُنُوا بعلم النسب أبو الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري الْقُرْتُبِي ، من أهل القرن السادس الهجري ، فقد اتجه للتأليف في الأنساب ، ووصل إلينا من مؤلفاته كتابان سيأتي الكلام عليهما .

ولا نجد فيما بين أيدينا ترجمة مفصلة للأشعري هذا ، ويظهر أنه ممن جنى عليه مذهبه ، فهو حنفي ، وقد عاش في تهامة بمنطقة زَبِيد ، وجُلُّ علماء هذه الناحية من الشافعية ، وبينهم وبين الأحناف خلاف كان من أثره التقاطع ، بحيث كان بعض الشافعية ينص على أن الأشاعرة ـ وهم أحناف ـ لا يحق لهم أن يطالعوا فيما أوقف من كتب ـ «السلوك» ـ ١/ ٣٦٨ ـ حيث استثنى الفقيه الْبُرَيْهِي حين أوقف

كتاباً على طلبة العلم ـ استثنى الأشاعرة ، وهؤلاء لهم مسجدٌ خاص بهم في مدينة ـ زبيد ـ «السلوك» ـ ١/٤٤٩ ـ. والقول بأنه شافعي المذهب كما ذكر الأستاذ الزركلي في «الأعلام» يظهر أنه ناشئ عن كون سكان تلك الناحية من الشافعية ، والذي نص عليه علماء اليمن ممن ترجمه أنه حنفي المذهب ، على ما سيأتي في النقل عن «طراز أعلام اليمن» .

والأشعريُّ النَسَابة هذا كان معاصراً للشاعر عُمَارة الْـحَكَمِـيّ المتوفَّى سنة ٥٦٩ ، فقد جاء في كتابه «المفيد» ـ ص ٤٦ ـ مانصه : حدثني الشيخ الفقيه نزار بن عبدالملك المكي والفقيه أحمد بن محمد بن إبراهيم الْقُرْتُبِـيُّ الأشعريُّ ، ومامنها إلَّا عارف بأيام الناس وأنسابهم وأشعارهم .

وأوفى ما وصل إلينا في ترجمة الأشعري هذا ماورد في كتاب «طراز أعلام الزمن في طبقات علماء اليمن» للخزرجي ـ والكتاب لا يزال مخطوطاً ، فقد ذكر أنه أبو الحسن أحمد بن محمد الأشعري نسبا ، القُرْتُبِـيُّ بلداً ، الفقيه في معرفة الأنساب ، الحنفي ، كان فقيهاً فرضياً حَسَّاباً نحويًّا ، لغوياً متأدباً ، عارفاً في مذهب الإمام أبي حنيفة .

ولم يذكر زمنه بل اكتفى بقوله : وهو معاصر لصاحب «البيان» . يعني يحيى بن أبي الخير المتوفَّى سنة ٥٥٧ ، ثم نقل ماجاء في كتاب «السلوك» ـ ١/٣٤٥ ـ ونصه : ولما مدح الفقيه النسابة أحمد بن محمد الأشعريُّ الشيخَ محمدَ بن علي بن مشعل بشعر مشهور ، جُعِلَ هذا من أعظم مناقبه ، وأعظم مفاخره التي يمدح بها . وأضاف الخزرجي : لكونه من قومه ، ونقل ذالك عن ابن سمرة صاحب كتاب «طبقات فقهاء اليمن» ولكن الذي في «الطبقات» ـ ص ١٨٤ ـ في ترجمة يحيى بن أبي الخير وقيل : إن الفقيه النسابة أحمد بن محمد الأشعري ، جعله من أعظم مناقب الشيخ محمد بن علي بن مشعل العمراني ، وأكبر مفاخره ، حين امتدحه ، ونعم الفخار يحيى بن أبي الخير . انتهى .

وفي كتابه «التعريف بالأنساب» ما يدل على أنه ألفه في عهد الخليفة الراشد العباسي الذي تولى الخلافة سنة ٥٠٢ وخلع سنة ٥٣٠ .

والأشعريُّ منسوب إلى قبيلة الأشاعرة التي كانت تنزل في تهامة في نواحي زَبِيد وقد تحدث عنها بتوسع في كتابه ، وهو من أهل قرية تدعى (القُرْتُب) - بضم القاف وسكون الراء وضم المثناة من فوق وآخره باء - وهي على ماذكر الخزرجي قرية من قرى الوادي (وادِي زَبِيد) وإليها يضاف الباب الجنوبي من زبيد ، فيقال : باب الْقُرْتُب ، خرج منها طائفة من العلماء ذكر الخزرجي بعضهم في كتابه .

وذكر أنه توفي في قريته هذه التي كان يسكنها ، وأن قبره كان معروفاً في عهد الخزرجي الذي أضاف : لم أقف على تاريخ وفاته .

أما مؤلفاته فمنها :

١ ــ «الباب في معرفة الأنساب» قال عنه الخزرجي : كتاب مختصر مفيد عليه اعتماد الناس في وقتنا هذا . وهذا الكتاب توجد منه نسخ مخطوطة منها نسخة في (دار الكتب المصرية) برقم ٩٤٥ تاريخ ، وفي (مكتبة الامبروزيانا) في إيطاليا برقم ١٧١ H وفي (المكتبة السليمانية) في استنبول (خزانة كتب لاله لي) برقم ١٣٢ .

وقد طبع طبعة سيئة في جُدَّة قبل أربعين عاماً مغَيَّرَ العنوان ، مُدْمَجاً أثناء كتاب ، وهذا الكتاب كما جاء في نسخة (مكتبة السليمانية) أوله بعد البسملة : (يقول الشيخ الامام أبو الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعريُّ - رحمه الله -: هذا كتاب مختصر في علم النسب ، ومعرفة قبائل العرب جعلته ذريعة إلى الاختصار ، وسبباً إلى الاقتصار ، وسميته كتاب «الباب في معرفة الأنساب» وقد صنف الناس في هذا الباب كتباً مختصرة ومطولة ، ومجملة ومفصلة ، واجتهدوا غاية الاجتهاد ، وبحثوا عن الآباءِ والأجداد ، امتثالاً لقوله ﷺ في الحديث المنقول «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة النسب منسأة في الأجل ، محبة في الأهل ومثراة في المال» .

والكتب المصنفة في الأنساب كثيرة منها ، مصنفات هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وهو الإمام في علم النسب ، وله في هذا العلم خمسة كتب «المنزل» و «الجمهرة» و «الفريْد» و «الوجير» و «الملوكي» وهو الذي فتح هذا الباب ، وضبط علم النسب .

ومن العلماء بالنسب محمد بن إسحاق وأبو عُبَيْدٍ ومحمد بن حبيب ، ومصعب بن عبدالله الزُّبَيْري ، وعلي بن كيسان الكوفي ، ودَغْفَلُ بن حنظلة ، والشرقيُّ بن القطامِيِّ ، في آخرين يطول ذكرهم .

وقد صنف المتأخرون وأكثروا ، وهذَّبُوا الأنسابَ وحرروا ، منهم الهمداني صنف كتاب «الاكليل» عشرة مجلدات ، وقد صنف أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري كتاباً استقصى فيه على علم الأنساب . . . . وذكر للمناقب والروايات ، وهو زهاء أربعين مجلداً ، مات ومأتمه ، وصنف غيره تصانيف كثيرة يطول ذكرها ، وقد استخرجت من هذه المصنفات كتاباً مختصراً سميته كتاب «التعريف» اقتصرت فيه على مشاهير الرجال ، وتوسطت بين الإكثار والإقلال ، ثم عملت هذا المختصر ذكرت فيه أمهات القبائل وبطونها ، ورؤوس الأوائل وعيونها ، يُشْرَفُ به على أصول العرب ، وجعلته مدخلاً إلى علم النسب ، والله الموفق للمطلوب ، والمعين على المحبوب) .

ثم شرع في الكلام على الأنساب مبتدئاً بعدنان ، لأن النبي ﷺ منهم ، وانظر «اللباب» .

ويقع الكتاب في مخطوطة (لاله لي) في ٧٥ صفحة من القطع الصغير ، في الصفحة إحدى عشر سطراً بخط النسخ ، والكتابة حديثة العهد . وهو من مصادر مؤلف كتاب «طرفة الأصحاب» انظر ـ ٨٥/٦١ ـ.

٢ ــ «التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب» وسيأتي الكلام عليه .

٣ ــ «التفاحة في علم المساحة»: وصف الخزرجيُّ الأشعريَّ بأنه كان فرضيًّا حَسَّاباً نحويًّا ، متأدباً ، وله مصنفات كثيرة في عدة فنون العلم . ثم ذكر من مصنفاته كتاب «التفاحة» وقال : إنه متداول بين الناس ، وورد في طرة كتاب «التعريف بالأنساب»: «شرح التفاحة في علم المساحة».

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة (الامبروزيانا) رقم ٢٩ ، وأخرى في (المكتبة الآصفية) في الهند مخطوطة سنة ٩٥٩ رقمها ١٧٧ على ماذكر الأستاذ عبدالله الْـحِبْشِـي في كتابه «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن» ـ ٤٩٠ ـ.

٤ ــ «طرفة المجالس ، وتحفة الجالس» ذكر الأستاذ الزركلي أن منه نسخة في (الزيتونة في تونس) وأحال إلى «فهرس الأحمدية» ولم أطلع على هذا الكتاب ويظهر أنه في الأدب .

٥ ــ «اللباب في معرفة الأنساب»: ذكر الأستاذ الزركلي في «الأعلام» - ٢١٧/١ - أن الأشعري عالم بالأنساب وضع مختصراً فيها سماه «التعريف بالأنساب» ثم عمل «اللباب في معرفة الأنساب» مخطوط في الأحمدية بتونس برقم (١٦٦٦) في (١٧٢) ورقة ، قال مصنفه ذكر فيه أمهات القبائل وبطونها وجعلته مدخلاً إلى علم النسب . انتهى كلام الأستاذ - رحمه الله -.

ولم أطلع على هذه النسخة وأخشى أن يكون المقصود هو كتاب «الباب» فالجملة التي أوردها الأستاذ الزركلي موجودة في أول هذا الكتاب كما تقدم .

والغريب أن جُلَّ من ترجم الأشعري يسمى هذا الكتاب «اللباب» مع أنه صرح في مقدمته بأنه جعله مدخلاً إلى علم النسب أي باباً ، وقد اطلعت على مخطوطة منه أتت إليَّ من كتب اليمن في مجموع يحوي غيرها ككتاب «صفة جزيرة العرب» و «طرفة الأصحاب» للملك الرسولي و «روضة الأحباب» المعروفة بمشجَّر ابن أبي علامة ، وقد استعيرت مني ليطلع عليها سيف الإسلام عبدالله بن الحسين ، حين زار الرياض ، فذهب بها معه ، وقتل وهي عنده ، ثم زار مدينة تعز بعد ذالك الدكتور حسين الهمداني وكان مقيماً في القاهرة ، فأتى بها معه ، واطلعني عليها في القاهرة .

وفي تلك المخطوطة ورد اسم الكتاب صحيحاً «الباب» كما ورد في طرة كتاب «التعريف في الأنساب»: له من المصنفات في علم النسب هذا الكتاب. . . و« الباب إلى معرفة الأنساب» و «شرح التفاحة في علم المساحة». وورد اسمه في «طرفة الأصحاب» - ٨٥ - «الباب».

٦ ــ «لب اللباب ونزهة الأحباب في الآداب»: وسماه الخزرجي «اللباب في الآداب» ووصفه بأنه كتاب حسن جدًّا .

ومن هذا الكتاب نسخة في (دار الكتب المصرية) برقم (٢٣٧٢) ونسخة في مكتبة (دير الاسكوريال) في اسبانيا برقم (١٧٠٢) طالعت هذه النسخة يوم

الأربعاء ٦ محرم ١٤٠٧هـ ، (١٠/٩/١٩٨٦م) وهاهو وصفها كما طالعتها: تقع هذه النسخة ضمن مجموع هي أوله ، وعنوانها كتاب «لب اللباب، في لطائف الحكايات» مئة حكاية في عشرة أبواب ، تأليف السيد الأجل الفقيه الفاضل أبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ـ رحمه الله ـ وأول الكتاب بعد البسملة : الحمد لله الذي عمنا بِالإنعام ، إلى أن قال : أما بعد فإني كنت في أوان الطِّلاَب ، وعنفوان الشباب قَرِماً إلى استقراء كل كتاب ، ونَهِماً في مطالعة العلوم والآداب لَهِجاً بمفاتحة الأصحاب ، بَهِجاً عند مفاتحة الأتراب ، هذا مع تشعب الأحوال ، وتكاثف الهموم والأشغال ، وتغير الزمان ، وتكدر الإمكان ، غير أني جمعت من كتب المصنفين ، ونزعت منْ ترتيب المؤلِّفين، مِئَةَ حكاية، ثابتة الرّواية، من الأخبار المشهورة، والأشعار المسطورة، جعلتها طُرْفَة في الْـمَجَالس ، وتحفة لِلْـمُجَالِس ، وأَنيسا في الْـخَلْوَةِ ، وجليساً في الْـخُلْوَةِ ، وقد قال بعض الحكماء : الكتابُ خيرُ جليس ، وآنسُ أَنِيْسٍ ، لا يُظْهِرُ سِرَّكَ ولا يُوْغِرُ صدرك ، قال الشاعر :

خَيْرُ الْـمُحَادِثِ وَالْـجَلِيْسِ كِتَابُ تَخْلُو بِـهِ إِنْ مَلَّكَ الْأَصْحَـابُ
لَا مُفْشِيـاً سِرًّا إِذَا اسْتَـوْدَعْتَـهُ وَيُنَـالُ مِنْـهُ حِكْمَـةٌ وَصَـوَابُ

وقال المتنبي :

أعزُّ مكانٍ في الدُّنَا ظَهْرُ سَابِحٍ وخَيْرُ جَلِيْسٍ فِـي الزَّمَانِ كِتَابُ

وقال آخر :

نِعْمَ الْـمُجَالِسُ لَيْسَ يُعْقِبُ ضَجْرة لـلمَـلْكِ وَالْـوُزَراءِ وَالْـكُـتَّـابِ
ورقٌ تَضَمَّنَ منْ خُطُوْطِ أَنَامِلٍ بَـدْعـاً من الْأَشْعَـارِ وَالْآدَابِ
يَخْلُوْ بِهِ مَنْ ملَّ مِنْ أَصْحَـابِهِ فَيُقَالُ خِلْوٌ وَهْوَ فِـي الْأَصْحَابِ

وَلَـمَّا كان الكلام ذَا شُجُونٍ ، جذبتها من أنواع وفنون ، وتركت الترديدَ والإعادات ، لأن الأسماع تَمَلُّ الْـمُعَادَاتِ ، كما قال الأولون :

إِذَا تَحَـدَّثْتَ فِي قَـوْمٍ لِتُتْحِفَهُمْ بِكُلِّ مَاهُوَ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِ
فَلَا تَعُدْ فِي حَدِيْثٍ إِنَّ طَبْعَهُمُ مُـوَكَّـلٌ بِمُـعَـادَاةِ الْـمُـعَـادَات

وقال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه : إنَّ هذه القلوب تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكم ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لأصحابه، إذا داموا في الدرس دَرْسِ العلم : أَحْمِضُوا أي مِيْلُوا إلى المفاكهة ، تشبيهاً بالإبِلِ إذا مَلَّتْ من حُلْوِ الرعي مالُوا بها إلى الحمض ، حتى تعود إلى المرعى وهي مشتهية ، وقد وقع الاختيار ، وواقف الإيثار بترتيب عشرة أبواب ، وبتمامها يتم الكتاب .

الباب الأول : في الكرم وحسن الأخلاق والشيم .

الباب الثاني : في الأدب والعلم والعفو والحلم .

الباب الثالث : في الشجاعة ، والجلد والبراعة .

الباب الرابع : في الفصاحة والخطاب ، والرد والجواب .

الباب الخامس : في التلطف والسوال ، والتلصص والاحتيال .

الباب السادس : في حكايات الشعراء مع الأمراء والكبراء .

الباب السابع : في حكايات الْعُشَّاق وكل صَبٍّ مشتاق .

الباب الثامن : في أخبار النساء مع فنون شتى .

الباب التاسع : في أخبار منثورة ، وحكايات مشهورة .

الباب العاشر : في حكايات الصالحين ، والزهاد والسائحين .

وقد كان هذا الباب الأخير يجب تقديمه ، ويتوجه تعظيمه ، ولكن جعلناه طبق الْـحَلْوَى ، كتأخير الطيب من الأشياء . انتهى .

والمؤلف يورد في هذه الأبواب أخباراً أدبية ينسبها إلى رواتها كالأصمعي وغيره ، كما يسوق أشعاراً منسوبة أيضاً إلى قائليها ، ولكنه لا يذكر الكتب التي اعتمد عليها في ذالك .

ومخطوطته تقع في مجموع هي أوله ، وتقع في (٢١٨) من الصفحات ، في الصفحة ثلاثة وعشرون سطراً ، بالخط النسخيّ الواضح ، وهي مخطوطة سنة (٩٩٦) لأحد المكيين واسمه كما جاء في آخرها (شيخ الإسلام جمال الدين محمد بن الشيخ عبداللطيف المكي) وهي منسوخة هي وما معها من الكتب في بندر سورت (الهند) وكان ممن ملكها (زيدان أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الملك المنصور

بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الحسني) ـ وهذا من ملوك المغرب في أول القرن الحادي عشر الهجري .

ولعل هذا الكتاب هو الذي سماه الخزرجي في «طراز اعلام الزمن» «اللباب في الآداب» وقال عنه : وهو كتاب حسن جداً .

٧ ــ مختصر في النحو ، كذا ذكر الخزرجي في «الطراز» والسيوطي في «بغية الوعاة» وتقدم قول الخزرجي بأن الأشعريَّ كان نحويًّا .

وقد يكون له مؤلفات أخرى غير هذه .

عصر الأشعري : لاشَكَّ أن الأشعريَّ مؤلف هذا الكتاب من أهل القرنين الخامس و السادس الهجريين كما تقدم النقل عن عُمَارة وعن غيره .

وقد أشار صاحب «كشف الظنون» إلى عدم التثبت من معرفة سنة وفاته ، فقال : المتوفى في حدود سنة خمس مئة ، ثم جاء الأستاذ الزركلي في «الأعلام» فقال عن تاريخ وفاته : (نحو ست مئة (نحو ١٢٠٣م) وجاء بعده الأستاذ عمر رضا كحالة فقال ـ كصاحب «كشف الظنون» توفي في حدود (٥٠٠هـ/١١٠٥م) أما (بروكلمان) في ملحق كتابه (١/٥٥٨) فقد توسع في الأمر فأرخ حياته فيما بين ٥٠٠ و ٦٠٠هـ (١١٠٦/١٢٠٣م) والواقع أن تاريخ وفاته لم يفصح عنه مابين أيدينا من الكتب .

هذا الكتاب : لقد أوضح مؤلفه الغاية من تأليفه في مقدمته ، وأنها استجابة لأحد المنعمين عليه (اختصر له من أصول القبائل وشعوب الأوائل ما ينتهي من النسب إلى الوسط ، ويُؤمَنُ فيه من الغلط) وحين سَمَّى أشهر علماء النسب وذكر مؤلفاتهم في كتاب «الباب» قال : (وقد استخرجت من هذه المصنفات كتاباً مختصراً سميته «التعريف» اقتصرت فيه على مشاهير الرجال ، وتوسطت بين الاكثار والإقلال ، ثم عملت هذا المختصر) يعني «الباب» وإذن فغايته من هذا الكتاب بعد التعريف بأصول القبائل ذكر المشاهير ـ ذوي الأحساب ـ من القبائل التي ذكرها ، فهو يشبه إلى حد كبير كتاب «النسب» لأبي عُبَيْدٍ القاسم بن سلام ، الذي اختصره من «جمهرة النسب» لابن الكلبي ، وانصبَّ في ماذكر في هذا الكتاب إلى ذكر المشاهير من الصحابة والعلماء وغيرهم .

وهنا يبرز سؤال هو : مادام الأشعريُّ عَوَّلَ في كتابه على مؤلفات مَنْ ذكر من مشاهير علماء النسب ، كابـن الكلبي، والهمداني والبلاذري ، وغيرهم ممن أورد أسماءهم ، فما هي ميزة كتابه هذا ، وقد وصل إلينا جُلُّ مؤلفات أولئك ؟ والجواب : أن أنساب القبائل اليمنية لا يزال يحوط كثيراً منها الغموض والنقص ، إذ لم تصل إلينا مؤلفات وافية مفصلة عنها ، باستثناء الأجزاء الثلاثة التي نشرت من كتاب «الإكليل» و «صفة جزيرة العرب» للهمداني وكتاب «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» لعمر بن يوسف بن رسول ، على مافي تلك الكتب من تحريف وتصحيف في كثير من الأسماء ، يضاف إلى هذا أن مؤلفات ابن الكلبي وغيره من العلماء الذين عاشوا بعيدين عن بلاد اليمن ليست على درجة من الاستيعاب والصحة ، فقد قال الهمداني في «الإكليل» ـ ٨/ ١٧٠ ـ طبعة القاضي الأكوع قال عن هشام ابن الكلبي وأبيه وغيرهما من النساب : وجدناهم قد اختصروا أنساب الناس وقللوها وطرحوا منها حتى ربما أتت من العدد بأقل من نصف ماذكرنا ، وذالك لأحد علتين لا ثالث لهما : إما أن يكون مع أنساب الناس شيء من أنساب العرب نقلاً عن عرب الحجاز ، وأما اليمانية فقد كان ذهب علمهم في أيام بخت نصر لفتكه بقيولهم في عهد أسعد تبع ، وفي أيام حسان بن أسعد ، وتخريبه حصونهم ، وقتل حسان لجديس التي أفنت طسم ، ولما وقع في الأزد وقضاعة . وأما انه لم يضع فقد حاول بعضهم إفساده في أيام العصبية في دولة معاوية ، ليقرب نسب قضاعة وكهلان على نحو ما أرادت النزارية من احتيال هذه القبائل وإدخالها في ولد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيفهم من هذه الأحداث سبب قصر تلك الأنساب . انتهى .

ومن هنا فإن كتاب الأشعري هذا يُمِدُّنَا بمعلومات لا نَجدها في مصادره التي ذكر ، بل لا نجدها في غيره من المؤلفات ، ولا سيما ما يتعلق بأنساب القبائل التهامية ، مما لا يحتاج القاريء إلى الإشارة إليه، فهو مفصل في هذا الكتاب توسُّع .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

حول انقطاع نسب خالد بن الوليد

قرأت في «العرب» الغراء في العدد الصادر محرم/صفر سنة ١٤١١هـ (آب/أيلول/أغسطس/سبتمبر) سنة ١٩٩٠م في الصفحة ٥٦٤ س ٢٥ مقالة بعنوان: (خالد بن الوليد لَـمْ ينقطع نسبه) للأخ الكريم حسن عموري الخالدي من سوريا ـ حماة ـ كفر زيتا. وردكم عليه.

إني سوف لا أكتب في صحة انقطاع نسب خالد بن الوليد رضي الله عنه، بعد أن أثبتّم ذالك في ردكم على صاحب المقال. وقولكم الفصل في علم النسب، وقال الشاعر:

إذا قالت حَذَام فصدقوها فإن القول ماقالت حذام

ولكن أكتب إليكم في تصحيح ماورد في مقال الأستاذ حسن العموري عن قبيلة عرب بني خالد في بادية مدينة حمص وحماة في سورية خيفة أن يتوهم أحد القراء صحة قوله.

جاء في المقال: أولاً: (بنو خالد يعتقدون حقيقةً بأنهم ينسبون إلى جدهم خالد بن الوليد المخزوميّ القرشيّ سيف الله رضي الله عنه... والعرب أعرف بأنسابها).

ومادام العرب أعرف بأنسابها فما يقول الأستاذ حسن العموري في قول عرب البَكّارة في سورية وهي تُعَدُّ بمئات الألوف، وتسكن من منتصف الطريق بين الرقة ودير الزور على ضفاف نهر الفرات إلى مصب نهر الخابور في الفرات عند قرية البصيرة اليوم وقديماً كانت تسمى قرقيسياء وفي بادية مدينة الحسكة ويسمون بكارة الجبل، وفي بادية مدينة حلب، حيث ينسبون أنفسهم إلى محمد الباقر رضي الله عنه المتوفى سنة ١٢٤هـ وجاء بعد هذه السنة علماء نسب كُثُرٌ لم يقولوا: إنه ظهر بطن ينسب إلى الباقر ويسمى بكارة ولكن قالوا حسينيّ هاشميّ قرشيّ، وكذالك يوجد في سورية قبيلة النّعَيم ينسبون أنفسهم إلى سيدنا الحسين رضي الله عنه، ولا يوجد حسبما أعرف أيّة قبيلة في سورية تنسب إلى سيدنا الحسن رضي الله عنه

رغم كثرة أولاده إلا بعض الأُسر القليلة في المدن، فهل هذا صحيح على قاعدة (العرب أعرف بأنسابها؟).

وسبب ذالك أنه عندما أصبح السلطان غير عربي وهو القابض على زمام الأمور في البلاد العربية كبني بُوَيْه الفارسيّين ثم من بعدهم السلاجقة الأتراك وعماد الدين زنكي وابنه نورالدين التركيين ومن بعدهم الأيوبيين الأكراد ومن بعدهم المماليك من أمم شتى لا يوجد فيهم عربي واحد، وأخيراً العثمانيون الأتراك وأصبح شعار الدولة الخلافة الإسلامية الأمر الذي جعل القبائل العربية تفتش عن رجل إسلامي عربي تنتسب إليه، ومنْ أعظم من سيدنا الحسين رضي الله عنه، ولما حل به وبأهل بيته في معركة كربلاء كثر الانتساب إليه، وعلى هذا الأساس انتسبت قبيلة بني خالد في بادية مدينة حمص وحماة إلى خالد بن الوليد سيف الله رضي الله عنه، دون أن يعرفوا أن نسل خالد بن الوليد قد انقطع ، لأن السلطة الحاكمة منعت أحداً أن يكتب في النسب العربي.

ثانياً : قول الأخ حسن: (إن ما ذهب إليه بعض المؤرخين وليس النّسابين، ومنهم ابن الأثير أن ذرية سيدنا خالد رضي الله عنه قد انقرضت، فهذا خلاف المشهور المتواتر من جهة.

ومن جهة ثانية فابن الأثير الموصلي المؤرخ وقع في وهم أوقعه في خطإٍ، حيث إجماع النسابين على أن لا عقب له في المدينة المنورة. وهذه الكلمة التي أوهمت ابن الأثير فقال: بانقراض الذرية الخالدية. وقد أورد المصعب الزبيري في كتابه «نسب قريش» والمتوفى سنة ٢٣٦هـ: (انقراض عقبه في المدينة المنورة وورث دارهم سلمة).

الجهة الأولى: قلت بعض المؤرخين وليس النسابين ولم تذكر عالم نسب واحدٍ قال بأنّ عقب خالد بن الوليد لم ينقطع. علماً بأن علماء النسب قد أجمعوا على أن لا عقب له فهذا المصعب الزبيري في كتابه «نسب قريش» والزبير بن بكار في كتابه «النسب» وابن قدامة المقدسي في كتابه «التبيين في أنساب القرشيين» وابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» كلهم قد أجمعوا على

انقراض ذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه.

الجهة الثانية: (فابن الأثير الموصلي....).

إن من أول واجبات النقل عن كتاب هو صحة النقل وليس التقديم والتأخير: (انقراض عقبه في المدينة المنورة وورث دارهم سلمة) والنص كما جاء في كتاب «نسب قريش» للمصعب الزبيري، طبعة دار المعارف بمصر الطبعة الثانية التالي: قد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد، وورث أيوب بن سلمة دارهم بالمدينة. فكلمة بالمدينة عائدة إلى الدار وليس إلى عقب خالد رضي الله عنه.

أمّا ما جاء في كتاب «اللباب» لابن الأثير كما تقول: الذي أخذه عن السمعاني.

لقد ترجم ابن الأثير لأكثر من عشرة رجال لم ينسبهم إلى خالد بن الوليد، وقد نسب بعضهم إلى جدّه واسمه خالد، وآخر نسبه إلى خالد الذهليّ الرَّبعيّ، وآخر نسبه إلى سكة خالد من نيسابور، والشاعران الخالديان هما من أهل الخالدية من أعمال الموصل، ولم ينسب إلى خالد بن الوليد إلّا واحداً هو أبو الفتح حيدر كما تقول.

ومن الرجوع إلى كتاب السمعاني الذي أخذ عنه ابن الأثير ـ طبعة بيروت بتحقيق السيد أمين دمج. ج: ٥ ص: ٢٦ ـ نجد ما يلي:

«أبو الفتح حيدر.. الخالديّ وكان ينسب إلى خالد بن الوليد». ومادام قد قال السمعاني كان ينسب، فهذا يدل على أن السمعاني غير متأكد من هذه النسبة.

أما قصة ابن الأثير والطبري في ثأر عبدالرحمن بن خالد بن الوليد والذي ثأر له ابنه خالد بن عبدالرحمن وأخذها عنهما العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فهؤلاء الثلاثة ليسوا بعلماء نسب.

وإليك ماجاء في كتاب «نسب قريش» للمصعب المار ذكره ص: ٣٢٤.

وولد خالد بن الوليد بن المغيرة عبدالرحمان وكان عظيم القدر بالشام، والمهاجر، وعبدالله، وسليمان فولد المهاجر بن خالدٍ خالداً وكان شاعراً... وهو الذي ثأر لعمه عبدالرحمن من ابن أثال الطبيب.

وإليك القصة كما جاءت في كتاب «الأوائل» لأبي هلال العسكري، طبعة وزارة الثقافة بسوريا ج : ١ ص : ٣٤٠.

قال: لما أراد معاوية أن يعقد ليزيد قال لأهل الشام: إنّ أمير المؤمنين قد كبر ودنا من أجله فما ترون؟ وقد أردتُّ أن أولي رجلاً بعدي، قالوا: عليك بعبدالرحمن بن خالدٍ، فأضمرها. ومرض (اشتكى) عبدالرحمن بن خالد، فأمر ابنَ أثال ـ طبيباً من عظماء الروم ـ فسقاه شربةً فمات، فبلغ معاويةَ موتُهُ فقال: ما أنجد إلا ما أنقص عنك من تكره، وبلغ حديثُه ابن أخيه خالد بن المهاجر فورد دمشق مع مولى له يقال له نافع، فقعد لابن أثال ليلاً، فلما طلع منصرفاً من عند معاوية شدَّ عليه نافع وضربه خالد فقتله، فطلبهما معاوية فوجدهما، فقال لخالد: أقتلتَهُ لعنك الله ؟!!، قال: نعم. قُتِلَ المأمور وبقي الآمِرُ، ولو كنَّا على سواء ما تكلمت بهذا الكلام، فضرب معاوية نافعاً مئة سَوْط، وقضى في ابن أثال بالدية باثني عشر ألف درهم. وأدخل بيت المالِ منها ستة آلاف، فكانت دية المعاهد مثل ذلك حتى قام عمر بن عبدالعزيز فأبطل الذي كان يأخذه السلطان منها، وقال خالد حين رجع المدينة:

قَضَى لابْنِ سَيْفِ الله بالحقِّ سَيْفُهُ ... وعُرِّيَ مِنْ حَمْلِ الذُّحُولِ رَوَاحِلُهْ
فَإِنْ كَانَ حَقًّا فهو حَقٌّ أصابَهُ ... وَإِنْ كَانَ ظَنًّا فَهْوَ بِالظَّنِّ فاعِلُهْ
سَلِ ابْنَ أُثَالٍ هلْ ثَأَرْتُ ابنَ خالدٍ ... وهذا ابْنُ جُرْمُوزٍ فَهَلْ أَنْتَ قَاتِلُهْ

يقول لعروة بن الزبير.

ثالثاً : (والمشهور والمتواتر عند أئمة علم الحديث والفقه مثل الإمام السبكي وعبدالفاخر والسمعاني...).

فلم تذكر أيَّ كتاب لهؤلاء الأئمة لنتبين صدق القول.

رابعاً : (وقد سبقنا رد شيخ الإسلام السراج «؟» في صحاحه...).

لم تذكر في مقالك هل هذا الكتاب مطبوعاً أو مخطوطاً، ومن هو هذا شيخ الإسلام السراج ؟ حيث يوجد علماء حديث كثر تلقبوا بالسراج، كما جاء في

كتاب فهرس «سير أعلام النبلاء» للذهبي، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ج : ٢٥ ص : ١٩٤ وهم كما يلي:

السراج: إسماعيل بن إسحاق أبو محمد الثقفيّ الإمام.

السراج: جعفر بن أحمد بن الحسن بن أحمد أبو محمد البغداديّ.

السراج: محمد بن إبراهيم بن أبان أبو عبدالله البغداديّ.

السراج: محمد بن إسحاق بن إبراهيم أو العباس الثقفيّ محدّث خراسان.

السراج: محمد بن سهل بن محمد بن أحمد أبو نصر الشاذياخيّ.

السراج: محمد بن عبدوس بن كامل أبو أحمد السلميّ البغداديّ الحافظ.

ولم أجد في كتاب «سير أعلام النبلاء» لأيٍّ واحد منهم كتاباً يسمى «الصحاح» على ابن الأثير، ومع كل هذا فهؤلاء كلهم علماء حديث وفقه وليسوا بعلماء نسب.

خامساً : (ومثله ماقال العدواني رحمه الله: ولا ريب لدى...).

من هذا العدواني؟ وما اسم كتابه الذي أخذت عنه، فلم أجد له ذكراً فيما تحت يدي من الكتب فلو أردت تفصيلاً لكتابه لزدتني علماً وكان لك الأجر.

سادساً : ما نقلته عن كتاب «الروض البسام في أشهر البطون القرشيّة في الشام» تأليف الشيخ محمد أبي الهُدَى الصيَّادِيّ).

من هو الشيخ أبو الهدى الصيادي؟ هو شيخ من قرية الصَّيادي تابعة لمنطقة خان شيخون، من محافظة إدْلِب بسورية تسلط على السلطان العثماني عبدالحميد، وأصبح المقرب لديه، وأنشأ له (التكايا) في سورية باسم الفقراء والمساكين وعابري السبيل حتى أصبحت تكايا الكسالى، وهو الذي أغرى السلطان بقتل العالم الشيخ عبدالرحمان الكواكبي صاحب كتاب «طبائع الاستبداد» ولعله كان مكلفاً بوضع كتب في النسب العربي لا تمت للحقيقة بصلة، ولقد أعطى هذا الشيخ كتاباً لآل بريّ بحلب ومازالوا محتفظين به بخطه وتوقيعه يقول فيه: إن آل بري هم من قبيلة قيس التي أصبحت الآن (جيس) وهم من بطن عُبَادة ومن نسل

سيدنا الحسين رضي الله عنه، فهل يعقل هذا القول وبطن عُبَادة بن عُقَيْل بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة، وهو عم خفاجة، وعبادة هذا جاهلي، فهذا الجاهلي هَلْ يُعقل أن يكون من نسل سيدنا الحسين رضي الله عنه.

أما قولك في مقالك: والرئاسة فيهم إلى أمراء بني خالد وشيوخها (آل عبدالقادر) وهم ينتهون إلى (ناصر بن عاصي بن مهنا. . . . بن حسام الدين المهنا بن عيسى. . . . ابن فضل بن محمد بن عبدالرحمن بن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه).

وجاء في الصفحة الثانية: (وأرخ لهم المؤرخون أمثال ابن خلدون وأبي الفداء صاحب حماة وابن كثير، وخاصة في حروبهم ضد التَّتَار والصليبيين، وقد ذكر أبو الفداء وابن كثير: الأمير حسام الدين المهنا بن عيسى ويطلق عليه الأمير سلطان العرب. . . . وكانت وفاته في (سلمية) شرقي حماه يوم ١٨ ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ رحمه الله).

فهنا قد جئت بالعجب العجاب أخذت من قول أبي الهدى الصيادي وأدخلته في قول أبي الفداء وابن كثير، فقد خلطت بين قبيلة بني خالد بِحمص وقبيلتي الفضل بالقُنَيطرة وقبيلة عرب الموالي ببادية حلب وحماة وحمص، وقبيلة الفضل وقبيلة الموالي اللتان تدَّعيان النسب الآن إلى العباس بن عبدالمطلب عمّ النبيّ ﷺ وكان ظهورهم في أول أمرهم في عهد الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع المتوفى في ذي القعدة سنة ٦٨٣هـ كما جاء في كتاب «السلوك» للمقريزي ج: ٣/١ ص: ٧٢٥ واستقر في إمرة العرب ابنه حسام الدين مهنا بن عيسى.

وهؤلاء آل عيسى بن مهنا من ربيعة طيء، وادعوا نسباً غير صحيح أنهم من ولد جعفر بن يحيى بن بَرْمك، الذي تزوج العباسة أخت الرشيد ثم بدلوه أخيراً وقالوا: من العباس بن عبدالمطلب عم النبيّ ﷺ.

وجاء في كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري: وربيعة رجل من

سلسلة نشأ في أيام أتابك زنكي وولده نورالدين ـ رحمه الله ـ ونبغ بين العرب، ولم يصرّح لأحد من هذا البيت بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا أيام العادل أبي بكر أخي السلطان صلاح الدين أمَّرَ منهم حُديثة، وديارهم من حمص إلى قلعة جَعْبَر إلى رَحْبَة آخذين على شِقّي الفرات وأطراف العراق، حتى ينتهي حدهم قِبْلَةً بشرق إلى الوشم، وآخذين يساراً إلى البصرة.

وإليك نسب (حسام الدين المهنا بن عيسى المتوفى بالسلمية شرقي حماة في ١٨ ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ رحمه الله) كما جاء في مقالك ص : ٥٦٧.

حسام الدين المهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حُديثة بن غُضَيَّة بن فضل بن ربيعة بن حازم بن علي بن مُفَرِّج بن دَغْفَل بن جَرّاح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن حرب بن السَّكن بن رَفيع بن عَلْقَى بن حَوْط بن عمرو بن خالد بن مَعْبَد بن عَدِيّ بن أَفْلَت بن سِلْسِلَة بن عمرو بن سلسلة بن غَنْم بن ثُوَب بن مَعْن بن عَتُودِ بن عُنَيْن بن سَلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن طيء .

هكذا جاء النسب في كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري طبعة المركز الإسلامي للبحوث ببيروت. ص: ١١٣ وهكذا جاء في كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي. ج : ١ ص : ٣٢٤ طبعة مصر، وكتاب «قلائد العقيان في تفرق عرب الزمان» ص: ٧٣ وكتاب «نهاية الأرب في أنساب العرب» ص : ١٠٠ .

أمّا ما ذكرته في مقالك من أن بني خالد حمص حاربت التَّتَار ص : ٥٦٧ .

إنّ حرب التتار قرب حمص كانت أيام المنصور قلاوون، فإنّهم أثَّروا أثراً حسناً ، وعملوا في التتار عملاً جيداً ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وربما تقدَّموا الجيش في اللقاء ، فكانوا سبب الكَرَّة، يعني المؤديّة إلى النُّصرة. قال ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار» ص: ١٤٢ مايلي:

وحكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود أنه رأى آل مِرَا (مرا بن ربيعة بن حازم بن علي. . .) حين جاءوا تلك الكرَّة، قال: كنت جالساً على سطح باب الإسطبل السلطاني بدمشق، وقد أقبلوا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسوَّمة، والجياد المُطَهَّمة، وعليهم (الكزغندات) الحمر من الأطلس المعدني، والديباج الروميّ، وعلى رأسهم البَيْضُ، مقلدين بالسيوف، بأيديهم الرماح كأنهم صقور على صقور، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ويرقصون بِتَرَقُّصٍ المهارِي، وبأيديهم الجنائب التي ظلّت إليهم عيون الملوك صُوْراً، ووراءهم الظعائن والحَمول، قال: وكانت معهم مُغَنِّيَةٌ لهم تعرف بالحضْرَميّة، وكانت لها سُمْعَةٌ طائرة في زمانها، رأيتُها سافرةً من الهودج وهي تغني:

وكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً ... لَيالِيَ لاَقَيْنَا جُذَاماً وحِمْيَرا
وَلَمَّا لَقِيْنَا عُصْبَةً تَغْلِبِيّةً ... يَقُودُون جُرْداً للمَنِيَّة ضُمَّرا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بَعْضَهُ ... بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أنْ تكَسَّرا
سَقَيْنَاهُمْ كأساً سَقَوْنَا بِمِثْلِها ... ولٰكِنَّهم كانُوا عَلَى الْمَوْتِ أصْبَرا

فقال رجل كان إلى جانبي: هكذا يكون وربّ الكعبة! فكان الأمر كما قال. فإنَّ الكَسْرَة كانتْ أوّلاً على المسلمين ثم كانت النُّصْرَة لَهُم، واسْتَحَرَّ القَتْلُ بالتتار، فسبحان مُنْطِق الألسنة، ومُصَرِّف الأقدار، فهو الفاعل لِمَا يشاء، الفاعل المُخْتار.

فهل بعد كل ماقدمت استبان لك الأمر أيها الأخ الكريم الأستاذ حسن العموري الخالدي وقد قيل: الرجوع عن الخطإ فضيلة، وأظن أنّك من الفضلاء والله الموفق.

دمشق في ١٦/٩/١٩٩٠م: محمود الفردوس العظم

أسر بلدتي رغبة والبرّة

رَغْبَة والْبَرَّةُ بلدتان معروفتان تابعتان لمنطقة المحمل وقد ذكرهما: ابن بشر وابن ربيعة وابن عيسى في تواريخهم.

وقد جاء في المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (المعجم المختصر) ص ٦٣٩/جـ٢ : (رغبة: من قرى ثادق). والصواب أنها من قرى المحمل.

ولقد تصفحت الطبعة الثانية من الكتاب القيم «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» فلم يذكر فيه من أسر هاتين البلدتين إلا قليلاً وبعبارة أدق: أنَّ مالم يذكر فيه من أُسر هاتين البلدتين أضعافُ ماذُكِرَ فمن هاهنا رأيت أن أحصر الأسر التي تمتُّ إلى الرغبة والبَرَّة لتضاف إلى الطبعة الثالثة إن شاء الله والأسر هي :

(١) آل فليج ـ بالجيم ـ في رغبة والرياض والكويت وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح بن جبر بن عرينة بن حماد بن محمد بن عيسى من العرينات من بني عمر من قبيلة سُبَيْع. وآل فليج أربعة فروع هي:

أ ــ آل عبد المحسن؛ ومنهم الشيخ محمد بن علي بن عبدالمحسن آل فليج.
ب ــ آل عبدالله. جـ ــ آل حمد. د ــ آل عبدالوهاب.

(٢) آل منصور: في رغبة والرياض وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح من العرينات من قبيلة سُبَيْع.

(٣) آل محمد: في رغبة والرياض ويقال لهم آل حماد، وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح من سبيع ومنهم آل مطلق في الأحساء.

(٤) آل حسين: في رغبة والرياض وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح من العرينات من سبيع.

(٥) آل راشد بن يحيىٰ: في رغبة والرياض وهم من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح العريني من سبيع.

(٦) آل رُبَيْق: في رغبة والرياض من بني خالد.

(٧) آل رُشَيْد ـ بضم الراء ـ في رغبة والرياض من بني خالد.

(٨) آل قاسم: في رغبة والبير وثادق والقصب والْخُرَيِّق من آل عاصم من قحطان.

(٩) آل فوزان: في رغبة والرياض من الْعُفَسَة من مُطَيْر.

(١٠) آل جُلَيِّل ـ بضم الجيم ـ في رغبة والرياض من الجبلان من مطير.

(١١) آل فْراوي: في رغبة والرياض من مطير.

(١٢) آل خُرَيِّف: في رغبة والزلفي وشقراء وجلاجل والرياض وأشيقر من آل شَبَانة من الوُهَبَةِ من تميم.

(١٣) آل مُعْجِل: في رغبة والرياض من النواصر من بني تميم.

(١٤) آل سنان: في رغبة والرياض من تميم.

(١٥) آل جلْعود: في رغبة والرياض من آل مِنْجَل من السهول.

(١٦) آل قُطيّان: في رغبة والرياض من آل عُبيد من السهول.

(١٧) آل مَدْلول: في رغبة والرياض من آل مُحَيْمِيد من السهول.

(١٨) آل عامر: في رغبة والرياض من آل محيميد من السهول.

(١٩) آل أَبُو حَيْمد: في رغبة والرياض من الدواسر.

(٢٠) آل سُحيم: في رغبة والقويعية من آل عطية من بني زيد.

(٢١) آل طُرَيْف ـ بضم الطاء المهملة وبعد الراء ياء ساكنة ـ: في رغبة والرياض من بني حُسين من الأشراف.

(٢٢) آل حُمَيْدي ـ بضم الحاء ـ: في رغبة والرياض من حرب.

(٢٣) آل مُهَوّس: في رغبة والرياض من الْعُرينات من سبيع.

(٢٤) آل عُريني: في رغبة والرياض من العُرينات من سُبَيْع.

(٢٥) آل فايز: في رغبة والرياض من سبيع.

(٢٦) آل حمد: في رغبة والرياض من سبيع.

(٢٧) آل عَيَّاف: في رغبة والبرَّة والرياض من العرينات من قبيلة سبيع.

(٢٨) آل موسى: في رغبة والرياض من العرينات من سبيع، وهم أبناء عم لآل عياف.

(٢٩) آل عَجلان: في رغبة والبرة والرياض من المطارفة من قبيلة هذيل.

(٣٠) آل جبر: في رغبة وثرمدا والرياض من هذيل.

(٣١) آل خُنَيْزَان: في رغبة والبرة من آل (أبو رَبَّاع) من عنزة.

(٣٢) آل عمر: في رغبة والرياض ومَقْدَمُهُمْ من حُرَيْملاء ـ وهم من آل (أَبُو رَبَّاع) من الحسني من السلقا من قبيلة عنزة.

(٣٣) آل هزاع: في البرة والرياض من ذرية الشيخ إسماعيل بن رميح العريني من بني عمر من سبيع ومنهم الأستاذ هزاع بن عبدالعزيز بن حمد آل هزاع.

(٣٤) آل عبدالله: في البرة والرياض من الْعُرينات من سبيع.

(٣٥) آل حمد: في البرة والرياض من الْعُرينات من سبيع.

(٣٦) آل نُحَيْط: في البرة والرياض وضرما من بني ثور من قبيلة سبيع.

(٣٧) العرانا: في البرة والرياض وهم من بني ثور من سبيع والعرانا لقب لهم، وجدهم هو ثابت الثوري السبيعي.

(٣٨) آل فواز: في البرة والرياض من السُّمَطَة من سبيع.

(٣٩) آل مانع: في البرة سابقاً وهم من مليح من سبيع.

(٤٠) آل محمد المليحي: ولمحمد هذا ابنان:

أ ـ عبدالعزيز: ولقبه (مُعَوّد) وكان بنوه يسكنون في البرة سابقاً، ومنهم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز المعود وأبناؤه في الطائف.

ب ـ عبدالله: ولقبه (بالُوْد) ويقيم آل بَالُود في الدوادمي والأحساء والشعراء وهم من مليح من سبيع.

(٤١) آل سُوَيْري: في البرة والشمس، من بني حُسين من الأشراف.

(٤٢) آل ماجد: في البرة والرياض من آل صُبَيح من بني خالد.

(٤٣) آل زِيَاد: في البرة والمزاحمية من الجبور من بني خالد.

(٤٤) آل مهنا: في البرة والرياض من بني خالد.

(٤٥) آل جلبان: في البرة والرياض وقد جاؤا من الْقُوَيْعِيَّة، وهم من بني زيد من قضاعة.

(٤٦) آل عِيد: في البرة والرياض من المطارفة من هذيل.

(٤٧) آل سيف: في البرة والرياض من عائذ.

(٤٨) آل مُفِيز: في البرة وأبناء عمهم في ضرماء والرياض وهم من عائذ.

(٤٩) آل وايلي: ويعرفون بِالْوَيَالاَ، وهم في البرة والرياض ومقدهم من حريملاء وهم من آل (أبو رباع) من الحسني من السلْقا من عنزة.

(٥٠) آل مهنا: في البرة والرياض من الْقُرَيْنِيَّةِ وأصلهم من شمر.

الرياض: عبدالله بن سعود بن حمد آل خثلان

آل عبد الكريم من آل معمر

اتصل بـ «العرب» الأخ أحمد بن عثمان آل عبدالكريم وأشار إلى ما ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ـ ص ٥٠١ ـ عن أسرة آل عبدالكريم التي من المعامرة في حرمة وفي العطار، وأوضح أن آل عبدالكريم هم ابنا عبدالكريم عثمان وناصر وعبدالكريم هو ابن الأمير عثمان بن حمد بن عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن محمد بن حمد بن حسن بن طوق، كما هو موضح في شجرة آل عبدالكريم.

وعثمان وناصر ابنا عبدالكريم هما اللذان انحصرت ذريتهما الباقية الآن في آل عبدالكريم وكانوا قدموا من العيينة واستوطنوا بلدة جلاجل فترة من الزمن ثم انتقلوا إلى حرمة.

ولعبدالكريم أيضاً أبناء غير عثمان وناصر وهم : عبداللطيف وإبراهيم وعبدالله وهاؤلاء رحلوا إلى الزبير وانقطعت ذريتهم على ما يرويه كبار السن في الأسرة، وكما يتضح من وثائق أملاكهم ووصاياهم التي يتولاها الموجودون من أبناء عثمان وناصر ، وليس لهم أقارب في العطار من أبناء عبدالكريم وإنما قرابة آل عبدالكريم تتصل بأسرة تدعى آل سيف من المعامرة وهاؤلاء في الجنيفي قرب العطار ومن هاؤلاء الشيخ إبراهيم بن محمد بن معمر الذي رأس الديوان الملكي فترة من الزمن، وأبناؤه معروفون.

هكذا أوضح الأخ أحمد بن عثمان آل عبدالكريم.

أكلب : بلادهـا

ورد في «العرب» س ٢٥ ص ٧٠٢ ذكر قرى قبيلة أكلب الواقعة في جوانب وادي تبالة : (الفدنة) بالفاء والصحيح (الغدنة) بالغين المعجمة. وما لم ينشر من قرى ومناهل قبيلة أكلب :

١ ــ مُعَيْشر : بضم الميم وبالعين المهملة وسكون الياء فشين معجمة تليها راء

مهملة: قرية كبيرة ومزارع تقع شرق الوادي وتبعد عن قرية تبالة بـ (٤) أكيال شمالاً وعن مدينة بيشة بـ (٨٥) كيلاً غرباً ويسكنها الجنبة وأحياناً تسمى باسم ساكنيها .

٢ ــ مُبَايع : بضم الميم وفتح الباء فألف فياء فعين مهملة : ــ بويتات متناثرة في الشعاب ومزارع كثيرة تقع عن الوادي شرقاً وتبعد عن تبالة بـ (٤٧) كيلاً في الشمال الغربي وعن معيشر شمالاً على بعد ٣ أكيال يسكنها الجنبة.

ومن المناهل :

١ ــ بَهَاج : بفتح الباء الموحدة فهاء مفتوحة فألف فجيم معجمة : ـ مورد ماء لبني سعد من أكلب قال عنه أحد الشعراء من بني سعد وهو فالح بن معتق السعدي :

يالج صدري لج ورد على بهاج على عَدِّنا اللَّي ما خَذَيْناه بالخوه
حميناه بـ (البلجيك) واللي عليها تاج من ذلة تكثر نشابيل ومغوّه

يقع على جهة الجرف الشمالي من وادي رنية على بعد (٤٥) كيلاً من الجنينة نحو الشمال.

٢ ــ برود : ماء يقع على حافة وادي بيشة الشمالية يبعد عن الجنينة حوالي (٦٠) كيلاً .

٣ ــ هيج : بالهاء والياء ساكنة فالجيم المعجمة: وهيج : هيجان، هيج الأعلى وهيج الأسفل، يبعد أحدهما عن الآخر نحو كيل، وهما جبلان أحمران يقعان بين رنية وتبالة، ويبعدان عن رنية جنوباً بنحو (١٦) كيلاً ، وعن تبالة شمالاً بـ (٣٨) كيلاً وهيج : بئر تقع في هيج الأعلى بجهته الجنوبية تردها بادية أكلب ولكنها هذه الأيام قد جفت بسبب الجفاف الحاصل في هذه البلاد .

بيشة : محمد بن جرمان السعدي

سبيع : بطونها وبلادها

ـ ٢ ـ

[تتمة ما نشرته (العرب) س ٢٥ ص ٦٥١]

وعن بني ثور ـ وهي إحدى قبائل سبيع في الخرتة في وادي تربة وهما فرعان :
أ ــ آل جابر ، ب ــ والنّواهض .

أ ــ آل جابر ـ وهما قسمان أيضاً. ومن أفخاذهم :

أولاً : الهلايمة واحدهم هُلَيْمي وفيهم مشيخة شمل القبيلة منهم (الحميدي بن مفرح بن هليمة) وهو من كبار السن أمده الله بالصحة ـ وأفخاذ الهلايمة:

١ ــ الصُّوَّل ـ منهم الشاعر محسن بن زيد بن عجل الثوري رحمه الله.
٢ ــ المصابحة: بالصاد. ٣ ــ آل غَائِب.
٤ ــ الفقهاء. ٥ ــ آل محمَّد ـ نائبهم ثامر بن حمد.
٦ ــ آل مَرْقَب. ٧ ــ آل مُشْرِق. ٨ ــ الجهران.
٩ ــ الغزايلة ـ واحدهم غزيلي (انظر مجلة «العرب» س ٢٥ ص ٦٦٠) ويرأس الغزايلة عبدالهادي بن مطلق).

ثانياً : العتايقة واحدهم عتيق ومنهم :

١ ــ الثفانين: بالثاء والفاء منهم ابن ثفنان مؤذن وحامل علم سبيع بقيادة خالد بن منصور بن لؤي في وقعة تربه يوم ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ .
٢ ــ الشَّرَاوين: واحدهم شرَيَّان.
٣ ـ الذَّواهل ـ واحدهم ذاهلي منهم رئيس بلدية الخرتة المهندس محمد بن محيل الذاهلي.
٤ ــ ومن العتايقة هؤلاء آل سُلَيْم أمراء مدينة عنيزة وجماعتهم المنتشرون في بلدان القصيم وغيره (انظر مجلة «العرب» س ١٥ ص ١٩).
ب ــ النَّواهض ومن أفخاذهم :

١ ــ الهراضمة ويرأسهم فراج بن عبدالرحمن بن صنيتان.
٢ ــ البعاحين ـ بالعين. ويرأسهم سلطان بن منير الحضبي.
٣ ــ اللَّوَاحِم.
٤ ــ آل شديد.
٥ ــ المناقيش.
٦ ــ الغُلَّب. نائبهم سعد بن عَمَّاش.
٧ ــ الرَّغَاوين، نائبهم سعود بن بتّال.
٨ ــ الظروف.
٩ ــ الهبارين ـ بالهاء والباء ونائبهم عبدالله بن مفرح.
١٠ ــ آل بتّال.
١١ ــ الحوزة.
١٢ ــ آل خليق.
١٣ ــ العصم ـ بالعين والصاد ثم الميم.
١٤ ــ آل قينان. ونائبهم محمد بن ناصر بن صينة (ص.ي.ن.هـ).
١٥ ــ آل خُلَيِّح (أُخذت هذه المعلومات من شيخ شمل القبيلة وبعض كبار السن منهم).

وفي الخُرْمة القريشات، واحدهم قُرَيْشِيٌّ وهم :

أ ــ العسلة، واحدهم عسيلي ومن أفخاذهم :

١ ــ النَّواصر ـ وفيهم مشيخة شمل القبيلة (منهم ـ مشاري بن ناصر بن مشاري).
٢ ــ الهوايجة واحدهم هويجي.
٣ ــ الغوانمة ـ واحدهم غنيمي.
٤ ــ العترة، واحدهم عتيري.
٥ ــ العنوز ـ بالعين والنون والزاي.
٦ ــ الصَّبَحَة.

ب ــ الشهمة، واحدهم شهيمي ومن أفخاذهم:

١ ــ الهمالين واحدهم هملاني.
٢ ــ السُّبْعَان.
٣ ــ البراكين.
٤ ــ الغلافين ـ بالغين ـ.

ونائب الشهمة عبدالرحمن بن جميع، وعنه أُخذت المعلومات عن قبيلته

القريشات.

جـ ـ المقاربة ـ واحدهم مُقَيْربي ـ ومن أفخاذهم :

١ ـ الهدفان ـ واحدهم هَدَّاف.

٢ ـ الزُّرْقَان. ٣ ـ العويضات. ٤ ـ الجهايمة. ٥ ـ السَّمان.

ومن القريشات هؤلاء أُسَرٌ استقرت في الخرج والظهران والثقبة ويقال: إن من فخذ النّواصر أناس رافقوا أبناء مقحم الشعلان من شيوخ الرولة من عنزة ولازالوا معهم.

وفي الخُرْمة ـ أيضاً: الصَّمَلَة، واحدهم صُمَيْلي ويعدون من بني عمر. وشيخ شملهم شباب بن ماجد بن جِرْوَة، من فخذ آل غنيم.

وأفخاذ الصملة هي :

١ ـ آل غنيم. ٢ ـ الرَّماثِين. ٣ ـ آل عايض.

٥ ـ العيايشة ـ واحدهم ـ عيّاش. ٦ ـ المجالية.

٧ ـ العبانقة ـ واحدهم ـ (عَبَنَّقْ). ٨ ـ الحشانين.

٩ ـ آل رشود. ١٠ ـ الجريبات. ١١ ـ التَليعات.

ثالثًا : الصملة ـ خارج الخُرْمة في ناحية رماح وشيخهم هناك مسلم بن فيصل بن مجفل، ومن أفخاذ هؤلاء :

١ ـ الشعالين. ٢ ـ الحشافين. ٣ ـ الغضاوين.

٤ ـ آل عايض. ٥ ـ المِمانحَة. ٦ ـ الرماثين.

٧ ـ الصراديح واحدهم صرداح.

٨ ـ آل غنيم ومنهم أُناس في عيون الأحساء ومعهم آل عمر في المنطقة الشرقية.

وهذه المعلومات أخذت عن شيخ شمل القبيلة.

وفي الغريف من وادي تُرَبَة: المدارية، وآل علي.

المدارية: واحدهم مديري ـ منهم:

١ ــ العيادين: ومنهم شيخ شمل المدارية عبدالله بن جبر بن عبيدان.
٢ ــ اللَّفَانِين. ونائبهم سلطان بن ناصر الربيع .
٣ ــ القعاسين ـ بالقاف والعين ـ.
٤ ــ البداحين. ٥ ــ المشالحة.
٦ ــ الغثمة ـ بالغين والثاء ثم الميم والهاء .
٧ ــ وفي الحَرِيْق ونَعام آل حركان.
٨ ــ وفي ناحية رماح أهل هجرة الغيلانيّة، وأميرها فهد بن بَرَّاك.

وآل علي: وأميرهم فراج بن محماس بن درعان ومن أفخاذهم :

١ ــ الغضاريف ـ واحدهم غضروف.
٢ ــ الحنابشة.
٣ ــ الجعادين ورئيسهم سعود بن عجران بن شرفي.
٤ ــ الزَّغَبُ: ونائبهم حسين بن مجري بن ناصر بن جازع.
٥ ــ ومن آل علي من يحل هجرة (الحفيرة) بالعرمة من ناحية رُمَاح وأميرها عبدالله بن محمد بن شرفي.

بنو عمر : ـ ولعله عمرو ـ.

وهم قسمان: ١ ــ الخضران ـ ٢ ــ الصعبة.

١ ــ الخضران ـ فروعهم .

أ ــ النبطة: قوم الصييفي، منهم من يحل العتك من ناحية رماح، ومنهم أمير هجرة العتك، وتنطق (العتش) محمد بن سعد الصيفي.

وفي الحريق ـ آل مسعد وآل وطيَّان وفي الأفلاج آل رشود .

ب ــ الجبور، منهم من يحل ناحية رُمَاح، ومنهم أهل الرُّمْحِيّة وأميرها برغش بن جفيران.
٢ ــ وفي الحريق آل هويدي.
٣ ــ آل خثلان في الحريق منهم :

آل زيد وآل سليمان وآل علي وآل رشيد وآل عزام وآل ريِّس في الاحساء «مجلة العرب» ٢٤/١٣٤.

جـ ــ العرينات: قوم (وليد بن شَوْبَة)، ولهم هجرة الحِسْي وهجرة شَوْيَة في ناحية رُماح والعرينات منتشرون في بلدان نجد في سدير والمحمل والزلفي والبكيرية والخبراء وغيرها.

د ــ مليح: أَمِيْرُهُمْ: ناصر بن زيد المليحي ولم نتمكن من معرفة أفخاذهم.

٢ ــ الصعبة: وفروعهم: أ ــ الجمالين، وأميرهم فيصل بن ضِيْدَان أبو اثنين.
ب ــ العزّة (الأعزة) في حاير سُبَيْع قرب الرياض ولهم أمراء من آل جفران.
جـ ــ آل بليدان: في ناحية رماح: ومنهم في الحلوة آل عامر. ولم نتمكن من معرفة أفخاذ الصعبة هؤلاء.

بنوعامر الحداريّة ـ كما تسميهم بعض المصادر الحديثة ومن فروعهم:

١ ــ الضعفة وأميرهم (ضويحي بن فراج العماني).
٢ ــ عجمان الرخم وأميرهم «غنيم بن علي بن هديهد».
ومنهم من يسكن الضُّبَيْعَة بالخرج وفي المبرز بالأحساء وفي الرياض رماح.
٣ ــ بنو حميد ـ قوم ابن رَكَّاض. ٤ ــ «القدعاء» قوم (ابن ذيبان).
٥ ــ العيادين ـ منهم أهل العماريّة.
٦ ــ القواودة في الحريق وفي نعام ومنهم الذَّواودة (آل ذوّاد) في نعام الخرج والرياض ـ والقواودة ـ كما في التاريخ ـ كانوا أُمراء الحريق قديمًا.
٧ ــ آل زُبَيِّر ـ بالتصغير ـ منهم من يسكن في الحاير وفي بلدان العارض الأخرى ومنهم في ناحية رماح أيضاً.
ولاشك أننا أيضاً لم نتمكن من معرفة الأفخاذ من بني عامر هؤلاء كما ينبغي.

رنية: فهيد بن عبدالله بن تركي السبيعي

* **المنتخب من غريب كلام العرب** :

هذا الكتاب من مصادر اللغة العربية الأولى، التي رجع إليها من ألفوا الكتب الواسعة ومنهم ابن سيده في كتابه «المحكم والمحيط الأعظم» حيث عول كثيراً على النقل عن كراع وإن لم يكن عنده على درجة من القوة تحمله على الثقة بكلامه دائماً كما يتضح من كثير من عباراته كقوله: (ورجل جحدب: قصير، عن كراع، ولا أحققها إنما المعروف جحدر بالراء كما تقدم) ـ «المحكم» ٤/٣٩ ـ.

وقوله: (قال كراع: السُّباه ـ بضم السين ـ الذاهب العقل، وهو أيضاً الذي كأنه مجنون من نشاطه. والظاهر من هذا أنه غلط، إنما السُّباه: ذهاب العقل، أو نشاط الذي كأنه مجنون) ـ «المحكم» ٤/١٦٠ ـ.

وقوله: (بهراء ـ ممدود ـ: قبيلة وقد تقصر. لا أعلم أحد حكى فيه القصر إلا هو، وإنما المعروف به المد. وقال أيضاً: الهزلاج: السريع، مشتق من الهزج واللام زائدة، وهذا قول لا يلتفت إليه) ـ «المحكم» ٤/٢٢٤ و٣٣٨ ـ.

وقوله: (وما سحرك عنا سَحَراً ـ أي ما صرفك، عن كراع. والذي حكاه أبو عبيد: ما شجرك ـ بالشين والجيم ـ ولعله من أغاليطه) ـ «المحكم» ٣/١٣٤ ـ.

وكقوله: (وقيل: خاط إليهم خيطة واختاط، واختطى مقلوب، مَرَّمَرًّا لا يكاد ينقطع. قال كراع: هو مأخوذ من الخطو، مقلوب عنه. وهذا خَطَأٌ إذْ لو كان كذالك لقالوا: خاط خوطة، ولم يقولوا: خيطة. وليس مثل كراعٍ يُؤْمَنُ على هذا). ـ «المحكم» ٥/١٥٢ ـ.

وكقوله: (الدَّقِمُ المكسور الأسنان، وزعم كراع أنه من الدقّ والميم زائدة، وهذا قول لا يلتفت إليه إذ قد ثبت دَقَمْتُهُ) ـ «المحكم» ٦/٢٠٠ ـ.

وقوله : (الفقء : السابياء التي تنفقئ عن رأس الولد والجمع فُقُوْءٌ ، وحكى كراع عن جمعه : فاقياء وهذا غلط لأن مثل هذا لم يأت في الجمع) ـ «المحكم» ٢٩٤/٦ ـ ولكن يلاحظ أن كثيراً من علماء اللغة لم يسلموا من النقد:

ولستَ بمُسْتَبْق أخـاً لا تَـلُمُّـه على شعث أيُّ الرِّجَالِ الْـمُهَذَّبُ؟

وقدم مؤلفات هذا العالم تجعله في مكان الصدارة من علماء اللغة. وكراع هذا لقب، هو علي بن الحسن بن الحسين الهُنَائِي الدَّوْسي، يرتفع نسبه إلى قبيلة دَوْسٍ التي لا تزال معروفة في بلادها القديمة، وهو من أهل القرن الثالث الهجري وتوفي في أول القرن الرابع، وله من المؤلفات المعروفة هذا الكتاب وكتاب آخر هو «الْـمُنَجَّد» الذي حققه الدكتور ضاحي عبدالباقي المدير العام للمعجمات في (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بالاشتراك مع الدكتور أحمد مختار عمر، أستاذ علم اللغة في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة.

وموضوع هذا الكتاب «المنتخب» كما يفهم من عنوانه في غريب اللغة، وهو مرتب على أبواب من الصعب العثور على البغية منها، ومع قيام المحقق الفاضل الدكتور محمد بن أحمد العمري الأستاذ المساعد بكلية اللغة) العربية في جامعة أم القرى بجهد واضح في تحقيق هذا الكتاب إلا أن عمله خَالٍ من فهرس يحوي المفردات اللغوية الواردة في هذا الكتاب، وما هكذا عمل محققاً كتاب «المنجد» وقد صدر كتاب المنتخب «في جزءين بلغت صفحاتهما ٨٦٤ وقعت الفهارس في ٦٤ صفحة والمقدمة التي تحوي ترجمةً موجزةً للمؤلف، ووصفاً للكتاب ومخطوطتيه اللتين رجع إليهما المحقق في ٤٢ صفحة والطباعة حسنة ورقاً وحروفاً، وقد أصدره (مركز أحياء التراث الإسلامي) في جامعة أم القرى عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

ومما يحسن الانتباهُ له أنَّ مُؤَلفي أمهاتِ الكتب اللغوية مثل «المحكم» و«لسان العرب» و«تاج العروس» وإنْ حاوَلوا حَصْرَ المعلوماتِ اللغوية في مؤلفاتهم، إلا أنهم قد فاتهم منها ماهو ـ على قِلَّتِه ـ على جانب من الإفادة والطرافة، مما قد تحويه مؤلفات متقدمي اللغويين على اختصارها، وسأحاول العودة لبحث هذا في مناسبة أخرى.